الديارات النصرانية في العراق ونشاطاتها العلمية والفكرية حتى نهاية العصر العباسي

رسالة تقدمت بها

حنان عبد الرحمن طه الملا

الى مجلس كلية التربية – جامعة تكريت

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

محمود عباد محمد الجبوري

١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ))

صدق الله العظيم

سورة المائدة، آية (٨٢)

إقرار المشرف

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة (الديارات النصرانية في العراق ونشاطاتها العلمية والفكرية حتى نهاية العصر العباسي)من قبل الطالبة **حنان عبد الرحمن طه الملا** جرى تحت إشرافي في كلية التربية . جامعة تكريت ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

التوقيع :

الاسم : **د. محمود عباد محمد الجبوري**

المرتبة العلمية : استاذ مساعد

التاريخ : / ٨ /٢٠٠٥م

توصية رئيس القسم

بناءً على التوصيات المتوفرة أرشح هذه الرسالة الى لجنة المناقشة

التوقيع :

الاسم : **د. محمود عبد الواحد محمود القيسي**

المرتبة العلمية : استاذ مساعد

التاريخ : / ٨ /٢٠٠٥م

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة (الديارات النصرانية في العراق ونشاطاتها العلمية والفكرية حتى نهاية العصر العباسي) من قبل الطالبة حنان عبد الرحمن طه الملا تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ماورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك أصبحت مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة الأسلوب وصحة التعبير .

التوقيع :

الاسم : **د. خضير حسين صالح**

المرتبة العلمية :

التاريخ : / ٨ /٢٠٠٥م

شكر وتقدير

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر بعده ، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين وعجزت عن نعته أوهام الواصفين والصلاة و السلام على خير الأنام والمرسلين سيدنا محمد واله وصحبه الطيبين .

لا يسعني بعد أن أتممت بعون الله تعالى وضع اللمسات الأخيرة على هذه الأطروحة الا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من :

* استاذي الفاضل الدكتور **محمود عباد محمد الجبوري** لتفضله بالموافقة على الإشراف على هذه الأطروحة وتحمله عناء المتابعة والتصحيح وتوجيهاته السديدة بخصوص البحث إضافة إلى ترجمة بعض الفقرات من اللغة الانكليزية ، ودوره في إرشادي إلى الكثير من المصادر والمراجع ، وامدادي ببعض الكتب القيمة .

* كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى السيد رئيس قسم التاريخ الدكتور **محمود عبد الواحد القيسي** لدعمه المعنوي المتواصل وحثه على المتابعة والاستمرار .

* و شكري وتقديري إلى جميع أساتذة قسم التاريخ .

* وشكري الجزيل إلى الأساتذة في جامعة الموصل الدكتور **ناصرالملا جاسم** مدير المكتبة المركزية لتفضله بفتح ابواب المكتبة على مصراعيها ، والدكتور **يوسف جرجيس الطوني** مديرمركز دراسات جامعة الموصل لامدادي ببعض الكتب النصرانية المفقودة ، والدكتور **عبد المنعم رشاد** لتوجيهي في رسم خطة البحث والدكتور **عبد الوهاب خضر الياس** لارشادي الى بعض الكتب المفيدة .

* ومن جميل الوفاء تقديم شكري وامتناني لبعض مطارنة الكنائس والاديرة النصرانية في الموصل لتزويدي ببعض الكتب النادرة ، ومنهم الاب ربان دير مار متي **بهنام سعيد سمرجي** ، ومطران كنيسة مار افرام للسريان الارثوذكس **غريغوريوس صليبا شمعون** ، والمطران **فرج رحو** ، والاستاذ **بهنام حبابة** .

* واتوجه بشكري وتقديري الى السيد **عبد السلام غانم الوزان** وعائلته الكريمة التي احتضنتني وكانت بيتي الثاني في الموصل .

* وشكري الجزيل لزملائي من طلبة الدكتوراه في جامعة الموصل الطالب **فتحي عبـــاس الجبـــوري** الــذي كــان ســاعدي الأيمــن ، والطالــب **نـــايف محمـــد شـــبيب** لارشادي الى بعض المصادر المهمة التي اغنت هذه الاطروحة .

* واتقدم بشكري إلى موظفي مكتبة المجمع العلمي العراقي ومكتبة المتحف العراقي والمكتبة المركزية في بغداد ، وجزيل شكري وتقديري إلى عمي محمد طه الملا الذي صحبني الى تلك المكتبات في هذه الظروف الصعبة .

* و شكري وامتناني إلى زملائي فواز نصرت وخالد ابراهيم و نور أنور ومواهب عدنان وضمياء عبد الرزاق .

لهؤلاء جميعاً أقول بارك الله تعالى فيكم ، وجزاكم خيراً ، ووفقكم لكل مايحبه ويرضاه .

المحتويات

قائمة المختصرات

ت	الكلمـــــــــة	الرمـــز
١	الجزء	ج
٢	الصفحة	ص
٣	المجلد	م
٤	مطبعة	مط
٥	دون مطبعة	د. مط
٦	طبعة	ط
٧	دون تاريخ	د. ت
٨	دون مكان	د. م
٩	هجري	هـ
١٠	ميلادي	م
١١	قبل الميلاد	ق. م
١٢	القسم	ق

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر

المقدمة

يُعد موضوع الديارات النصرانية في العراق والنشاطات العلمية والفكرية التي اضطلعت بها حتى أواخر العصر العباسي موضوعاً مهماً من موضوعات تاريخ الحضارة العربية . وقد استغرق قروناً عديدة ابتدأت من الخطوة الأولى لنشأة الأديرة النصرانية المبكرة في عصور ما قبل الإسلام ، واستمر حتى نهاية العصر العباسي . والذي دفعني لدراسة هذا الموضوع هو عدم وجود دراسة علمية أكاديمية مستقلة حسب اطلاعي ، وكل ما أعرفه أن النصرانية كديانة قد درس في أطروحات علمية هي : نصارى العراق في العصر الأموي (٤٠هـ . ١٣٢هـ/ ٦٦٠م . ٧٥٠م) للباحث جاسم صكبان علي الربيعي ، للعام [1]١٩٧٤،

---

(١) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد .

(٢) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية . أبن رشد . ، جامعة بغداد .

(٣) وهو أبو الحسن علي بن محمد الكاتب . كان أديباً فاضلاً تعلق بخدمة العزيز ابن المعز العبيدي صاحب مصر ، فولاه أمر خزانة كتبه وجعله دفتر خوان يقرأ له الكتب ويجالسه و ينادمه ، وكان حلو المحاورة لطيف المعاشرة له مصنفات حسنة منها كتاب الديارات الذي ذكر فيه كل دير في العراق والشام ومصر وجمع الأشعار المقولة في كل دير . ينظر : الديارات ، ط٢ ، مقدمة المحقق ، ص٢٥ .

(٤) قنواتي ، جورج شحاتة ، المسيحية والحضارة العربية قبل الإسلام ،(المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.م ، د.ت) ، ص٨٥ .

والثانية : النصرانية عند الغساسنة والمناذرة ، للباحث غسان عبد صالح ، للعام ٢٠٠٠م [٢]. وكلا الرسالتين تناولتا موضوع الديارات والرهبان بشكل مقتضب. ويعد كتاب الديارات للشابشتي[٣] (ت ٣٨٨هـ) هو المصدر الوحيد في التاريخ الإسلامي الذي وصلنا مع العلم أن هذا الموضوع قد حظي باهتمام عدد من المسلمين غير أن كتبهم فُقِت ولم تصلنا ومنها : كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين لهشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ/٨١٩ م) ، وهو مفقود والأرجح انه هو نفس المصنف المشار إليه في كتاب مسالك الأبصار للعمري (ت٧٠٠هـ/٧٤٩هـ) في الكلام عن دير الاسكون[٤] ، وكتاب الديارات لأبي الفرج الأصفهاني ، صاحب كتاب

الأغاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) ، وهو أيضاً مفقود . وبقيت نقول منه في معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، ومعجم ما أستعجم للبكري ، ومسالك الأبصار للعمري ، كما ذكر له أبن خلكان والصفدي وحاجي خليفة ، ألا أني حصلت على معلومة من نسخة من هذا الكتاب التي يبدو أنها طُبِعت حديثاً من قبل أحد مطارنة الموصل وقد جلبه من الشام[١]. وكتاب الديرة للسّوي الرفاء الشاعر الموصلي(ت٣٢٦هـ/٩٧٢-٩٧٣م) ذكره ياقوت و ابن خلكان ، وهو على اسلوب الديارات للخالديين وابي الفرج الاصفهاني وكان منه نسخة ثمينة مزوقة وقف عليها شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي في القرن العاشر للهجرة ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخرومة في مكتبة برلين سقط منها جانب من ديارات العراق وكل ديارات الشام[٢].

وكتاب الديارات للأخوين الشاعرين الخالديين (أبي بكر وأبي عثمان المتوفيين في أواخر القرن الرابع الهجري ٣٥٠هـ . ٣٨٠هـ) ، وقد اتهمهما السري كثيراً بالأخذ عنه ، ولياقوت والعمري مأخذ عليهما[٣].

---

(١) **ينظر** : أبن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس،(دار صادر ، بيروت ،١٩٦٩) ج٣ ، ص٣٠٨ ؛ الصفدي ،صلاح الدين أيبك ، الوافي ، ط ريتر، ج١ ص١١٨ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ،(دار الفكر ، بيروت ، د.ت) ج١ ، ص ٦٢، ٧٧. مصطفى ،شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون ط٢، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩) ص٣٠٨ .

(٢) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٨٦ .

(٣) زيات ، الديارات النصرانية ، ص ؛ مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ص٨٠٣ .

وكتاب الأديرة والأعمار في البلدان والأقطار ، ويعرف بكتاب الديارات لأبي الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي وهو من حاشية الحمدانيين في المئة الرابعة للهجرة (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) ، ويذكر ابن النديم في كتابه الفهرست أنه كان من معاصريه ، ويقول عنه حبيب زيات : وفي جزء من تاريخ بغداد لابن النجار ((انه كان شاعراً يمدح الملوك .أصله من الموصل سكن بغداد ودخل واسط سنة أربع وتسعين وثلثمائة)) ، وفي بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم عدة مطالعات فيه وروايات عنه لم نجدها في غيره من كتب الديارات ، فلا شك أنه كان أوسع اشتمالاً وأغزر فوائد منها كلها ، ولذلك وصفه صاحب الفهرست بالكبير . ولعل هذا التوسع مع قلة إقبال النساخ على كتابهِ غيرمصنفات الحديث واللغة كان سبب إهماله وندرة نسخه ، ووصف في كتاب الرجال للنجاشي أنه كان أكبر كتاب في موضوعه فيه بضع وثلاثون ديراً وعمراً [٤].

ومن الكتب المفقودة أيضاً كتاب الديرة لمحمد بن الحسن بن رمضان النحوي ، ذكره ابن النديم في الفهرست ، ونقل عنه ياقوت الحموي وعن الثاني نقل السيوطي في بغية الوعاة دون أن ينّوه بهذا الكتاب[١]. واستمر التأليف في الأديرة ولكن على ضعف ، وممن ألف فيها ابن بطلان أبو الحسن المختار بن عبدون الملقب (يوانيس الطبيب) بعد سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٢م) ، وقد كتب كُناش الأديرة والرهبان ، وكانت من هذه الرسالة ثلاث نسخ مخطوطة على الأقل ، من المتعذر الحصول عليها . أما أسامة بن منقذ الأمير الشيزري (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) فمن بين مؤلفاته الأربع والعشرين ، مؤلف عنوانه المنازل والأديرة[٢] . لذا وجدت من الضروري أن ابحث في هذا الموضوع في مثل هذه الرسالة العلمية . أما اقتصار الموضوع على الديارات النصرانية في العراق ، فلابد من القول إن الديارات سبق وأن ظهرت عند الأمم القديمة بدءاً من السومريين ولو بأشكال ومسميات وأهداف مختلفة ، وأشتهر البوذيون بالديارات أيضاً ،لذلك قصرنا هذه الدراسة على الديارات النصرانية وفي إقليم العراق الجغرافي وحسب مفهومه المعروف حتى أواخر العصر العباسي.

لقد حاولت أن أبني هذه الرسالة على منهجية جديدة تقوم على فكرة ومعرفة الأسباب والدوافع الأولى لظهور الديارات بشكل عام ، حيث اختلفت المصادر كثيراً حول تفسير

(٤) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٨٧ ؛ مصطفى ، نفسه ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

(١) قنواتي ، نفسه ، ص٨٧ ؛ مصطفى ، نفسه ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

(٢) مصطفى ، نفسه ، ص٣٠٩ .

ظاهرة نشوء الأديرة في المجتمعات النصرانية ، ثم تابعت بعد ذلك التطورات اللاحقة و أشكال ومواضع الديارات ورهبانها ونظمهم ونشاطاتهم العلمية والفكرية المختلفة .

قسمت الرسالة على أربعة فصول وخاتمة . تضمن الفصل الأول التعريف بالدير وأقسامه ، والتعريف بالرهبان ، وشرح موجز حول بداية انتشار النصرانية في روما وانتشارها خارج روما من جراء الاضطهادات التي تعرض لها الرسل ، والبدايات الأولى لنشوء الرهبنة في مصر ، والتطرق إلى اضطهاد بعض الأباطرة الرومانيين ، التي كانت إحدى الأسباب وراء تشييد الديرات شرقاً ، وظهور الديارات النصرانية في مصر وانتقالها شرقاً حتى وصولها إلى العراق ، وفي نهاية الفصل ذكرت بعض الرهبان الذين قاموا ببناء الديارات العراقية قديماً .

أما الفصل الثاني تناول فيه بناء الديارات في العراق وأهم العوامل المؤثرة فيها لاسيما مواقعها الجغرافية ، وتناولت أيضاً أشكالها وتخطيطاتها وكذلك ملحقاتها ،ثم تطرقت إلى مجتمع الدير والقوانين التي تنظمه ،ثم تناولت أديرة الراهبات وقوانينها ، و تناولت طعام الرهبان والراهبات وملابسهم .

وتناولت في الفصل الثالث من هذه الأطروحة الرهبان وديارا تهم في ظل الدولة العربية الإسلامية ، لا سيما في معاملة الرهبان من أهل الذمة ، والبحث في أمر جزيتهم كذلك تضمن هذا الفصل آراء الفقهاء المسلمين في أمر الجزية ، وبالتالي التطرق إلى موقف الخلفاء المسلمين من بناء الديارات بالإضافة إلى الآراء الفقهية حول ذلك .

واخيراً تناولت في الفصل الرابع الحركة العلمية والفكرية في الديارات النصرانية العراقية ، فتناولت المدارس الديرية العراقية ، وهيئة التدريس ، وأهم الأنظمة التي كانت تحكم سير العملية التعليمية ، بالإضافة إلى مكتبات المدارس ، وأهم الكتب التي احتوتها هذه المدارس ، ثم تناولت أهم مؤلفات الرهبان من الكتب المختلفة ، كذلك تطرقت في الفصل العلوم الديرية في ظل الدولة العربية الإسلامية .

وأخيراً تم وضع خاتمة للبحث فيها أيجاز لما تم التوصل إليه ، واستعنت في إعداد هذه الرسالة ، بالعديد من المصادر والمراجع المختلفة ، وقلما رجعت إلى المصادر الأجنبية لترجمة اغلبها ، ولابد من الإشارة إلى ماهية هذه المصادر والمراجع ، ومنها النصرانية كونها من المصادر المهمة المعتمدة ، ككتاب تاريخ الكنيسة لمؤلفه يوسابيوس القيصري الذي عاش في العصور المسيحية الأولى (٢٦٤- ٣٤٠م) والذي يعتبر بدوره من أقدر المؤرخين

وأسبقهم ، ويعتبر كتابه تاريخ الكنيسة من الكتب القيمة التي تناولت ما شهدته الكنيسة من اضطهادات في عهودها الأولى .

ومنها كتاب (الديورة في مملكتي الفرس والعرب) ليشو عدناح مطران البصرة وهو من رجال (أواخر القرن الثامن الميلادي/ الثاني الهجري) ، كُتِبَ هذا الكتاب باللغة السريانية وعربه (بولس شيخو) ، تناول هذا الكتاب شرح لسير بعض رجال الدين الزاهدين في العراق الذين كانوا معمرين للديارات ، ويمكن التعرف من خلاله على قسم من الأديرة الموجودة في الحيرة ، وقد غلب العنصر التاريخي على كتابه .

وفي كتاب (أخبار فطاركة كرسي المشرق) لماري بن سليمان وهو من رجال القرن الثامن للميلاد سير البطاركة في المشرق ، ومن خلال هذه السّيَر يمكن التعرف على زمن دخول النصرانية في بلاد وادي الرافدين ، وَيُعَدُّ رجالَ الدين البارزين في الحيرة .

أما كتاب (الرؤساء) لتوما المرجي وهو من رجال(القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري) فتناول فيه تاريخ رهبان منطقة المرج ، ويعتبر المرجي من رجال الدين

وليس من المؤرخين لذا غلب عليه الطابع الديني ، ومن خلال ذكره لسير الرهبان ورجال الدين ، فقد أشار إلى الرهبان وفضائلهم وازمانهم وأهم أعمالهم فأضفى بذلك العنصر التاريخي على كتابه ، مؤكداً سيرة الرهبان الحسنة عصر ذاك ، وهو يحث بذلك على الإقتداء بسيرتهم وصالح أعمالهم ، ولابد من الإشارة إلى جهود المحقق (البيرابونا) الذي أثقل هوامش الكتاب بالمعلومات القيمة سواء في التعريف بالمناطق القديمة أو بسير بعض الرهبان ، وقد أفادتني هذه المعلومات فائدة قصوى .

وتناولت مؤلفات ابن العبري (ت ٦٨٥ هـ /١٢٨٦ م) التي تتضمن الآداب ، والفلسفة ، والحكمة ، ومنها كتاب (الاثيقون) أي الآداب ، وهو يبحث في الحياة الدينية كالصلاة وأنواع الصيام والفضائل والأسرار والطقوس والمدارس وقوانينها وما يجب أن يتصف به المعلم . أما كتاب الحمامة فهو يبحث في الرهبنة وشروطها وأهم فضائلها .

وفي كتاب (فقه النصرانية) لأبن الطيب (ت ٤٣٥ هـ/ ١٠٤٣م) معلومات قيمة عن المدارس النسطورية والقوانين التي تحكمها وتاريخ تأسيسها ، كما يبحث في الرهبنة وقوانينها . أما كتاب (التاريخ السعردي) الذي سمي من قبل محققه وناشره (ادي شير) فهذا كتاب لمؤلف مجهول من القرن الحادي عشر الميلادي ، فيتضمن معلومات مهمة عن النصرانية في العراق ، ويحيط بحياة القساوسة والرهبان الذين عاشوا في العراق إحاطة تامة ، كما يشمل بعض الأخبار حول المجامع الكنسية الغربية .

وتعد المؤلفات النصرانية الحديثة من المراجع التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها في مثل هذا البحث لأهميتها القصوى ، ومنها كتاب (تاريخ كلدو واثو) لمؤلفه ادي شير ، فهو يتحدث عن الديانة النصرانية في العراق قبل الإسلام بشكل واضح . كذلك كتاب (اللؤلؤ المنثور في الآداب والعلوم السريانية) للأب افرام الأول بر صوم ، الذي يشتمل على أثر النصارى في الحياة الاجتماعية والثقافية ويشير أيضاً إلى النظم الكنسية ، وكان يتبع إلى حد كبير المذهب اليعقوبي .

أما كتاب (ذخيرة الأذهان) للمؤلف بطرس نصري الكلداني ، فيتضمن استعراضاً لتاريخ الكلدان وآثارهم في العراق منذ بداية النصرانية حتى حقبة متأخرة ، معتمداً في ذلك على المصادر النصرانية القديمة . ومن المراجع المهمة أيضاً كتاب (الديارات النصرانية في الإسلام) لمؤلفه حبيب زيات ، فهو ذو فائدة كبيرة للبحث ، من خلال لحالة الديارات في الإسلام بشكل موجز .

أما كتاب (الرهبنات النسائية في الكنيسة الكلدانية) لمؤلفه بطرس حداد فهو من المراجع التي أفادتني في معرفة قوانين الراهبات، واعمالهن اليومية ، وأشكال ملابسهن . ولم تقل أهمية كتابي البيرابونا (تاريخ الكنيسة الشرقية)الذي تناول في فَصله الثالث عشر و الرابع عشر الحياة الرهبانية في الكنيسة الشرقية ، وكتاب ميشيل يتيم وديك اغناطيوس (تاريخ الكنيسة الشرقية) الذي تناول فيه الاضطهادات التي تعرض لها النصارى في عهد الرومانيين . كذلك الحال بالنسبة لكتابي روفائيل بابو أسحق (تاريخ نصارى العراق) الذي تناول فيه حياة النصارى ومنهم الرهبان وديارا تهم في العراق وموقف المسلمين منهم ، وكتاب (مدارس العراق قبل الإسلام) الذي تناول الجوانب الفكرية للديارات .

أما المصادر التاريخية العربية فلم تتحدث تفصيلاً عن الديارات بل تتطرق إلى ذكرها ورهبانها من خلال ما ورد فيها من الحوادث ككتاب (الطبقات) لأبن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) ، وكتاب الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، (تاريخ الرسل والملوك) ، و (التنبيه والأشراف) للمسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٧٤م) ، و (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، وكتاب (المسالك والممالك) لأبن الفضل الله العمري (ت٧٠٠ هـ/١٣٠٠م) ، فعلى الرغم من ذكر أخبار الديارات عند الشابشتي إلاّ أن بعض الديارات فقدت أخبارها ، في حين ذكرها ياقوت والعمري في معاجمهم .

وختاماً لابد من التعرض إلى أهم الصعوبات التي واجهتها خلال فترة البحث والتي تكمن في صعوبة الموضوع كونه من المواضيع الشائكة التي تتدخل في جوهر العقيدة النصرانية ، بالإضافة إلى ندرة المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع والتي تكاد مكتبات

محافظة صلاح الدين أن تخلو منها إذ اقتصرت هذه المكتبات على مصادر التاريخ العام فقط الآمر الذي اضطرني للسفر والاستقرار في محافظة الموصل بالرغم من صعوبة الوضع الأمني الذي يمر به قطرنا العزيز في ظل الاحتلال ، لاسيما في تنقلي بين الكنائس والأديرة هناك ، كذلك الحال في سفري إلى بغداد وتنقلي بين مكتباتها في هول الانفجارات التي شهدتها بغداد آنذاك .

و اخيراً أرجو أن يسد هذا الجهد المتواضع جانباً من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، وان يكون لبنة متواضعة من صرح المعرفة التاريخية . وتبقى هذه الجهود بحاجة ماسة إلى ملاحظات أساتذتي رئيس وأعضاء لجنة المناقشة . واسأل الله التوفيق والسداد .

الفصل الأول

عوامل ظهور الديارات النصرانية وانتشارها

عوامل ظهور الديارات النصرانية وانتشارها

الدير في اللغة والاصطلاح

عَرفت المعاجم العَربية لفظة الدير على إنها في الأصل الدار والجمع أديار[١]، وديار ، وأديرة [٢]، ودور ، وديور[٣].

والدير هو خان النصرانية[٤] ، وهو المكان الذي يتعبد فيه الرهبان ، كأدائهم الصلاة والتقرب إلى الله[٥] . ويرجع أصل كلمة دير إلى اللغة الآرامية ومعناها البيت أو المنزل[٦] . وغالباً ما يكون الدير في الصحاري ، أو على رؤوس الجبال ، أو مطل على الأودية أو على السهول الفسيحة الخضراء ، وفي المناطق المنقطعة عن الناس[٧]. ويكون بالقرب من مصدر مائي[٨]، ولا يكون في المدن الكبرى ، فإن كان فيها سُمِيَ كنيسة أو بيعة (دير)[٩] . و حبيب زيات يفرق في تسمية البيعة (الدير) والكنيسة

(١) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، لسان العرب ، (دار لسان العرب ، بيروت ، د.ت) ، ج١، ص١٠٤٢ .

(٢) ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ، معجم البلدان ، (دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٧.١٩٥٤م) ، ج٢ ، ص ٤٩٥ .

(٣) ابن فارس ، أبى الحسن أحمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط :عبد السلام هارون ، ط٢ ، (مط مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ،١٩٧٠) ، ج٢ ، ص ٣١٨ .

(٤) الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م) ، ج٢ ، ص٣٣ .

(٥) كرد علي ، محمد ، خطط الشام ، ط٢ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠) ، ج٦، ص٤ .

(٦) زيات ، حبيب ، الديارات النصرانية في الإسلام ،(مط الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٨م)، ص١٢. ويسمى باللغة الإنكليزية ((**Monastery**)) وهو يوناني الأصل ومعناه بيت الاعتزال ، واسمه الآخر ((**Cauvent**)) وهو لاتيني الأصل ومعناه جمعية . البستاني ، بطرس ، دائرة المعارف ، (د.مط ، بيروت ، ١٨٨٤م) ، ج٢، ص١٩٠ .

(٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦٣٩ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص٩ ؛ الطريحي ، محمد سعيد ، الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها ، (د. مط ، بيروت ، ١٩٨٠) ، ص٧٠ .

(٨) البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمراضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥م) ، ج١، ص٦٠٣ .

(٩) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦٣٩ .

وفقاً لما أورده المقريزي في قوله : ((**الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة**))[١] .

ويشير كبر الدير إلى كثرة عدد رهبانه[٢]؛ فيكون أحياناً كبيراً كالمدينة[٣]، فلا بد من احتوائه على عدد كبير من الرهبان لذا قيل:((**إنها تحتوي على ألوف الرهبان**))[٤].

ويقال للراهب الساكن في الدير ديراني ودَّيار[٥]، وللراهبة ديرية وديرانية[٦] . ولابد أن يكون رئيس الدير مسئولاً ٨ عن إدارة شؤون الدير .

وغالباً ما تبنى الأديرة بعيداً عن المناطق المأهولة بالسكان لتتيح لرهبانها الخلوة والعزلة، إلا أن بعضها شُيِّد بالقرب من الأماكن المعمورة، لذا أُطلق عليها اسم العُمْر: وهي أماكن لسكن الرهبان وممارسة عباداتهم[٧] . ويذكر أن هذه التسمية جاءت من العُمْر وهو نوع من النخيل عُوف بثمرِ المـ ُسكر ، وكان نصارى العراق يبنون

---

(١) المقريزي ، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية)، ط جديدة بالأوفست ،(د.مط ، بغداد ، ١٩٧٠م)، ج٢ ، ص٥٠١.

(٢) الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، ط٢ ، (دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م) ، ص٤٩ .

(٣) القرماني ، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ط عالم الكتب ، (د.مط ، بيروت ، د.ت) ، ص٤٤٩ .

(٤) شيخو، لويس اليسوعي ،النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ،(مط الأباء المرسلين اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٩) ، ق٢ ، ج٢ ، ص٨٣ .

(٥) الزمخشري ، محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، (دار صادر للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٥م) ، ج١ ، ص٣٩١ ؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج ، ص ؛ ابن منظور، لسان العرب ، ج١٠ ، ص١٠٤٢ .

(٦) العمري ، ابن فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق احمد زكي ، (مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤م) ،ج١ ، ص٢٦٠ .

(٧) واللفظة معّربة عن اللغة الكلدانية . ينظر ايشو عدناح ، الديورة في مملكتي الفرس والعرب ، ترجمة : بولس شيخو ، (مط النجم ، الموصل ، ١٩٣٩) ، ص٣ ؛ ابن عبد الحق ، يصفي الدين عبد المؤمن البغدادي ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : علي محمد البيجاوي ، (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٤م) ، ج٢ ، ص٥٤٩ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص١٢ ؛ الطريحي ، الديارات والأمكنة ، ص١٥٩.

أديرتهم عنده ، لذا سُمي الدير بالعُمْر [1] . بينما يُرجّ ع البعض تسمية الدير إلى العُمْر لأن الإنسان يُعمَّر فيه ربهُ أي يعبده[2] .

وكانت الديارات مأوى لمن يلجأ إليها ومن يجتاز بها[3]، والأكثر من ذلك إن رهبانها أقاموا دوراً لضيافة ومبيت الزوار وعابري السبيل ، وتبنى هذه البيوت أحياناً فوق القلالي والكنيسة ، فيكرموا مثواهم ، ويقوموا على خدمتهم خير قيام[4] ، ولا يباح للزوار الإقامة في صوامع الرهبان ذاتها[5]، لأنها محل العبادة .

وتُحصّن الديارات عادةً بالأسوار العالية والأبواب الحديدية ، لحمايتها من الأعداء ، وخوفاً من اللصوص ، ويصل أحياناً ارتفاع جدارها إلى مائة ذراع[6] .

ولم تقتصر الديارات على الرهبان فقط ، بل كانت هناك أديرة للنساء (الراهبات) حيث صارت ديارا تهن فيما بعد شامخة البناء ، واسعة الأرجاء ، تحصنها البساتين والرياض ، يقضين فيها أيامهن بالصلاة والعبادة ، والتبتل إلى الله ، والقيام بكافة الأعمال الصالحة[7] .

---

(١) الدينوري ، أبو حنيفة احمد بن داود ، النبات ،شرح وتحقيق : برنهار ولفين ، (دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٤) ، ج٣ ، ص٢٣٠ . إلا إن زيات لا يوافقه الرأي فيقول : أن العُمْر قد تكون في مواضع لانخل فيها أبداً كما هو الحال في نصيبين والجزيرة وغيرهما . زيات ، الديارات النصرانية ، ص١١ .

(٢) السقاف ، احمد محمد زين ،الأوراق ،(د. مط ، د. م ، ١٩٥٤م)،ص٩٢ . وقوله عمرت ربي أي عبدته ،وفلان عامر لربه أي عابد... فيجوز الموضع الذي يتعبد فيه يسمى العُمْر، وربما يكون مأخوذ من الاعتمار والعمرة وهي الزيارة ،ويكون هو الموضع الذي يزار... فيجوز أن يكون العُمْر الموضع الذي يخدم فيه الرب . ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧٢٤ ؛ زيات ، نفسه ، ص١٢ .

(٣) ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل ، (طبع في رومية الكبرى ، د . م ، ١٨٩٩م) ، ص٦٩ ؛ الشابشتي ، الديارات ، ط٢، ص٤٩ .

(٤) العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٠٥ .

(٥) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٥٠ .

(٦) الذراع :وله ثلاثة أضرب عند العرب : أما ٢٤ أصبعاً ، او٣٢ أصبعاً ، أو ٢٧ أصبعاً وهي التي أمر المأمون باستعمالها في ذرع القماش والمباني .ينظر : شتريك ، مكسيمان ، خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، ترجمة: خالد إسماعيل علي ،(مط المجمع العلمي العراقي ، بغداد ،١٩٨٦م)،ص١٤.

(٧) البكري ، معجم ما استعجم ، ص٣٧٣ ؛ العمري ،مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٢٥٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٢ ، ص٦٨١ ، ٦٩٢، ٧٠٩ .

وكانت بعض الديارات سابقاً تقصد للاستشفاء من الأمراض لاسيما الخطرة منها ، كالجذام والبرص ، ويكون ذلك عن طريق الاستحمام بعيون الماء التي كانت قريبة منها[١]، أو عن طريق استخدام المعادن الكبريتية التي وجدت إلى جوارها كما هو الحال في الدير الأعلى بالموصل ، ويذكر أن هذه المعادن تبرئ من الجرب والحكة والبثور وتنفع المقعدين والزمنى[٢].

وكان النصارى يقصدون الأديرة أيام الأعياد فتكون موضع تجمع ولقاء ، وكان لكل دير عيد خاص به في يوم محدد من السنة عدا الأعياد التي يشترك فيها النصارى عامتهم[٣]، وكانت الديارات تقُصد للتقرب إلى الله والصلاة له والتوسل إليه بأن يمن عليهم ويبارك فيهم ، وليزوروا أضرحة وقبور موتاهم المدفونة فيها[٤] .

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٨ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الإطلاع ، ج١ ، ص٢٢٣ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص١٠٠-١٠٢ .

(٢) ياقوت الحموي ، نفسه ، ج٢، ص٤٩٨ ؛ السقاف ، الأوراق ، ص١٢١ ؛ حبي ، يوسف ، الدير الأعلى وكنيسة الطاهرة ، (مط العصرية ، الموصل ، ١٩٦٩م) ، ص١٥ .

(٣) عواد ، ميخائيل ، دير قُنَّى موطن الوزراء ومعقل المسيحية في العراق ، (مط الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٩م) ، ص١٨٨ ؛ اسحق ، روفائيل ، تاريخ نصارى العراق ، (مط المنصور ، بغداد ، ١٩٤٨م) ، ص٩٧ ؛ الطريحي ، الديارات والأمكنة ، ص٥١ .

(٤) الطريحي ، نفسه ، ص٥١ .

أقسام الديارات النصرانية

تشتمل الأديرة النصرانية على عدة ملاحق منها ، **ألصَّومعة** : وهي المكان الذي ينقطع فيه الراهب للتنسك والعبادة [١] ، لذا قيل عن ألصَّومعة إنها دير الراهب [٢]، وأصل الكلمة حبشية ومعناها الدير أو القلاية [٣]، أو القلعة [٤]، وقد ورد ذكر ألصَّومعة في القرآن الكريم بمعنى معابد الرهبان في قوله تعالى : ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ...))[٥] .

ويختلف بناء ألصَّوامع من مكان لآخر فإذا كان الدير قائماً في السهل ُبنيت بناءاً أما إذا كان الدير قائماً في الجبل فإنها تحفر فيه [٦] ، وتحتوي الصَّومعة على خزانة توضع فيها كتب الراهب ومقتنياته الأخرى [٧]، وقيل : ((**الصَّومعة كجوهرة بيت النصارى ومنار الراهب سُمّيت لدّقة في رأسها**))[٨].

ويختلف عدد الصَّوامع من دير إلى آخر فقد أشهرت بعض الأديرة بكثرة صوامعها[٩]، ولرئيس الدير صَّومعةٌ خاصة به ، وربما يتعاقب رؤساء الدير على سكن الصَّومعة نفسها[١٠] . لأنها تمثل ملكاً شخصياً بل هي جزء من بناء الدير .

---

(١) ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ،المخصص،(دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م) ، سفر ١٣ ، ص١٠٠ .

(٢) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص٢٠٠ .

(٣) شيخو ، النصرانية وآدابها ، ق٢ ، ص٢١٣ .

(٤) منا الكلداني ، يعقوب أوجين ، دليل الراغبين في لغة الآراميين ، (مط دير الأباء الدومنيكيين ، الموصل ، ١٩٠٠م) ، ص٢٢٣ .

(٥) سورة الحج ، آية :٤٠ ؛ الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير ، ط٢ ، (د.مط ، بيروت، ١٩٩٨م) ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

(٦) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٥٠ .

(٧) الشابشتي ، نفسه ، ط٢ ، ص٥٠ ؛ غُنيمة ، يوسف رزق الله ، الحيرة المدينة والمملكة العربية ، (مط دانكور ، بغداد ، ١٩٣٦م) ، ص٤٣ .

(٨) شيخو ، النصرانية وآدابها ، ق٢ ، ص٢١٣ .

(٩) العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٢٥٤ ،٢٨٦ ، ٢٨٩ .

(١٠) المرجي ، الرؤساء ، ص١٩٠ .

ومن ملاحق الدير الأخرى ، **القوس** : وهو موضع الراهب[١] ، وقيل انه رأس الصومعة[٢] ، وقيل هو معبد الراهب[٣] .

كذلك تُعد **القلالي** من أقسام الدير ، ومفردها قلاية (**cell**) : وهو مكان ينفرد فيه الراهب للتعبد[٤]، وتكون مرتفعة كالمنارة ، ولا يكون لها باب ظاهر ، بل تحتوي على طاقة يتناول منها الراهب ما يحتاج إليه من طعام وشراب وأشياء أخرى[٥] . واشتهرت بعض الأديرة ببناء قلاليها بعضها فوق بعض[٦].

ويختلف أعداد القلالي حسب أعداد الرهبان المتبتلين ، حيث يكون لكل راهب قلاية خاصة به[٧]، ويتم بيع القلالي فيما بين الرهبان ، وقد تكون أثمانها من ألف دينار إلى مائتي دينار إلى خمسين دينار[٨]. وهذا يشير إلى أسعارها الباهضة عصر ذاك . ويذكر أنه في حدود ٣٠٠هـ ـ ٩١٢م كان الرجل يبتاع لأبنه قلاية في الدير إذا أحب الرهبنة ومال إليها[٩].

---

(١) ابن سيدة المخصص ، سفر ١٣، ص١٠٣ ؛ الصاوي ، محمد إسماعيل عبد الله ، شرح ديوان جرير (مضاف إليه تفسيرات العالم اللغوي أبي جعفر محمد بن حبيب) ، الكتاب الكامل ،الشركة اللبنانية للكتاب (د.مط ، لبنان ، د.ت) ، ص٣٢١، هامش (٤) .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، ص٦٩ ؛ عواد ، دير قنى ، ص١٨٧ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٢٠٠ .

(٤) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٤١٥ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص٢٠. وقد اختلف في الفرق بين القلاية والصومعة ، فيذكر شيخو أن القلاية تشبه الصومعة . أما ابن قيم الجوزية فيقول : إن الفرق بين القلاية والصومعة هو إن القلاية تكون منقطعة في فلاة الأرض ، أما الصومعة فتكون على الطريق وذهب يعقوب الثالث إلى أن الاسم القديم هو صومعة ، أما الحديث فهو القلاية فلا فرق بينهما ، والراجح هو رأي شيخو لان القلاية من أقسام الدير فلا تكون بعيدة عنه . ينظر: ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبي بكر ،أحكام أهل الذمة، تحقيق :صبحي الصالح ، ق١،(مط جامعة دمشق، د.م ،١٩٦١م)، ص٦٦٨- ٦٦٩؛ شيخو ،النصرانية وآدابها، ق٢، ص٢١٣ ؛ اغناطيوس الثالث ، دفقات الطيب في تاريخ مار متي العجيب،(مط الرسي،زحلة،١٩٦١م)،ص١٨٨ .

(٥) برصوم ، اغناطيوس افرام الأول ، رسالة في الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، (نُشرت في مجلة المجمع العلمي السوري ، دمشق ، ١٩٥١م) ، ص١٤٥ .

(٦) العمري ، مسالك الأبصار ، ج١، ص٣٠٩،٢٨٩،٢٨٦،٢٥٤ .

(٧) متز ، الحضارة الإسلامية ، م١، ص٨٨ .

(٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦٨٧ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٨٧ .

(٩) العلي ، صالح احمد ، معالم العراق العمرانية ، (دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،١٩٨٩م) ، ص١٢٤ .

وُيعد القائم من أقسام الدير الأخرى وهو يشبه المنارة العالية ، ومن الأديرة ما اشتهر بقائمه كدير القائم الأقصى الواقع على شاطئ الفرات (على الطريق بين الرقة من بغداد) ، إلا أن هناك من الأديار ما كان موصوفاً بقائمه وليس له صفة المرقب ، ويشار إلى أن ديارات اليعقوبيه[(١)] فيها قائم ، أما ديارات النسطوريه[(٢)] فلا قائم لها ، وهذا القائم لم يكن مرقباً فقط بل ُيستخدم أيضاً لمنع تسلل الغرباء[(٣)]، وشُبه القائم بالصومعة التي كانت تُتخذ إلى جانب بعض الأديرة لسكن أحد النساك والمعتزلين فيها ، كالصومعة التي أُقيمت على باب دير مر يحنا[(٤)] (إلى جانب تكريت)[(٥)].

---

(١) اليعقوبية : يرجع اصلها إلى صاحبها يعقوب البردعاني وكان راهب بالقسطنطينية ، وهم القائلين إن المسيح عليه السلام ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان ، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت ، ولذلك سمي مذهب (المنوفست) ذو الطبيعة الواحدة ، وتعد مدينة تكريت واحدة من مراكز المذهب اليعقوبي المهمة . ينظر: ابن حزم ، أبى محمد علي بن احمد الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل،(دار الندوة الجديدة ، بيروت ، د.ت) ، ص٤٩ ؛ اليوسف ، عبد القادر أحمد ، الإمبراطورية البيزنطية ،(دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٦٦م) ، ص٢٧ .

(٢) النسطورية : ويرجع تسميتها إلى راهب إنطاكية يدعى نسطور **Nestorius** الذي اصبح بطريقاً للقسطنطينية عام ٤٢٨م ، تتلخص آراؤه بوجود طبيعتين للسيد المسيح عليه السلام إلهية وبشرية ، غير آن الطبيعة الأخيرة تتغلب على شخصيته . وان العذراء لم تكن الأم لتلك الطبيعة الإلهية ، وانما هي أم المسيح البشري ، لان المخلوق لايلد الخالق فمريم عليها السلام ولدت انساناً ولكن كان اله وآية وعلى هذا تسمى مريم (عليها السلام)والدة الإله ، وهي مجرد سيدة ولدت انساناً فيه روح الله بعد أن كانت عنده من القديسين . ابن حزم ، نفسه ، ج١ ، ص٤٩ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،(مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٢٠م) ، ق٢ ، م٢ ، ص٣٠٤ ؛ القلقشندي ،ابن أبي العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : محمد حسين شمس الدين،(دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٧م)،ج١٣، ص٢٨٠؛ اليوسف ،نفسه ، ص٢٦ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٦ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص١٩٤ .

(٤) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٧٣ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص٢٣ .

(٥) من خلال التنقيبات الأثرية التي جرت في مدينة تكريت ، تبين ان هذه المدينة قد شهدت ظهور طراز خاص من الأديرة التي يرجح علماء الآثار انها كانت مخصصة للنساء (البنات) وقد كشف عن واحد منها في الشمال غرب المدينة القديمة وخارج أسوارها ، والموقع عبارة عن بناء تحت مرتفع من الأرض على شكل سلسلة متصلة مع بعضها من الغرف الصغيرة المسقفة كل واحدة منها بقبة صغيرة ولها باب ينفتح إلى ممر مشترك ، يعرف موقعها حالياً بـ(الخمس أصابع) . فضلاً عن= = ذلك فان

وتحتوي الأديرة أيضاً على **الأكْراح** : وهي بيوت يخرج إليها النصارى في بعض أعيادهم[(١)]، وهي مرادفة لكلمة (**صرح**) أي البناء العالي ، ويذكران معناها الصحيح الحجرة أو القلاية وهو ما ورد عند الحبشية[(٢)] .

وروى الخالدي : ((**الأُكْيَراح بيوت صغار يسكنها الرهبان الذين لا قلاليَّ لهم . يقال لواحدها كَرح**))[(٣)]، ويشار إلى أن لفظة الأُكْراح سريانية الأصل من كَرحو chouiho ومعناها الكوخ ، أو بيت الراهب والناسك ، أو قلاية الراهب ولا توجد إلا في أديرة العراق[(٤)].ومن الديارات ما اشتهرت بالأُكَيْراح كدير حنة (بظاهر الكوفة) ، وهو يقع في مكان كثير البساتين والرياض وفيه يقول الشاعر :

يا دير حَنَّةَ من ذات الأُكَيْراح   من يصحُ عنكِ ، فإني لست بالصاحي[(٥)]

وتحتوي بعض الأديرة على الاسطوانة : وهي أشبه بالسارية والعمود الذي يتعبد فوقه بعض الرهبان ، لذا يطلق عليهم ((**العموديين**)) ، ويذكر أن الفرق بينها وبين العمود إنها تكون بناءً بينما يكون العمود من الحجر(٦).كذلك تحتوي الأديرة على (الناموس) : وهو بيت الراهب أو الهيكل(٧). أما الناؤوس فقد ورد ذكره بأنه ((مقبرة النصارى))(٨). وربما هي المقابر التي تكون في الديارات .

هناك بناءاً أثرياً يقع على حافة نهر دجلة الغربية شمال المدينة القديمة ، ما بقي منه يمثل اجزاءاً من كنيسة ، ومن المحتمل أن هذا البناء كان يمثل ديراً كبيرًا وقد تهدمت الكثير من أجزائه .

(١) ابن سيدة ، المخصص ، سفر ١٣ ، ص١٠٣ .

(٢) شيخو ، النصرانية وآدابها ، ق٢ ، ص٢١٣ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٤٥ .

(٤) شيخو، النصرانية وآدابها ، ق٢، ص٢١١ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص٢٢ .

(٥) البيت للشاعر أبي نؤاس ، الحسن بن هانئ بن عبد الله الأول بن صباح الحكمي شاعر العراق في عصره ، ولد في الأهواز ورحل إلى بغداد ، اتصل بالخلفاء العباسيين وقام برحلة إلى دمشق ومصر وعاد إلى بغداد ، توفي سنة ١٩٥هـ .ينظر : ديوانه ، تحقيق :احمد عبد المجيد الغزالي ، (د . مط ، القاهرة ، ١٩٥٣م) ،ج١ ، ص١٩٠ ؛ ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩م) ، ج١ ، ص١٣٥ .

(٦) شيخو ، النصرانية وآدابها ، ق٢ ، ص٢١١ .

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ، ص١٣٠ .

(٨) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوي ، ج ١ ، ص٢٠ .

أما (**التامور**) فهو من محتويات الدير الأخرى ، ولا يختلف في وصفه عن الصومعة ، ويكون في محل مرتفع ، وقيل : هو صومعة الراهب وناموسه[١]. وقد وردت كلمة تامور في الشعر الجاهلي في قول الشاعر عن الراهب : ((**ولَـهمَّ من تامورهِ يتنزَّلُ**))[٢].

ولا تخلو الديارات عادةً من المدرسة، ويطلق عليها بالسريانية لفظة ((**اسكول**)) وهي مأخوذة عن اللفظة اليونانية ، وأغلب هذه المدارس لاهوتية[٣] دينية[٤].

---

(١) شيخو ، النصرانية وآدابها ، ق٢ ، ص٢١٢.

(٢) شيخو، نفسه ، ق٢ ، ص٢١٢ .

(٣) ويقصد باللاهوت عند (اوغست كونت) هي الحالة التي اتجه فيها الفكر البشري إلى تعليل ظواهر الطبيعة بأسباب غيبية ، مفارقة للطبيعة ، كأن العالم بأسره مسرح لقوى إلهية مختلفة تدبر الأشياء بحسب أغراضها المشابهة لأغراض الإنسان وأهواءه . ينظر : صليب ، جميل ، المعجم الفلسفي ، (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣م) ، ج٢ ، ص٢٧٧-٢٧٩ .

(٤) بدوي ، عبد الرحمن ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ط٤ ، (دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص٥٣-٥٤ .

سكان الأديرة النصرانية

الرهبان هم سكان الأديرة النصرانية ، ويرد تعريف الراهب في المعاجم اللغوية على انه أحد رهبان النصارى[1]، والرهبانية مصدر الراهب[2]، والرهبنة تأتي من الرهبة بمعنى الخوف ، وقيل ((**ترهب الرجل أي صار راهباً يخشى الله**))[3]، وقيل الراهب هو: ((**المتعبد المنقطع في الصومعة**))[4]، وهو الذي حبس نفسه على العبادة في الخلوة[5]. وجمع كلمة راهب رهبان[6] ورهابنة[7]، فهي ترد بمعنى المتعبدين[8]، وقيل في تعبد الراهب : ((**فبنى صومعة وترهب فيها**))[9].

وقد ورد ذكر الرهبان في القرآن الكريم ، لتواضعهم [10]، وقولهم الحق

---

(١) العلايلي ، عبد الله ، تجديد صحاح الجوهري ، إعداد وتصنيف : نديم مرعشلي ؛ أسامة مرعشلي ، (دار الحضارة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م) ، م١ ، ص٥١٤ .

(٢) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي ؛ إبراهيم السامرائي ، (دار الرشيد للنشر ،عمان ، ١٩٨٢م) ، ج٢ ، ص٤٧ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص١٢٣٧ ؛ الشنشناوي ، أحمد ، وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، إشراف الشنشناوي وعبد الحميد يونس ، مراجعة وزارة المعارف ، م١٠ ، ص٩ .

(٤) ابن سيدة ، المخصص ، سفر ١٣ ، ص١٠٣ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ج١ ، ص٢٣٣ ؛ القلقشندي ،صبح الأعشى، ج٥ ، ص٤٧٤ ؛شوريز ، الفونس جميل ، الكنيسة الكلدانية في التاريخ ، (مط الكلدانية ، الموصل ، د. ت) ، ص١٠ .

(٦) ابن سيدة ، المخصص ، سفر ١٣، ص١٠١ ؛ القرطبي ، أبى عبد الله محمد بن احمد الأنصاري ، الجامع لاحكام القرآن ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م) ، ج٦، ص٢٥٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص١٢٣٧ .

(٧) الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان في تفسير القران ، ضبط وتعليق : محمود شاكر ، تصحيح : علي عاشور ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١ م) ، م٥ ، ص٤ .

(٨) الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق :احمد عبد الغفور عطار ، (د.مط ، القاهرة ، ١٩٥٦) ، ط٤ ،(دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م) ، ج١ ، ص٥١٤ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ط٢ ، ج٢ ، ص٤٤٧ .

(٩) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند احمد بن حنبل ، ترتيب وتنظيم : لفيف من المستشرقين ، نشر: ونسنك ؛مسنبخ ، (مط بريل ، ليدن ، ١٩٤٣م) ، ج٢ ، (خّب– سنر) ، ص٣١٢ .

(١٠) تفسير الآية :٨٢ من سورة المائدة . الطبري ،جامع البيان ، م٥ ، ص٢ ؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج٦ ، ص٢٥٥ .

واتباعهم والإذعان له ، قوله تعالى : ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ))[١].

وترد كلمة راهب أو صاحب الدير بمعاني مختلفة منها: الناسك [٢]، والنهامي[٣] ((**لأنه ينهم أي يدعوا**))[٤]، والربيط[٥]، والحبيس أي ((**المحبوس في سبيل الله**))[٦] كما يدعى بالأبيل ((**ومعناه الناسك الزاهد بالدنيا**))،وأطلقوا على المسيح ﷺ أبيل الأبيلين ، لأنه كان بزهده وتقواه قدوة لغيره من الرهبان[٧] .

وللشاعر الجاهلي[٨] في ذلك :

وما سَبَّح الرهبانُ في كلّ بيعةٍ ... أبيلُ الأبيلين المسيحُ بن مَريْما

وقال آخر[٩]:

إني وربِّ الساجدين عشيَّةً ... وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها

ويطلق المرجي على الرهبان أسم الطوباويين.[١٠]ومن معاني الرهبانية عند النصارى الإمتناع عن الزواج ، والإنعزال عن العالم ، لأنهم يبغون الوصول للكمال

---

(١) سورة المائدة، آية :٨٢ ، وترد في مواضع أخرى منها : سورة التوبة ، آية :٣١ و٣٤ ؛ سورة الحديد ، آية : ٢٧.

(٢) الناسك : هي كلمة يونانية تعني الصحراء مرادفة لكلمة راهب . ينظر : حتي ، فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد ، عبد الكريم رافق ، (مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٨م) ، ج١ ، ص٤٠٤ .

(٣) المنْهمة مكان مخصص لسكن النهامي أو النَّهام . شيخو ، النصرانية وآدابها ، ق٢ ، ص٢١٠ .

(٤) ابن سيدة ، المخصص ، سفر ١٣ ، ص١٠١ .

(٥) ابن سيدة ، نفسه ، سفر ١٣ ، ص١٠١ .

(٦) برصوم ، رسالة في الألفاظ السريانية ، ص٥٠ . ويذكر ان الحبيس كان يقضي فترة طويلة أو مدة حياته كلها في محبسة صغيرة أو صومعة ضيقة . وقد بلغ الأمر ببعضهم إلى إغلاق جميع المنافذ ما خلا فتحة صغيرة يتلقون من خلالها ما يكفيهم من القوت الذي ياتيهم من الدير أو من المحسنين . ينظر : شكري ، منير ، أديرة وادي النطرون ،(د.مط ، د.م ، ١٩٦٢م) ، ص ١١٩ ؛ البير أبونا ، تاريخ الكنيسة الشرقية ، (مط العصرية ، الموصل ، ١٩٧٣م) ،ج١ ، ص١٦٦-١٦٧ .

(٧) شيخو ، النصرانية وآدابها، ق٢ ، ص١٨٧ .

(٨) الجواليقي ، موهوب بن احمد ، المعرب من الكلام الأعجمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط٢مزيدة ومنقحة ، (مط دار الكتب ، د.م ، ١٩٦٩م) ، ص٧٨ ؛ شيخو ، نفسه ، ص١٨٦و١٩٠ .

(٩) ابن سيدة ، المخصص ، سفر١٣ ، ص١٠٠ ؛ الجواليقي ، نفسه ، ص٧٩ .

(١٠) المرجي ، الرؤساء ، ص٢٠ .

الإنساني ليحضوا بحب الله[١]. وعُرف الترهب بأنه ((**التأبد والانقطاع عن النكاح ولا تكون في الإسلام وليست مأمور بها**))[٢]، وهي في عرف النصارى بمثابة عملية جهاد[٣] ويصفهم الشابشتي بأنهم : ((**بررة ... وسيرتهم صالحة لا تأخذه هزة الشوق للحضوى يقضون أوقاتهم في العبادة والقنوت والصوم والصلاة المتواترة ويسهرون الليل تهجداً وتسبيحاً ويقتصرون على فطورهم في الأصوام على الخبز وشرب الماء الأجاج**))[٤].

أما البيروني فيقول عنهم : ((... **يعذبون أنفسهم حتى تفنى رطوبتهم ولا يبقى بين عظامهم وجلودهم واسطة إلا قليلا فيخمدون خمود السراج إذا أنصفت مادته وربما يبقون متكئين على عصيهم أحقاباً وذلك أمر مشاهد في ديارا تهم**))[٥].

وعُرف الرهبان بزهدهم ، وكانوا بذلك مثلاً يحتذى به ، إذ كان يقال للمسلم التقي انه زهد وأصبح راهب العرب[٦].

ولقب الناس الرهبان بـ(**البكاة**)[٧]، لبكائهم من خشية الله . ويذكر عن الإمام علي رضي الله عنه أنه سأل أحد الرهبان عن سبب بكائه فقال : ((**ذكر المعاد وتخوف النداء ، قالوا : وما أعددت لذلك قال : وأين تبلغ العدة ؟ إنما هو عفو الله أو النار يسره**))[٨].

وقد ورد سجن الرهبان لأنفسهم ، فسئل أحدهم عن سبب سجنه لنفسه ؟ فأجاب : ((**أيقَنْتُ أني خارجٌ منها كارهاً فأحببت أخرج منها طائعا**))[٩].

---

(١) وجدي ، محمد فريد ، دائرة المعارف القرن العشرون ، (الرابع عشر – العشرون) ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) ، م٤ ، ص٢٩٧ .

(٢) ابن سيدة ، المخصص ، سفر ١٣ ، ص١٠٠ .

(٣) الحلبي ، جبرائيل القرداحي ، اللباب (كتاب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية) ، (مط الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩١) ، ج١ ، ص٦ .

(٤) الشابشتي ، الديارات ،تحقيق :كوركيس عواد ،ط١ ، (مط المعارف ، بغداد،١٩٥١م)، ص٢٦٧ .

(٥) البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، (د. مط ، لا يبزك ، ١٩٢٣م) ، ص٢٩٠ .

(٦) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، هذبه ورتبه : عبد القادر مصطفى ، (مط الترقي ، دمشق ، ١٣٣٠هـ) ، م٢ ، ص٤٥١ .

(٧) ولقبوا بالسعداء لسعدهم مما سيلقون في الآخرة . شوريز ، الكنيسة الكلدانية في التاريخ، ص١٠.

(٨) ابن عساكر ، تهذيب تأريخ ابن عساكر ، ص٤٤٣ .

(٩) التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد ، البصائر والذخائر ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، (مط أطلس ومط الانشاء ، دمشق ، ١٩٦٤م) ، م١ ، ص٢٤٧ .

ومن يقرأ في شعر الأخطل التغلبي[١] يجد وصفاً لبعض أحوال الرهبان منها قوله[٢]:

إني وربِ النصارى عند عيدهم — والمسلمين إذا ما ضمهما الجَمْع

وربِ كلّ حبيس فوق صومعة — يمشي ولا همَّه الدنيا ولا الطمع

والملبدين على خوصٍ محذّمة — قد بان فيهن من طول السرى خضع

وقد أشارت المصادر النصرانية إلى تفضيل الحياة الديرية التي تشتمل على مجموعة من الرهبان من الحياة الإنفرادية وانعزال الراهب وحده : ((**ان العيشة المنفردة فضلاً عن إنها قابلة مخاطر كبيرة فإنها مع ذلك خالية من ممارسة الفضائل اللازمة للكمال المسيحي وبالنتيجة لا يعيننا على اكتساب الفضايل مثل العيشة المشتركة لأنه كيف يمكن لذلك ان يمارس فضيلة التواضع وليس له ما يتضع له وكيف يمكن ان يمارس فضيلة المحبة والرحمة وليس عنده من يشاركه وكيف يمكن ان يمارس فضيلة الصبر وليس له من يضاده بما يريد وأما الراهب الثابت مع الجماعة فله فرصة ممكنة وأسباب كثيرة في اكتساب الفضايل لأنه معه ومن يتضع له ويمارس نحوه فضيلة الصبر والمحبة**))[٣].وهذا النص يشير إلى مدى التطور الذي جرى على حياة الرهبان عبر العصور .

---

(١) الأخطل : غياث بن غوث بن الصلت بن الطارق ، شاعر مصقول الألفاظ ، حسن الديباجة في شعره إبداع وهو من الثلاثة المتفق على إنها أشعر أهل عصرهم (جرير والفرزدق) ، نشأ على المسيحية وتهاجى مع جرير والفرزدق كان كثير العناية بشعره وله ديوان مطبوع . الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط٤ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت) ، ج٥ ، ص٣١٨ .

(٢) الأخطل ، شعر ألاخطل ، رواية : أبى عبد الله محمد بن العباس ، تحقيق : الأب انطوان صالحاني اليسوعي ، (مط الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩١) ، ص٧١ .

(٣) كتاب في آداب الرهبان ، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب ، جامعة بغداد ، الفصل الخامس والعشرين ، رقم ١١٢١ ، ص زلط . نقلاً عن الربيعي ، جاسم صكبان علي ، نصارى العراق في العصر الأموي (٤٠هـ-١٣٢هـ/٦٦٠م-٧٥٠م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٤م ، ص١٠١ .

ظهور الديانة المسيحية وعلاقتها بفكرة الرهبنة

ظهرت المسيحية في بادئ أمرها في البيئة اليهودية داخل فلسطين وخارجها ، وكان بعض اليهود قد استمتعوا بالديانة الجديدة ، نتيجة لإيمانهم بالإله الواحد ، وانتظارهم لمجيء السيد المسيح عليه السلام ، للخلاص من عبودية الرومانيين ، ورأى الكثير منهم أن هذا الدين هو تحقيق لما وعد الله به شعبه بوساطة الأنبياء فتقبلوها واعتنقوها ، إلا أن الأغلبية الساحقة من اليهود كانوا بانتظار مسيحاً يهتم بهم سياسياً فيرد على إسرائيل سطوتها الحربية البائدة، وهذا مغاير لما تدعوا إليه الديانة الجديدة من الحب والأخوة والسلام ، لذا تصدوا لها وقاوموها ، وشنوا عليها حرباً ضارية[١].

وكانت الدولة الرومانية قد أخضعت تحت سلطاتها السياسية والعسكرية جميع البلدان الواقعة في شرق البحر المتوسط منذ عام ٦٤م أي قبل قيام الدعوة المسيحية ، ونشرت في مدنها اللغة والثقافة الإغريقية.وكان للوحدة السياسية ووحدة اللغة وكثرة الطرق الآمنة وقوة مبادئ الدين الجديد ومثالية السيد المسيح عليه السلام ،دورها في نشر أفكار الدين الجديد بسرعة فائقة . وكان الكثير من الناس في العالم القديم مناصرين لهذا الدين لأنه اجل من الأديان الوثنية القائمة آنذاك ، مما كان سبباً في انتشاره بين الناس[٢].

إلا أن السلطات الرومانية ظلت متمسكة بالديانة الوثنية لأنها بالنسبة لهم تراثاً لا يمكن التخلي عنه ، واعتبروا هذا الدين خرافة أستحدثها المسيحيون ، لذا عدوا المسيحيين قوماً مارقين ومثيري قلاقل ومشاكل فقد خانوا وطنهم وتخلوا عن قوميتهم وتراثهم التليد ، فأمتعض الوثنيون من المسيحيين فناصبوهم العداء واضطهدوهم اضطهاداً شنيعاً[٣].

غير أن غيرة الرسل[٤]، وثبات المسيحيين الأوائل على عقيدتهم كان الأقدر على

---

(١) يتيم ، ميشيل وديك ، اغناطيوس ، تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية ، ط٢ منقحة ، (مط الاحسان ، حلب ، ١٩٦٣م) ، ص١٢ ؛ حبي ، يوسف ، كنيسة المشرق ، الفجر الأصيل ، (د.مط ، بغداد ، ١٩٨٨م) ، ص٣٢٧-٣٢٨ .

(٢) يتيم وديك ، نفسه ، ص١٣ ؛ حبي ، نفسه ، ص٣٢٧ .

(٣)) يتيم وديك ، نفسه ، ص١٣ ؛ حبي ، نفسه ، ص٣٢٧-٣٢٨ .

(٤) وهم الحواريون الاثنى عشر الذين اخذوا يبشرون بالدين المسيحي بعد السيد المسيح عليه السلام ومنهم : القديس بولس والقديس بطرس الذي بشر بالدين المسيحي في أواسط أسيا الصغرى ، وفي مدينة كورنتس وفي بلاد اليونان ، والقديس يعقوب الذي بقي يسوس الكنيسة بعدما رحل عنها سائر الرسل والقديس سمعان نسيب القديس يعقوب،والقديس اندراوس الذي بشر بالإنجيل سكان شواطئ البحر الأسود ، والقديس تداوس الذي بشر أهل العراق والجزيرة والرها ، والقديس توما الذي بشر في= =الهند ، والقديس يوحنا . ينظر : جيبون ، ادورد ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، نقله إلى

التبشير بالدين الجديد ونشره وهذا قد غلب العداوة وقلب العالم الروماني وطهره من أخطائه الروحية [1].

وتمكن زعماء اليهود من إنهاء حياة المسيح عليه السلام [2] تفادياً منهم لمنع حدوث أي حركة انشقاق أو اضطراب بين الشعب ، وللحد من قيام دعوة ناشطة قد تودي بالخطر عليهم[3]. بينما ظل رسله يناهون بقيامه ويعلنونه مسيحاً ورباً فاستاؤوا من ذلك وقبضوا عليهم ومنعوهم من الكلام عنه ، وقرروا أن يكون الإعدام هو جزاءاً لمن أعتنق المسيحية ، فكانوا يتعمدون ايذاءهم كلما وجدوا سبيلاً لذلك[4]. إلا أن هذا الأمر لم يرض الرسل فأبوا إلا التحدث بما رأوا وسمعوا ، لذا القوهم في السجن وضربوهم بالسياط وهددوهم بالقتل ، فتقبل الرسل هذه العذابات بفرح في سبيـل المسيح عليه السلام

الفصل الأول

العربية : محمد أبو درة ، راجعه وقدم له : احمد نجيب هاشم ، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، د.ت ، د.م) ،ج١ ، ص٤٢٢ ؛ يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص١٨-١٩.

(١) يتيم وديك ، نفسه ، ص١٣ .

(٢) تختلف وجهة النظر الإسلامية في إبداء الرأي حول نهاية السيد المسيح عليه السلام فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ((فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بأيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما * وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا)) سورة النساء ، الآيات :١٥٥،١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩ .

(٣) يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ،ص١٣ ؛ ايمار ، اندريه ؛ أوبواية ، جانين ، روما وإمبراطوريتها ، إشراف : موريس كروزيه ، ترجمة : يوسف اسعد داغر؛ فريدم داغر ، (منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٤م) ، ص٤٢٠ .

(٤) اوليري ، د.لاسي ، علوم اليونان وسبل انتقالها للعرب ، ترجمة : وهيب كامل ، مراجعة : زكي علي، نشر مكتبة النهضة المصرية ،(مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر،١٩٦٢م) ، ص٥٥؛ يتيم وديك ، نفسه ، ص١٤؛ طاهر ، خليل ، الأديان والإنسان منذ مهبط آدم حتى : اليهودية المسيحية الإسلام ، تقديم ومراجعة عبد الحليم محمود ،(دار مأمون للطباعة، د.م ، د.ت)،ص٢٩٧ .

وتابعوا سيرتهم بالتبشير بشجاعة وجرأة كبيرة ، حتى أن استفانوس الشماس[١]قُتل لأنه كان يحاجج اليهود بقوة ، ثم أعقب ذلك الاضطهاد الشديد الذي كان سبباً في تشتت المؤمنين في أنحاء يهوذا والسامرة . كما جدد الملك هيرودوس أغريبا[٢]اضطهاده للمسيحيين سنة ٤٢ م رغبة منه لإرضاء اليهود الذين باتوا محرضين ومحركين للدولة الرومانية في شن اضطهادها للنصارى ، لأنهم كانوا ألد أعدائهم ، من خلال رفضهم للإيمان بالسيد المسيح عليه السلام وبالتالي تنكرهم لكتابهم واستهزائهم بنبيهم فاعتبروا المسيحية تحدياً كبيراً لدينهم[٣]. وبقي اليهود في مضايقتهم للرسل ومطاردتهم ، وكنتيجة لتلك المضايقات والمطاردات وبتأثير القوة السماوية ،وجدت الديانة المسيحية منفذاً لها وفرصة مواتية لانتشارها بسرعة خارج الإمبراطورية الرومانية[٤]، وخروجها من محيطها الضيق في القدس وانتشارها في أنحاء المعمورة ، فتسربت إلى جميع أرجاء يهوذا والسامرة والجليل وسوريا ومدن فينيقية[٥] وقبرص ، وبلغت إنطاكية عاصمة سوريا آنذاك . وأضحت هذه المدينة مقراً هاماً للديانة المسيحية،ونقطة الانطلاق بالنسبة للعالم الوثني . في حين كانت القدس مركز التبشير بالنسبة لليهود[٦].

(١) وهو أول من قتل من الأتقياء المسيحيين بعد إنهاء حياة السيد المسيح عليه السلام نتيجة شجاعته للوقوف بوجه اليهود ، وكان لمقتله سبباً في نشر المسيحية خارج القدس بشكل واسع ومنظم .ينظر: القيصري ، يوسابيوس ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة : مرقس داود ، نشر: دار الكرنك للطبع والتوزيع، (مط الوحدة ، القاهرة ، د.ت) ، ص٦٤ ؛ يتيم وديك ، نفسه ، ص١٥٠ .

(٢) هيرودوس اغريبا : حصل اغريبا على مملكة هيرود اليهودية ولو لفترة قصيرة حيث توفي اغريبا سنة ٤٤م بعد أن منحها اياه الإمبراطور كلوديوس الأول سنة ٣٨م .ينظر: داوني، جلانفيل ، انطاكيا القديمة ، ترجمة بإشراف : إبراهيم نصحي ، (دار نهضة مصر للطبع والنشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة – نيويورك ، ١٩٦٧م) ، ص١١٠ ؛ جونز، أ.هـ.م ، مدن بلاد الشام ، ترجمة : إحسان عباس ، (دار الشروق ، عمان ، ١٩٨٦) ، ص٨٦ ؛ سوسة ، احمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ط٢ ، (دار الاعتدال ، دمشق ، د.ت) ، ص٣٢٥ .

(٣) يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص١٥ ؛ طاهر ، الأديان والإنسان ، ص٢٩٧ .

(٤) القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ص٦٩ ؛ اوليري ، علوم اليونان ، ص٥٥ ؛ يتيم وديك ، نفسه ، ص١٥ ؛ جمعة ، إبراهيم ، مذكرات في تاريخ العرب الجاهلي وصدر الإسلام ، (دار الطباعة الحديثة عشتار . البصرة ، ١٩٦٥م) ، ص٤٨ .

(٥) من المدن الفينيقية ، صور ، صيدا ، جُبل ، بيروت ، عكا .

(٦) يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص١٦ ؛ داوني، إنطاكية القديمة ، ص١٥٨ .

وقد نال الرسل نتيجة لذلك التبشير الاضطهاد من الإمبراطورية الرومانية واليهود حيث تعرض القديس بطرس لاضطهاد عنيف وقُتل بأمر الإمبراطور نيرون[(١)] عام ٦٤م ، وقُتل القديس بولس في نفس الاضطهاد [(٢)]. أما القديس يعقوب فقد القاه اليهود من فوق سور الهيكل فهبط إلى قعر وادي قدرون حيث رجموه فمات . أما القديس يوحنا فقد قبض عليه الإمبراطور دوميتيانوس وعذّبه في روما ثم نفاه إلى جزيرة بطمس[(٣)] .

---

(١) هو ابن زوجة الامبراطور كلوديوس ، تولى الحكم بعد وفاة كلوديوس وهو في السادسة عشرة من عمره ، تربى على يد الفيلسوف سينيكيا ،اهتم بالجيش فساد الهدوء في الإمبراطورية ، وتم عقد معاهدة سلم مع بارثيا أمدها خمسون عاماً .اتسمت سياسته الداخلية بالقمع والارهاب فأعدم عدداً كبيراً من النبلاء ،وصادر أموال الكثير عام ٦٢م . من ابرز أحداث عصره الحريق الكبير الذي شب في روما سنة ٦٤م واتى على اكثر من نصفها ، وقد وجه تهمة الحريق للمسيحيين لابعاد الشكوك عن نفسه ، فشن حملة اضطهاد قاسية ضدهم فكانت أولى حملات الأضطهاد التي تعرضوا لها . ينظر: رشاد ، عبد المنعم ؛عبو ، عادل نجم ، تاريخ اليونان والرومان ، (مط جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٩٣م) ، ص٣٢٧-٣٢٨ .

(٢) القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ص١٠١-١٠٢ ؛ يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص١٦ .

(٣) بطمس **pathmas** : جزيرة يونانية في بحر ايجة ٣٥كم٢ .براورز و آخرون ، المنجد في اللغة و الأعلام ، ط١٦، (دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص١٣٠ .

البدايات الأولى لنشوء الرهبنة النصرانية في مصر

تُعد الرهبنة من النظم العقائدية التي ظهرت عند النصارى منذ نهاية القرن الثالث الميلادي ، واتصفت بالزهد والتنسك والالتزام بأنظمة صارمة من العزلة والانقطاع عن العالم ، غير أن هذا النظام العقائدي لم يكن من ابتدع النصارى وحدهم بل سبقهم بذلك الأتقياء والفلاسفة والمفكرون الوثنيون ، والبوذيون . إذ عدت الهند من أقدم البلدان التي أنتشر فيها الرهبان ، حيث قدست البوذية الأشخاص الذين كرسوا حياتهم لأمور الدين عازفين عن الدنيا وما فيها(١).

وعُرفت الرهبنة أيضاً عند أصحاب الأديان التي تنادي بالوحدة فعدوا العزلة عن عالم المحسوسات مجالاً لصقل النفوس وجلاء التفكير للوصول إلى نفس تتبع الخيرات وتنبذ الشر ، كما عُرِفَت عند المصلحين من اليهود و بلغت أوجها في القرن المسيحي الأول ، وغرض هذه الجماعة المكونة من نساء ورجال أن يشفوا أنفسهم من الأمراض النفسية التي تصيبهم في حياتهم اليومية ، مثل اللذات ، والآلام والخوف ، وكان الشخص يغرق قي تأملاته إلى درجة الابتعاد عن تناول الطعام ثلاثة أيام أو أكثر ، وقد أُطلق على هذه الفرق الرهبانية (شيع الاسينين)(٢). والذين كانوا على ضفاف البحر الميت(٣). كذلك عرفت الحضارات العراقية القديمة بعض مظاهر الحياة الرهبانية(٤)، كما

---

(١) حبي ، دير الربان هرمزد ، ص١٤ .

(٢) شكري ، أديرة وادي النطرون ، ص١٦ ؛ قب ، متوديوس زهيراني، لوحات من تاريخ الكنيسة، (د. مط ، حلب ١٩٦٣م)،ج٢ ،ص٧٧ ؛ البير أبونا، تاريخ الكنيسة، ص١٦٧؛حبي،نفسه ص١٤-١٥.

(٣) وقد ظهرت هذه الفرقة في فلسطين حوالي القرن الثاني ق .م ، وكانت لها صبغة اشتراكية ، اعتزلت المدن و أقام أفرادهـقرب البحر الميت في الكهوف والمغاور واتخذوا لهم نظاماً نسكياً خاصاً دقيقاً قائماً على الصرامة والتقشف و اتباعها من الرجال فقط ، ومن خصائصهم انهم يرفضون الذبائح والقرابين و يحرمون الملكية الفردية من أي نوع كانت و يدعون إلى التعايش السلمي بين الشعوب ، وكانوا يهتمون بالطهارة فيغتسلون كل صباح في مياه الينابيع الصافية ، وكانوا يعيشون على ما يزرعونه من الحبوب والفواكه ، وكانوا يستحضرون العقاقير ويجمعون الحشائش ويشتغلون بشفاء الأمراض ، انقرضت هذه الفرقة أواخر القرن الأول الميلادي بعد تدمير الرومان للقدس . ينظر : سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص٤٥٠ .

(٤) من البدع التي ابتكرها الرجل بعد إن انتشرت الملكية الفردية في المجتمع العراقي القديم وخاصة بعد الفتوحات الواسعة النطاق التي قام بها ملوك سلالة بابل الأولى ، عادة تقديم البنات إلى المعابد كنذور للآلهة ، وكانت هذه العادة معروفة عند سكان وادي الرافدين منذ العصور السومرية إلا أنها ازدادت وانتشرت في العصر البابلي القديم عندما ظهرت طبقة من العوائل الغنية على اثر ظهور الإقطاع نتيجة لتوزيع الأراضي التابعة للدولة على قواد ومنتسبي الجيش . لذا أخذت العوائل تخشى=

عرفها المصريون واليونانيون[١]. غير إن المصادر النصرانية تنفي وجود علاقة بين الجماعة النسكية كجماعة وهليوبوليس (عين شمس) [٢] وجماعة ممفيس، والجمنوسوفيست[٣] في طيبة ، أو تأثيرها على الرهبنة النصرانية التي وضع أُسسها انطونيوس ، وآمون ، وباخوم ، ومكاريوس ، الذين كانوا من طبقة الفلاحين محدودي الثقافة ، ولم يُعرف عنهم كثرة التنقل في البلاد والسفر إلى الخارج[٤] .

وقد اختلفت مظاهر الرهبنة عبر العصور في مجالات شتى سواء أكان ذلك في الطريقة أم الحياة ، فمن نسك توحيدي يعتزل به المرء عن العالم وينقطع منفرداً إلى ربه ، إلى تجمع رهباني في الديارات التي كانت لها حرمتها ، والتي كرست حياتهم لخدمة الله والمجتمع ، إلى اندماج كلي مع حياة الآخرين دونما تميز عنه بالملبس

الفصل الأول

=على ممتلكاتها من التوزيع والضياع فابتكرت وشجعت عادة الرهبنة للفتيات فأصبحت البنت تقدم إلى أحد الآلهة من قبل الأب أو الأخ الكبير ، ويكون مركزها الاجتماعي بالنسبة إلى ذلك الإله كمركز البنت بالنسبة إلى حميها وعندئذ كان أبوها يعطيها حصة من ممتلكاته . وقد سكن معظم هؤلاء الفتيات في أبنية خاصة قريبة من المعابد تشبه الأديرة في الوقت الحاضر تدعى(**gagu**) ، وكن يقضين معظم سني حياتهن في هذه المساكن وعند وفاتهن تعود ممتلكاتهن إلى اخوتهن . وترجمة بعض الباحثين المصطلح (**gagu**) بالدير (**cloister**) للشبه الملحوظ بين هذه الأبنية والأديرة النصرانية . كما استعملوا لقب الكاهنة (**priestes**) بالنسبة للنساء المنذورات إلى الآلهة . ولكن يجب علينا التحفظ من استعمال هذه الألفاظ لعدم معرفتنا طبيعة الخدمة التي كانت تقدمها المنذورات إلى المعابد ، وعلى الرغم من أن الدافع الديني أي التقرب إلى الآلهة كانت من الأسباب الرئيسية لتكريس البنات للخدمة في المعابد . ومن مظاهر الرهبنة الأخرى التي ظهرت عصرئذ (الكاهنة انتو المنذورة) التي كانت ممنوعة من الزواج أو الدخول إلى الحانات أو القيام ببيع الخمور. للمزيد من المعلومات ينظر : عقراوي ، ثلما سننيان ، المرأة ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، أطروحة ماجستير مطبوعة ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨م) ، ص٢٧ ، ٢٨ ، ١٦٤ ، ١٦٩.

(١) حبي ، دير الربان هرمزد ، ص١٤-١٥ .

(٢) هليوبوليس : مدينة مصرية قديمة تقع شمال شرق القاهرة تعد (مهد كل اله) في الدولة المصرية الوسطى . وفيها معبد كبير لم يبق منه الآن إلا مسلة (نوترت الاول) التي تشير إلى ذلك المكان ، وان عمائره الدينية كانت تنافس عمائر طيبة ومنف (العاصمتين المصريتين الجنوبية والشمالية) ، شاهدها المؤرخ الإغريقي هيرودوت وهي في أجمل بهائها وناقش الفيلسوف الإغريقي أفلاطون كهنتها وكان يطلق عليها قديماً اسم (اون) وقد احتضنت مدرسة فكرية لها طابعها النظري في الفلسفة. ينظر: دوماس ، فرانسوا ، آلهة مصر ، ترجمة : زكي سوس ، (الهيئة العامة المصرية للكتاب ، مصر ، ١٩٨٦م) ، ص١٠٧ .

(٣) ويبدو أن جماعة ممفيس والجمنوسوفيست لهم عقائد مماثلة لجماعة هليوبوليس في العبادة ، ومن خلال البحث لم اعثر على تعريف يوضح لنا طريقة العبادة التي كانوا عليها .

(٤) شكري ، أديرة وادي النطرون ، ص١٧ .

والمظهر ، ما خلا تجسيد فكرة الرهبانية في الحياة الخاصة ، وذلك بالتجرد عن مغريات الحياة المادية والنزوع نحو حياة إنسانية روحية ودينية عميقة بتكريس الذات لله بالصلاة والتأمل ، وللآخرين بالبذل والعطاء(١).

وتعتبر الرهبنة النصرانية وليدة بعض الظروف التي مكنت من رواجها في القرن الرابع الميلادي ، فبعد إعلان مرسوم ميلانو (سنة ٣١٣م) كان الأتقياء من النصارى لا تزال أنفسهم تواقة إلى التضحية لإثبات حبهم للسيد المسيحعليه السلام فمالت إلى النسك والزهد والتقشف ، ونبذ ملذات الحياة (٢). وكان للاضطهادات التي نالها النصارى سببٌ آخر من أسباب الرهبنة ، فخوفاً من أن تكون تلك الاضطهادات سبباً في نكرانهم الإيمان التجأوا إلى البراري والقفار ، وإذا ما كان النصر للكنيسة فهم في حياة طيبة إلى جوار ربهم ، أما السبب الآخر فينحصر في اعتناق العديد من الوثنين للنصرانية لاسيما بعد تنصر الأباطرة الرومانيين ، فلم يكن الجميع مقتنعين من الصميم بهذه الديانة ، مما أدى إلى هبوط مستوى التقوى لدى النصارى ، فظهرت حركة التنسك والرهبنة كرد فعل ومحاولة لإعادة روح وجوهر الديانة النصرانية(٣).

ومن الملاحظ أن الرهبنة النصرانية نشأت انطلاقاً من حاجة الإنسان إلى تلبية نداء السيد المسيح عليه السلام الداعي إلى التجرد عن كل شيء في سبيل الحياة الأبدية ، فان المطلع على الأناجيل يجد فيها الإشارات الواضحة على ذلك كقولهعليه السلام: ((**إن شئت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع مالك وأعطه للمعوزين فيكون لك كنز في السماوات ، ثم تعال واتبعني**))(٤). فهو يؤيد بكلامه هذا على ترك الدنيا والفوز في الآخرة من خلال التخلي عن الغالي والنفيس . ولن يكون ذلك إلا بالانعزال والانفراد الذي هو أحد قوانين الرهبنة .

وأكد على ان يكون تلاميذه والمقتدون به من العاكفين على العبادة بعيدين عن ضوضاء الحياة وان يكونوا من الزاهدين المتقشفين ، كقوله : ((**من لم يحمل صليبي ويتبعني ، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً ... لا يستطيع أحد منكم أن يكون لي تلميذاً إن لم يتخل عن جميع أمواله**))(٥). وهذا ما أكدته الرهبنة .

(١) حبي ، دير الربان هرمزد ، ص١٥ .

(٢) قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص٧٨-٧٩ ؛ يتيم وديك ، تأريخ الكنيسة ، ص١١٩ .

(٣) قب ، نفسه ، ج٢ ، ص٧٨-٧٩ ؛ يتيم وديك ، نفسه ، ص١١٩ ؛ مؤنس ، حسين ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص١١١ .

(٤) متي ١٩/ ٢١ .

(٥) لوقا ١٤/ ٢٧ ، ٣٣ .

كذلك أشار إلى الانتماء إلى العالم الآخر من خلال الابتعاد عن ملذات الحياة وشهوات النفس قائلاً : ((**حيث لا الرجال يتزوجون ولا النساء يتزوجن ، وإنما هم كالملائكة في السماء**))[1].وهو بذلك يحث على عدم الزواج وهو من شروط الرهبنة .

ويبدو أن الرهبان قد اقتبسوا من سيرة السيد المسيح عليه السلام الذي كان يصعد إلى الجبل حينما يريد أن يصلي أو يعلم الجموع ، ومن يوحنا المعمدان[2] الذي كان يعيش أكثر أوقاته في البراري[3].

ولعل ما ورد في القرآن الكريم في قصة السيدة مريم (عليها السلام) أم السيد عيسى عليه السلام ما يؤيد على ان الرهبنة لم تكن ابتكاراً جديداً للنصارى ، إذ آن السيدة مريم بنت عمران (عليها السلام) نذرتها أمها محررة لتخدم في مسجد بيت المقدس ، وكانوا يتقربون بذلك ((فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ...))[4]. ونشأت في بني إسرائيل نشأة متميزة كونها إحدى العابدات الناسكات ، وقد حضيت على شهرة واسعة نتيجة لعبادتها العظيمة وتبتلها الدؤوب ، وكانت قد اعتزلت وتنحت عن أهلها – كانت في كفالة زوج أختها زكريا عليه السلام – في المحراب كمكان للعبادة والصلاة والدعاء[5] . وربما كانت عبادتها الانعزالية سبباً في إقبال بعض نساء النصارى على الترهب بعيداً حيث الصحاري الواسعة والقفار الموحشة .

.

---

(١) متي ٢٢ / ٣٠ .

(٢) يوحنا المعمدان : ابن زَكريا واليصابات . من انسباء يسوع المسيح ، عاش في برية اليهودية ثم ظهر عل شاطئ الأردن يعّمد بالماء ويبشر بمجيء المسيح . قطع هيرودس رأسه بتحريض هيرودية زوجته نحو ٣١م . براورز ، المنجد في اللغة و الأعلام ، ص٦٢٤ .

(٣) شلبي ، أحمد ، مقارنة الأديان ، اليهودية ، ط٢ ، (د. مط ، القاهرة ، ١٩٦٥م) ، ص١٨٧ .

(٤) للاطلاع على قصة ولادتها (عليها السلام) ينظر : سورة ال عمران ، أية :٣٦ .

(٥) ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي ، تفسير القران العظيم ،(دار أحياء الكتب العربية ، مصر ، د.ت) ، ص١١٤ .

من ذلك نستنتج أن الرهبنة النصرانية نابعة اصلاً من جوهر الدين المسيحي . فالتنسك كان يراود كل نصراني يريد الامتثال لما ورد في الأناجيل . وقد نتج عن رغبة البعض منهم في ذلك الانفصال عن المجتمع جزئياً أو كلياً في البراري والجبال والقفار النائية[١]. لكي يعبدوا ربهم حيث الخلوة الهادئة التي توحي للإنسان الإخلاص في صلاته وتقواه .

والواقع أن الزهد والعزلة – وهما من الدعائم الأولى للحياة الديرية – قد مهدتها أول الأمر لنوع من حياة الرهبنة الانفرادية التي تحولت فيما بعد إلى حياة ديرية اجتماعية[٢]، إذ مثلت الأديرة مجتمعات للرهبان الذين عاشوا فيها سوية كالأخوة المتحابين .

وهنا نستطيع تفسير الرغبة في العزلة والتقشف والنسك بأنها كانت ثورة نفسية ضد ما كان سائداً في المجتمع الروماني من فساد خلال القرن الرابع الميلادي . فالفرق الشاسع بين تعاليم العهد الجديد وبساطة الكنيسة من جهة ، وبين فساد المجتمع الخارجي من جهة أخرى ، دفع الكثير من المخلصين إلى الفرار نحو الأماكن النائية ينشدون راحة الفكر والضمير[٣]. هذا فضلاً عن الاضطهادات التي شنها الأباطرة الرومان والتي سنتطرق إليها لاحقاً .

(١) البير أبونا ، تاريخ الكنيسة ، ج١ ، ص ١٦٦– ١٦٧ .

(٢) عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، أوربا في العصور الوسطى ،(د.مط ، القاهرة ، ١٩٦٢)، ص١٤٦.

(٣) عاشور ، نفسه ، ص١٤٧ .

لعل الباحث عن الأسباب التي عززت بناء الديارات النصرانية في المناطق النائية والمنقطعة عن الناس يرجع أحدها إلى الاضطهاد الذي لقيه النصارى من الرومان جراء اعتناقهم للدين النصراني .

ويعتبر الملك نيرون (٥٤–٦٨م) هو أول مضطهد للنصارى ، وكان ذلك سنة ٦٤م[١]، عندما أراد التخلص من المسؤولية بعد حرق روما[٢]، فألقى الجرم على النصارى[٣]، وأصدر مرسوماً مفاده طرد النصارى من روما[٤].

أما داقيوس (٢٤٩–٢٥١م)[٥] فيعتبر من بين ملوك الرومان الذين شنوا أعنف الاضطهادات للنصارى وكنتيجة لهذا الاضطهاد فر نفر[٦]من شباب مدينة افسوس

(١) يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص٢٢ .

(٢) في السنة العاشرة من حكم نيرون أصيبت العاصمة روما بحريق اندلع لن يشهد له التاريخ مثيلاً ولم ينج من الدمار الشامل آثار الفنون الرومانية والمعابد والقصور الفخمة ، فقد أصاب أنحاء روما الأربعة عشر، سلم منها أربعة فقط ، ومحى منها ثلاثة محواً تاماً ، أما الأحياء السبعة الباقية التي التهمتها سعير النيران فقد كشف منظر مفجع للخراب والوحشة . للمزيد من الاطلاع ينظر :جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، ج١ ، ص٤٢٣ ؛ حبي ، كنيسة المشرق ، ص٣٣٤ .

(٣) اتهم النصارى بكراهيتهم للجنس البشري ، اكثر من تهمتهم بإشعال الحريق في المدينة ، فعذبهم حتى ماتوا ، فدق بعضهم بالمسامير على الصلبان وخيط اخرون في جلود الحيوانات المتوحشة ، وتركوا لنهم الكلاب ، وصب على بعضهم مواد محرقة ، واوقدت فيهم النار ، واستخدموا كمشاعل تضيء حلكة الليل . جيبون ، نفسه ، ج١ ، ص٤٢٤–٤٢٥ .

(٤) حبي ، كنيسة المشرق ، ص٣٣٤ .

(٥) داقيوس : جاء إلى الحكم بعد فترة من الفوضى والضعف استمرت ٣٣ عام حيث استلم زمام الإمبراطورية عام ٢٤٩م لكنه سقط امام القوط في معركة بعد عامين من حكمه . ينظر : رشاد وعبو ، تاريخ اليونان والرومان ، ص٣٣٧ –٣٣٨ .

(٦) قد اختلف الناس عدد أصحاب الكهف قوله تعالى : ((سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب،ويقولون سبعة ثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم وما يعلمهم إلا قليلا)). سورة الكهف ، آية :٢٢ . أي سيقول المتكلمون فيهم انهم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ظناً منهم وبدون تحقيق ، ويقولون سبعه وثامنهم كلبهم ، يقول سبحانه وتعالى لا يعلمهم إلا القليل من أهل العلم ، وقد ورد عن ابن عباس ((أنا من القليل وذكرهم سبعة)) . البيضاوي ، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨) ، م٢ ، ص٨ ؛ جلال الدين محمد بن احمد المحلي ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي ، تفسير الجلالين ، قدم له وعلق عليه : محمد كريم بن سعيد راجح ، (الدار العربية للطباعة ، بغداد ، د.ت) ، ص٣٨٣ .

ناجين بدينهم[1]، فاختبؤا في كهف فسيح مجاور للمدينة[2]، وقد وردت قصتهم في القرآن الكريم بأن ضرب الله عليهم في الكهف ثلاثمائة سنين وتسع[3]، لينجيهم بإيمانهم إذ كانوا رهبان ممن يخشون الله ويخافون معصيته،ويتضح انهم من فئة الرهبان من ملابسهم التي كانوا يرتدونها فهي:((**الجباب الصوف والأكسية الصوف وخفاف ونعال...**))[4].

ولم يزل داقيوس في تضييقه الشديد على النصارى محاولاً إصلاح مملكته على أسس دينية وثنية.من خلال إبادته للتأثيرات الشرقية التي بدأت تتسرب لقلب المعتقدات التي كانوا عليها . وأمر أن يقدم جميع النصارى أفعالاً لتكريم الآلهة[5].

ولم يكتف بذلك بل أخذ بتفتيش النصارى بين الحين والآخر للتأكد من ديانة جميع المواطنين ، وإذا ما شك في أحد منهم كان عليه أن يقدم ذبيحة للأوثان بحضرة الحاكم نفسه ، ومن يفعل ذلك يُعفى من الملاحقة والاضطهاد ، أما من أعترف بديانته النصرانية وأكد عليها فيلقى في السجن ويُعذب أشد أنواع العذاب حتى ينكر معتقده أو يموت في سبيله ، ومن الواضح أنه استمر في اضطهادهم حتى سنوات حكمه الأخيرة ، إذ شهدت سنة ٢٥٠م ملاحقة النصارى وقتل الكثير منهم ، وكان من نتائج هذا الاضطهاد أن تراخت عزيمة العديد من النصارى فسعى بعضهم للحصول على شهادات

(١) لانهم كانوا من بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر ، وبعد أن ذاقوا حلاوة الأيمان ، لجأوا إلى الكهف هرباً من الطغيان والجبروت والكفر متسلحين بقوة الأيمان والعقيدة ، مخلفين وراءهم أموالهم وأهلهم وكل ما يملكون ، مؤمنين بان ربهم سيتولى أمرهم لذلك تضرعوا اليه قائلين :((ربنا آتنا من لدنك رحمةً وهيء لنا من أمرنا رشدا))، ويذكر انهم كانوا على الدين النصراني والله أعلم . ينظر: ابن القيم الجوزية ، بدائع التفسير الجامع ، جمعه ووثق نصوصه وخرّج أحاديثه : يسري السيد محمد ، (دار ابن الجوزي ، د.م ، ١٩٩٣م) ، ص١١٥-١١٦ ؛ الشعراوي ، محمد متولي ، خواطر فضيلة الشيخ حول القرآن الكريم ، (د. مط ،القاهرة ، د.ت) ، م١٤ ، ص٨٨٤٨ .

(٢) ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة كرسي المشرق ، ص٩ ؛ جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، ج٢ ، ص٢٦٦ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية : ٩-٢٦ ؛ ومن الكتب التاريخية الآثار الباقية للبيروني الذي يصف موقعه ((وهو جبل صغير قطر أسفله أقل من ألف ذراع وله سرب في وجه الأرض يدخل فيمر في خسف من الأرض مقداره ثلثمائة خطوة فيخرجك إلى رواق في الجبل على اسطين منقورة وفيه عدة بيوت ...)) ، ص٣٩٠ .

(٤) البيروني ، نفسه ، ص٣٩٠ ؛ ساكا ، اسحق ، السريان أيمان وحضارة ، (مط السريان الأرثوذكس ، حلب ، ١٩٨٣م) ، ص٣١ .

(٥) حبي ، كنيسة المشرق ، ص٣٣٦ .

مزورة ، بينما هرب الباقون إلى البراري البعيدة [١]. ولعلهم كانوا ممن قاموا بإنشاء ديارات في تلك المناطق التي فروا إليها، لتكون مأوى لهم من الاضطهاد .

وقد اختلفت الآراء حول اضطهاد داقيوس ، فيرجع بعضهم سبب الرهبنة النصرانية إلى هذا الاضطهاد الذي ناله المؤمنون من النصارى ، الأمر الذي اضطرهم للهرب إلى الجبال والمكث بالصوامع جراء عنفه وقسوته ، فنشأ من هذه العبادة في الصوامع فكرة الإجتماع للعبادة في دير ، وفكرة الرهبنة ، ووقف العقل والجسد لخدمة الله تعالى[٢].

بينما يعلل الآخرون سبب إنشاء كنيسة مزدهرة في بلاد ما بين النهرين خارج الإمبراطورية الرومانية إلى هذا الاضطهاد حيث كان داقيوس يتصيد النصارى في جباناتهم ودهاليزهم التي تمتد إلى مساحات واسعة تحت الأرض في روما وكان يستولي على ممتلكاتهم باختراع بدع لا سابق لها[٣]. وهذا دليل آخر يؤيد ما أوردناه عن إقامة الديارات شرقاً وفي المناطق البعيدة عن روما .

أما عهد فالريان (٢٥٣-٢٦٠م)[٤] فقد أتسم في بادئ الأمر باللطف والتسامح إلا أنه أنقلب عليهم في سنة ٢٥٧م ، وكان عهده مكملاً لعهود الاضطهادات السابقة لاسيما بعد تحريضه من قبل الكهان الوثنيين الذين أقنعوه بان النصارى كانوا سبباً للنكبات التي حلت بالإمبراطورية ، كما لعب إغراء وزيره مكريانوس في الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة لسد العجز الذي عانت منه الدولة آنذاك . فما كان من فالريان إلا ملاحقة الأساقفةونفي الكثيرين منهم مستولياً بذلك على ممتلكات الكنيسة ، ومصادراً أموال الأثرياء من النصارى وقتل العديد منهم[٥] . ومن أشهر ضحايا هذا الاضطهاد القديس كوسطس الثاني الذي لقي مصرعه وهو جالس على كرسيه إذ قطع رأسه[٦].

(١) يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص٢٥ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص١٠ .

(٢) وجدي ، دائرة معارف القرن العشرون ، م٤ ، ص٢٩٨ .

(٣) اوليري ، علوم اليونان ، ص٥٥-٥٦ .

(٤) جاء إلى الحكم بعد ديكيوس وفرض نفسه إمبراطوراً عام ٢٥٣م واشترك ابنه جالينوس في الحكم فعهد له بحكم غرب الإمبراطورية في حين تولى بنفسه حكم الجزء الشرقي منها أسرة الفرس عام٢٦٠م وبذلك شكلت هذه المسألة صفعة كبيرة للرومان . ينظر رشاد و عبو ، تاريخ اليونان والرومان ، ص٣٣٨.

(٥) حبي ، كنيسة المشرق ، ص٣٣٦ ؛ يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص٢٥ –٢٦ .

(٦) ساكا ، السريان إيمان وحضارة ، ج١ ، ص٢٩ .

ولم ينته هذا الاضطهاد حتى جاء آخر في عهد خلفه قلوديوس الثاني (٢٦٨-٢٧٠م)[١]، وأخيه القيصر اورليان (٢٧٠-٢٧٥م)، الذي كان أمتداداً للقسوة والإرهاب ضد النصارى[٢].

وتواصلت الاضطهادات حتى أيام الملك الروماني دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م)[٣]، الذي فتك بالنصارى في الشام وقتل الكثيرين منهم ، وصمم على أن لا يبقى نصرانياً في مملكته ، فكان يحكم بالأشغال الشاقة على كثير من الأساقفة في محاجر الرخام ، ومن اشهر هؤلاء الأساقفة كيرلس وررومانوس الذي حكم عليه بقطع لسانه ، وفي سنة ٣٠٢م ، أمر بملاحقة النصارى وقتل المئات منهم ، كما أصدر مرسوماً سنة ٣٠٣م يقضي بهدم الكنائس ، وإحراق الكتب المقدسة،وحرمان النصارى من الحقوق المدنية[٤] وكان قد عرف بوحشيته في التعامل مع النصارى الأمر الذي جعل الكثيرين يفكرون بإنقاذ عقيدتهم ، وذلك بـلفرار بعيداً ، لذا أصبح الاستغناء عن الغالي والنفيس من الأهل والممتلكات والموطن نوعاً من أنواع الرياضة النفسية التي تهدف إلى حماية وخدمة الدين ، فولد هذا الابتعاد الفقر والحرمان اللذين أصبحا تهذيباً للنفس وعدت العزلة والوحدة جواً يبعدهم عن الاصطدام بالسلطات التعسفية ، وفي ذات الوقت هو جو لمحو الآثام والذنوب ، والى هذا تعود المرحلة التالية من حياة الرهبنة، وبالتالي تشييد الديارات في المناطق النائية عن مصدر العسف والاضطهاد[٥]. ويعلل أحدهم سبب

(١) تعد فترة حكم هذا الامبراطور من الفترات اللامعة في تاريخ الإمبراطورية حيث تمكن من إبعاد القبائل الألمانية عن شمال ايطاليا ودحر القوط قبل وفاته بالطاعون . ينظر : رشاد وعبو، تاريخ اليونان والرومان ، ص٣٣٨ .

(٢) ساكا ، السريان إيمان وحضارة ، ج١ ، ص٢٩ .

(٣) وهو حفيد أحد العبيد ومن أصول الليبرية كان عسكرياً صارماً ، أعاد الاستقرار إلى الدولة ، حكم القسم الشرقي من الإمبراطورية وجعل عاصمته نيقوميديا في آسيا الصغرى . تأثر بمراسيم ملوك الشرق القديم فاتخذ الحجاب ، وأمر بان يسجد من يقابله من رعاياه عند قدميه . ينظر : رشاد وعبو ، تاريخ اليونان ، ص٣٤٢ .

(٤) ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص١٠ ؛ داوني ، انطاكيا القديمة ، ص١٧٧؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص١٠ ؛ يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص٦٨ ؛ ساكا ، السريان إيمان وحضارة ،ج١،ص٣٢ ؛ حبي،كنيسة المشرق،ص ٣٣٦؛ قب،لوحات من تاريخ الكنيسة ،ج٢ ص٥.

(٥) عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٧ .

إنتقال النصرانية إلى البلاد العربية في غضون القرن الثالث الميلادي لما حلّ بالنصارى من الاضطهاد في عهد دقلديانوس[١].

وما إن انتهى عهد دقلديانوس حتى كان الشرق تحت حكم ملكين شرسين هما غاليروس (٣٠٥- ٣١٢م)[٢]ومساعده مكسيمانوس (٢٨٤-٣٠٥م)[٣]وشرعا في اضطهاد النصارى اضطهاداً لم يُعرف له مثيل في تاريخ الكنيسة من قبل لاسيما في مصر وسورية ، فتشتت النصارى ، وهرب الكثيرون منهم إلى البراري والقفار ، في حين التجأ آخرون إلى الأراضي التابعة للدولة الساسانية ، وكنتيجة لهذا الاضطهاد قُتل الألوف من النصارى تحت ضربات السيوف حتى كلت أيدي الجلادين[٤]. وبعد موت غاليروس[٥] تابع مكسيمانوس الاضطهاد الدموي في مصر وسورية وآسيا الصغرى ، وأستمر في ذلك حتى أضطر إلى التوقف عن مواصلة الاضطهاد بأمر قسطنطين (٣١٢-٣٢٧م)[٦]الذي أصبح إمبراطورا بعد انتصاره على خصمه ماكسنس (في الغرب) ودخل روما ، الأمر الذي اضطر مكسيمانوس بإصدار مرسوماً غامضاً لم ينل ثقة النصارى[٧]. وفي مطلع سنة ٣١٣م رسمت الخطوط السياسية العامة لكل من قسطنطين وليكينوس في ميلانو (إيطاليا)، ونجم عنها مرسوم ميلانو وان لم يصدر مرسوماً خاصاً به ، وفي ربيع سنة ٣١٣م قامت الحرب في ا لشرق بين

(١) جمعة ، مذكرات في تاريخ العرب ، ص٤٨ .

(٢) هو أحد الأباطرة الرومان تولى عرش الإمبراطورية مشاركة مع الامبراطور قسطنطنيوس ، وكان مسؤولاً عن القسم الشرقي من الإمبراطورية وذلك عام ٣٠٠م ، كان معروفاً باضطهاده للنصارى . ينظر: رشاد وعبو، تاريخ اليونان ، ص٣٤٦ .

(٣) كان زميلاً مشاركاً في حكم الإمبراطورية الرومانية مع دقلديانوس ، وكانت مسؤوليته حكم الجزء الغربي من الإمبراطورية . رشاد وعبو ، نفسه ، ص٣٤٢ .

(٤) يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص٦٩ .

(٥) أصيب غاليريوس بداء خبيث فاستولى عليه الندم في اضطهاده للنصارى وقتلهم ، وأصدر في نيسان ٣١١م مرسوماً بإسمه وشركائه في الحكم يسمح فيه للنصارى بممارسة شعائر دينهم وعقد اجتماعاتهم ، ويأمرهم مقابل حلم القياصرة وتسامحهم بان يبتهلوا إلى إلههم لاجله ولاجل الدولة الرومانية . يتيم وديك ، نفسه ، ص٦٩ .

(٦) عينه الجيش إمبراطورا وهو في الحادية والعشرين من عمره بعد وفاة والده وكان قسطنطين من المتعاطفين مع النصارى ، فاتبع سياسة التسامح معهم ومنحهم الحرية الكاملة عام ٣١٣م بموجب مرسوم ميلان . رشاد ، تاريخ اليونان ، ص٣٤٦-٣٤٧ .

(٧) يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص٧٠ .

ليكينوس(٣١٢-٣٢٤م)[١] ومكسيمانوس ، التي انتهت بانتصار ليكينوس ، فأصدر في مدينة نيكوميدية(عاصمة أسيا الصغرى)مرسوماً يستند فيه إلى محادثات ميلانو ويقضي بأن يُمنح النصارى الحرية التامة ، وكان ذلك في حزيران سنة ٣١٣م[٢]، مما اضطر مكسيمانوس في مصر وسورية إلى أن يجاري سياسة ليكينوس، فأصدر هو الآخر مرسوماً يسمح بحرية الدين ، لكنه مات بعد مدة وجيزة فأصبح ليكينوس ملك الشرق كله فطبق التشريعات التي تقضي بالتسامح تجاه النصارى ودينهم ، إلا أنه لم يبق على هذا الحال لاسيما بعد اختلافه في أمور سياسية مع قسطنطين ، فأخذ بمضايقة النصارى فعرقل الاجتماعات الدينية وسرح النصارى من الجيش ، وعامة الوظائف ، وقتل بعضهم في المناطق الشرقية ، فقرر قسطنطين القضاء عليه ، وقامت الحرب بينهما فتغلب قسطنطين على خصمه ،ونعمت البلاد شرقاً وغرباً بالسلام والاستقرار[٣].

وما إن استتبت الأحوال السياسية وانتصرت الديانة النصرانية وازدهرت أحوال النصارى الاجتماعية حتى ظهرت بعض النفوس التواقة للوصول إلى الكمال والامتثال بحياة السيد المسيح عليه السلام ، وكانوا متعطشين للامتثال والاقتداء بفضائله . واعتقدوا بأن ذلك سيتحقق بالهروب من المجتمع المنغمس بملذات الحياة ، وبدت الصحاري والقفار هي الأماكن التي تحقق رغباتهم ، كذلك الجبال في المناطق الشرقية التابعة للحكم الفارسي[٤] فلجأوا إليها بقصد التقشف والزهد وخدمة الرب والعمل الصالح[٥]. وكان هؤلاء من فئة الرهبان الذين وجدوا في الأديرة والصوامع المكان الأمثل لعبادتهم . كما قام قسطنطين ببناء الديارات الجليلة والبيع[٦].

---

(١) هو زميل الإمبراطور قسطنطين في حكم الإمبراطورية أعلن معه مرسوم ميلان سنة ٣١٣م القاضي بالتسامح مع النصارى ومنحهم الحرية ، غير أن ليكينوس لم يلتزم بالاتفاق مما أدى ذلك إلى نشوب الحرب بين أنصار النصارى وانصار الوثنية ، انتهت بانتصار قسطنطين في معركة خلقدونية عام٣٢٤م حيث صار الحاكم الوحيد للإمبراطورية.ينظر :رشاد وعبو ،تاريخ اليونان، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٢) يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص٧١ ؛ ساكا ، السريان إيمان وحضارة ، ص٣٢ ؛ حبي ، كنيسة المشرق ، ص٣٣٦ ؛ قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص٥ ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٨٢ .

(٣) يتيم وديك ، نفسه ، ص٧٠-٧١ .

(٤) حبي ، كنيسة المشرق ، ص٣٦١ ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ص٨٢ . ويبدو أن طالبي العزلة والكمال من النصارى كانوا قبل عهد قسطنطين يمارسون طقوسهم في الخرائب وبقايا الأبنية القديمة . ينظر : مؤنس ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٩٦ .

(٥) قنواتي ، المسيحية و الحضارة العربية ، ص٨٢ .

(٦) **ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص٨ ، ١٣ .**

غير إن حملة الاضطهادات ضد النصارى تواصلت مرة أخرى في زمن يوليان (٣٦١-٣٦٣م) [(١)] الذي دُعي بالجاحد فكان له الدور الكبير في سفك دماء النصارى على الرغم من تصريحه بالابتعاد عن ذلك[(٢)] ومثل خطراً على النصرانية بكل فرقها ، من خلال مخططاته التي تضمنت التسامح الديني مع كافة الطوائف النصرانية والتشجيع على المساجلات الدينية بين الفرق النصرانية ، وسعى إلى إعادة مجد الوثنية فقام بتنصيب الوثنيين بدلاً من النصارى في المناصب الإدارية[(٣)].

وكان يوليان يكن كراهية خاصة لأسقف الإسكندرية (اثناسيوس)، في حين كان اكثر أهل الإسكندرية يؤيدون قضية أسقفهم المظلوم ، وكان حماس الجماهير لأسقفهم قد زاده عناداً وقسوة للخطر الذي ينجم عن وجود زعيم شعبي وسط المدينة الهائجة المضطربة . لذا لقي اثناسيوس نتيجة لذلك التأييد الجماهيري لأسقفهم القسوة والعنف ، الأمر الذي دفعه إلى اللجوء إلى أديرة الصحراء ، وأفلت بمهارة من شراك عدوه لينقذ عقيدته ودينه من ذلك الاضطهاد[(٤)]. ولابد أن يكون الأسقف اثناسيوس مثلاً يحتذى به في الحفاظ على الدين النصراني وبالتالي فرار الأتقياء من النصارى ممن يؤيد قضيته إلى أديرة الصحراء للحاق به ، وبما إن الأديرة الأولى استقبلت أعداداً كبيرة من الذين هربوا من الاضطهاد ، فلا بد من إقامة ديارات أخرى . وهذا يفسر أن الاضطهاد يكمن وراء انتشار الديارات شرقاً .

ولم يتوقف اضطهاد يوليان للنصارى داخل الإسكندرية فقط ، بل أخذ يلاحق الزاهدين والنساك في مغاراتهم وكهوفهم التي اتخذوها أماكن للعبادة ، ويرجع بعضهم سبب انتقال الرهبنة والنسك النصراني في العراق إلى الاضطهاد الذي شنه يوليان أواخر القرن الثاني الميلادي ، فمثل العراق أماكن للجوء الرهبان الذين فروا من تعسفه

(١) ويسمى الإمبراطور يوليانوس الفيلسوف أو الصابئ ارتقى العرش ولم يتم الثلاثين من عمره ، كانت خطته تقضي بإحلال الديانة الهيلينية بوصفها (ديانة المواطنة الصالحة) مكان الديانة المسيحية ، دعي بالجاحد لانه تنصر ثم كفر بالدين المسيحي مجاهراً بالوثنية . ينظر : داوني ، انطاكيا القديمة ، ص٢٠٩-٢١٠ ؛ ساكا ، السريان أيمان وحضارة ، ص٣٣ .

(٢) المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين ، التنبيه والأشراف ، تصحيح ومراجعة : عبد الله إسماعيل الصاوي ، (مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٣٨م) ، ص١٢٥ ؛ جيبون اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، ص ٥٣ وما بعدها ؛ داوني ، نفسه ، ص٢١٨ .

(٣) اليوسف ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٩ .

(٤) جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، ج١ ، ص٧١-٧٢ .

واضطهاده ، فكان الراهب مار متي[١]، قد دخل دير مار سرجس وباخوس المجاور لقريته (ابجر شط شمالي ديار بكر) وكان قد أهدر سبع سنين من عمره في قراءة المزامير وبعض الأسفار القدسية في هذا الدير الذي كان يقطنه خمسة رهبان أتقياء برئاسة راهب عفيف زاهد ، ثم غادر هذا الدير متجهاً نحو دير زوقنين [٢] المعروف آنذاك بنظامه البديع ومكتبته الغنية الشهيرة وأساتذته الأعلام .وبعد أن نال قسطاً وافياً من العلم غادر هذا الدير طائفاً القفار أملاً في أن يحظى بنساك فضلاء يقيم معهم ، فصادف أربعة رهبان يسكنون قرب عين ماء فأقام عندهم عشرة أيام ، وكان قد رغب في البقاء عندهم لإعجابه بسيرتهم الحميدة ، فأصلحوا له كوخاً قديماً مهدماً . ثم ناله وجمهرة من الرهبان اضطهاد يوليان الأمر الذي دعاه للنزول وبعض رفاقه على ضفة الخابور حيث ابتنوا لهم ديراً صغيراً [٣] .

وما لبث أن غادر إلى المشرق يرافقه خمس وعشرون راهباً ، أشهرهم مار زعورا، ومار سرجيس ، ومارحنانيا، ومار نيسا ، ومار زكاي ، ومار إبراهيم ، ومار دانيال ، ومار برصوم ، ومار سابا التلي . وانفرد مارمتي ومار زكاي ومار إبراهيم في جبل مشيدين لهم أكواخاً مع نسّاك آخرين .ثم شيدوا ديراً صغيراً للاجتماع به عند تناول الأسرار الإلهية [٤] .وقد أصبح فيما بعد مركزاً لإدارة الرهبنة في الشرق ، خاصة بعد أن اصبح المكان الذي يقصده نصارى تكريت وباجرما[٥]،

---

(١) ولد في قرية ابجر شط شمالي ديار بكر في الربع الأول من القرن الرابع ، وترعرع في أحضان أسرة تقية ثرية مع أختين فاضلتين وأخ اسمه زكريا ، وفي صباه توفي والده فدخل دير مارسرجيس وباخوس . يعقوب ، دفقات الطيب ، ص٢٢٤ ؛ افرام الثاني ، مار اغناطيوس ، دير مار متي الشيخ ودير مار بهنام السيد ، (مط السريانية ، بيروت ، ١٩٢٨م) ، ص٣ . وتطلق كلمة مار قبل ذكر أسماء القديسين والبطاركة والأساقفة وهي كلمة سريانية الأصل معناها السيد . ينظر: برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٤٩٧.

(٢) ويعرف بإسم دير يوحنا، وهو بجوار ديار بكر ، شيد في المائة الرابعة . ينظر: حبي ،المراكز السريانية الثقافية ، فرزه من مجلة المجمع العلمي العراقي في العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية ، م٩، بغداد ، ١٩٨٥م .

(٣) يعقوب ، دفقات الطيب ، ص١٤؛ حبي ، كنيسة المشرق ، ص٣٦١.

(٤) يعقوب ، نفسه ، ص١٤ ؛ حبي ، نفسه ، ص٣٦١.

(٥) وتدعى بيت كرماي ، مقاطعة فسيحة مركزها مدينة كرخ سلوخ (كركوك الحالية) وكانت كرسي المطرافوليط ، وتشمل مراعيث عديدة (مراعيث للدلالة على رعية الأسقف) . ينظر : المرجي ، الرؤساء ، ص٢٤ ، هامش (٦) .

وحدياب[١]، الذين فروا من الإمبراطورية البيزنطية[٢] وبقي دير مار متي أهم المراكز اليعقوبية في العراق آنذاك[٣]، أما الراهب مار متي فقد ذاع صيته في نينوى ، فقام المؤمنون بالتوافد عليه للتبرك [٤]. وهذا يبين تحدي النصارى لاضطهاد الرومان في الدفاع عن عقيدتهم[٥].

يستخلص مما سبق من الاضطهاد التي تعرض له المؤمنون من النصارى – الرهبان – كان أحد الأسباب التي أدت إلى انتقال حركة بناء الديارات النصرانية إلى العراق ، ويبدو أن المواضع الشرقية للإمبراطورية الرومانية قد أُهلّت بالنساك والمتعبدين الفارين ، إلا أن هذه المواضع التي التجأوا إليها عصر ذاك تمثلت بالكهوف والمغاور ، لكنها بمرور الزمن وبعد ازدياد أعدادهم بدأت تتجه نحو بناء الديارات المنتظمة التي تحكمها القوانين ، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً .

والجدير بالذكر أن هذه الديارات كانت تبنى من قبل الرهبان أنفسهم وبمجهودهم الشخصي ومن المؤكد أن ذلك العمل كان رغبةً منهم للحصول على الثواب ورضاء الله ومن المحتمل أن للوافدين الراغبين في التبرك دوراً في إعانة هؤلاء الرهبان ، لاسيما في تسيير الحالة الاقتصادية للدير من خلال إمدادهم بالمؤن . كونهم في المناطق المنعزلة .

(١) تشمل حدياب جغرافياً المنطقة الواقعة بين الزابين الكبير والصغير شمالاً و جنوباً ، و دجلة غرباً ،وسلسلة جبال سفين شرقاً (اربيل). أما التقسيم الكنسي ، فكانت هذه الأبرشية الواسعة . المرجي ، نفسه ص٤٧ ، هامش (١) .

(٢) Morony , Michael G , IRAQ After the Muslim Conquest , princeton university press , prnceton , new Jersey , 1984 , p . 373 .

(٣) Morony , Ibid . p . 373 .

(٤) يعقوب ، دفقات الطيب ، ص١٤ .

(٥) اليوسف ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٠ .

البدايات الأولى لظهور الديارات النصرانية في مصر وانتقالها شرقاً

عرف الشرق قبل الغرب بكثير الحياة الرهبانية التي ازدهرت فيه على أشكال وألوان مختلفة في القرن الأول الميلادي[١]، وعدت مصر أرض الرهبنة والبداية لفكرة الحياة النسكية البعيدة عن ضوضاء العالم ، وحققت بذلك نجاحاً كبيراً في المشرق[٢].

غير أن الباحثين يعتقدون خلاف ذلك ، فمنهم من يرجعها إلى التأثر بأنظمة الزهد والتنسك التي عُرفت في بعض العبادات الوثنية في مصر، كعبادة الإله (سرابيس) وهؤلاء ينقطعون عن العالم الخارجي خدمةً للإله فيقومون بالاعتزال بشكل دائمي في معبد الإله الكائن في منف أو غيرها من المناطق المصرية ، وكان الحال بالنسبة لبعض كهنة هليوبوليس الذين يعيشون عيشة تقشف وتنسك وزهد خلال القرن الأول من مولد السيد المسيح عليه السلام [٣] .

غير أن ما كان يدعو إليه السيد المسيح عليه السلام في الحث على الزهد والتقشف والابتعاد عن اللذات يضّعف من هذا الرأي ، وبذلك تكون الرهبنة قد نشأت في مصر نشأة طبيعية غير متأثرة بالديانات الوثنية القديمة[٤]. فقامت النصرانية بدورها بتهذيب هذا الميل وتوسيع آفاقه، وتنظيم مراحله للوصول إلى استمرار يمكن للفرد من خلاله التوجه إلى الرب ، متجرداً عن كل مغريات الحياة للفوز برغد العيش في الحياة الأبدية حتى غدت الرهبنة والديارات على مر الزمان واختلاف الأجيال جذوة للإشعاع الثقافي وسمة من سمات التمدن[٥].

وربما يرجع سبق مصر في هذا المجال لأن القديس انطونيوس المدعو (أبو الرهبان) قد ولد في مصر ، وكان أول من دعا إلى الرهبنة هناك[٦]. وهو الرأي الأقرب إلى الترجيح .

---

(١) بروي ، إدوارد ؛ أوبواية ، جانين واخرون ، القرون الوسطى ، ترجمة : يوسف اسعد داغر ، فريدم داغر ،(منشورات عويدات ، بيروت ،١٩٦٥م)، ص٢٢ ؛ حبي ، دير الربان هرمز ، ص١٦ .

(٢) أيمار؛ جانين ، روما وامبراطوريتها ، ص٦١٧ ؛ متز، الحضارة الإسلامية ، م٢ ، ص٢٢ ؛ الطريحي ، الديارات والأمكنة ، ص٤٣ .

(٣) حسين ، محمد عواد ، تاريخ الإسكندرية منذ اقدم العصور ، تقديم : محمد حمدي عاشور ، مراجعة : احمد فكر وآخرون ، (د. مط ، الإسكندرية ، ١٩٦٣م) ، ص١٠٧ .

(٤) حسين ، نفسه ، ص١٠٧ .

(٥) قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص٧٧ ؛ البير أبونا ، تاريخ الكنيسة ، ص١٦٧ .

(٦) حسين ، تاريخ الإسكندرية ، ص١٠٨ .

ومهما يكن من أمر فان الفضل يعود للكنيسة المصرية التي أعطت الأشخاص الذين راحو يفكرون في الابتعاد عن الحياة واتخاذ الزهد والتنسك والرهبنة مجالاً لعبادة الله وطريقة للحياة الاجتماعية المتمثلة بالأديرة وأنظمتها الدينية.[١]. فكانت مصر هي أصل هذه الدعوة ، لاسيما إن النصارى فيها عمدوا إلى الكثير من المغالاة في تعذيب أجسادهم بالانفراد في الصحاري والقفار النائية والبعيدة عن المناطق المأهولة بالسكان والأماكن المعمورة[٢].

ولم تظهر الرهبنة للوهلة الأولى بشكل حياة ديرية منظمة ، بل كانت منفردة في بدايتها ، فسلكت العبادة أشكالاً وأوضاعاً مختلفة ، وما إن شارف القرن الثالث الميلادي على الانتهاء حتى اتخذت الرهبانية شكلاً بارزاً لها في حياة النصارى ، فهرع الكثير من الأتقياء إلى البوادي والبراري لتكون مأوى لتعبدهم ، كونها بعيدة عن ضوضاء الحياة المدية ، وبمرور الزمن أخذت الرهبانية أشكالاً من التطور حتى صارت قوة هائلة إلى جانب الكنيسة النظامية وانقسم موكب النصارى إلى قسمين مختلفين سلك القسم الأول ما كان معمولاً به في المدن والحضر تحت زعامة الأساقفة رغماً عن الأجواء الوثنية السائدة فيها ، بينما فضّل القسم الآخر الحياة البعيدة ، حيث الصحاري المقفرة لتكون حياة زهد ونسك[٣].

ويعد القديسان بولس الطيبي [٤] (+٣٤٧م) ، وانطونيوس[٥](حوالي ٢٥١-٣٥٦م) أنموذجين من حياة الرهبان في مصر، فقد اتخذ بولس كهفاً في طيبة بمصر العليا(الصعيد جنوب مصر) في سفح أحد الجبال بالقرب من البحر الأحمر

(١) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٤٣ .

(٢) فشر ، هـ.ا.ل ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة ؛ الباز العريني ، (دار المعارف ، القاهرة ، د . ت) ، ص١١٣ .

(٣)سعيد ، حبيب ، في موكب التاريخ عشرون قرناً ،(مط الكاتب المصري ،القاهرة، د.ت)،ص٣٤.

(٤) وهو أول المتوحدين كان في اضطهاد داقيوس وفاليريان سنة ٢٥٠م شاباً يافعاً عمره ١٦ سنة ، وقد ظل وحيداً في الصحراء الشرقية من مصر إلى عام ٣٤١م عندما زاره القديس انطونيوس ، ولكن حياته كان كسراج تحت مكيال ، إذ لم يعط فرصة لاحد أن يتبعه . شكري ، أديرة وادي النطرون ، ص١٨ ؛ البير أبونا ، تاريخ الكنيسة الشرقية ، ص١٦٨ ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص ٨٣ . لمعرفة مواقع دياراتهم ينظر : شكل رقم (١) و(٢) .

(٥) ولد سنة ٢٥١م في حضن عائلة مسيحية ثرية في بلدة **(قمن)** أو**(قيمان)** من أعمال مركزالواسطي التي تقع على بعد نحو ٩٠كم جنوبي القاهرة ، ولم يكن مصري الأصل بل ابن مهاجرين يونانيين = = سكنوا مصر ، وأبواه مسيحيين أثرياء من التجارة . البير أبونا ، نفسه ، ص١٦٨ ؛ سعيد ، في موكب التاريخ ، ص٣٤-٣٥ .

وتسلح بالفقر وابتعد عن شهوات الدنيا وملذاتها(١).

أما انطونيوس الذي اُعتبرالمثل الأول في الحياة الرهبانية ، فقد وزّع أملاكه(٢) وأيقن أن التنسك والتقشف هما الحياةالمثالية للآخرة فاعتزل الحياة باختياره كهفاً منعزلاً خارج مدينته ، بينما يظنه البعض قبراً قديماً مهجوراً(٣)، في جبل كان إلى جوار قريته (٤) لأنه لم يوفق بتقربه من المدن وذلك بسبب إقبال المعجبين والمقتدين به وهذا بدوره يفسد الخلوة الهادئة في العبادة ، لذا صمم على التوغل داخل الصحراء في الجنوب الشرقي من الدلتا حوالي (سنة٢٧٠م)، ويذكر انه توغل في الصحراء بسبب هجمات الشيطان(٥) لذا قرر الصمود أمامه ،وسكن في بيت قديم مهدم كان مأوى للحّيات حتى وصل إلى قلعة مهجورة في مكان يدعى بسبير (**pispir**) وبقي عشرين سنة ، على البر الشرقي للنيل ، وعاش في عزلة تامة ولحق به إذ ذاك جماعات ليحذوا حذوه وهم ممن عشق الزهد والتنسك ومن كان قد اُعجب واقتدى به ، فأهلت الصحراء بالنساك طالبين من انطونيوس أن يكون معلمهم وأن يتتلمذوا على يديه ولم يخذلهم فقبل طلبهم .وكان رائداً في لم شمل مريديه وأحبائه فجعلهم في مساكن غير بعيدة عنه (٦)، وكان ذلك حوالي (سنة ٣٠٥م) واعتمد في فرض سلطانه عليهم بالوعظ والإرشاد ، وبذلك فهو أول من أقام بين نساك منفردين كحالته لذا لقب (بأبي الموحدين وكوكب البرية)(٧)، وهذا بدوره يوضح عدم وجود دير منظم آنذاك ، إنما كان قائدهم بمثابة

الفصل الأول

---

(١) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٨٣ .

(٢) بلغ نداء ربه إلى قلبه وهو في سن الثامنة عشر من عمره عند سماعه في كنيسة ضيعته القبطية (كيمان ، جنوب القاهرة) قول المسيح عليه السلام في الإنجيل الفتى الغني : ((اذهب وبع كل مالك وتعال اتبعني)) . لوقا ١٨: ٢٢ . قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ص٨٠ .

(٣) سعيد ، في موكب التاريخ ، ص٣٥ .

(٤) البير أبونا، تاريخ الكنيسة ، ج١ ، ص١٦٩ .

(٥) كان يعتقد أن الشيطان يسكن الصحاري ، لذا تقاس قوة الإيمان عندهم كلما ابتعدوا في التوغل داخل الصحراء . شكري ، أديرة وادي النطرون ، ص١٩ .

(٦) حسين ، تاريخ الإسكندرية ، ص ١٠٨-١٠٩ ؛ ايمار ، روما وإمبراطوريتها ، ص ٦١٧ ؛ قب لوحات من تاريخ الكنيسة ، ص ٨٠ ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٨٤ .

(٧) حسين ، نفسه ، ص١٠٩ ؛ قب ، نفسه ، ص٨١ .

الأب للروحي لمن يتبعه من الرهبان فكان يلتقي بالعديد من الرهبان الذين قُدر عددهم بالآلاف في يوم الاحد للخدمة الإلهية. ويبدو أن نوعاً من الأديرة قد شيدت في مصر بدليل أن بعض الرهبان صار يعيش في القلالي الصغيرة التي شهدت أعمالهم النسكية و التقشفية الرائعة(١). كذلك ورد وصف القلالي الصغيرة بالخلايا، وقيل أن انطونيوس خصص لكل راهب خلية يتعبد فيها بمفرده ،لان الحياة الدينية في نظره تقوم على أساس الانفرادية(٢). فهو يعد بدوره منشىء الرهبانية الانفرادية أي أن ينعزل الراهب في صومعته على انفراد(٣). وخير مثالٍ على ذلك مكاريوس الذي كان يقضي الليالي واقفاً على قدميه ، ولم يأكل غذاءً مطبوخاً طيلة سبع سنوات(٤). وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في هذا الخبر غير انه يوضح مدى الالتزام بتهذيب النفس وشدة محاسبتها .

ويشير البعض إلى أن القديس انطونيوس (أبو الرهبان) لم يكن على قناعة تامة بالعزلة عن الحياة العادية ، إذ لابد أن يكون مرشداً ومعلماً للآخرين ليسلك غيره من الناس هذا الطريق ، ويتبين ذلك من خلال خروجه من عزلته في الصحراء متوجهاً نحو الحضر مرتين ، كانت المرة الأولى عام ٣١٣م، ليشجع المدافعين عن الدين النصراني ويعزي المضطهدين من شر مكسيمانوس (الإمبراطور الروماني) ، واشتاق أن يكون هو نفسه من المضحين في سبيل الدين(٥).

وبينما كان النظام الديري الذي أسسه مكاريوس في المنطقة الشمالية من مصر والذي اشتمل بدوره على نوعين من أنواع الترهب ، النوع الأول العيشة المفردة التي يعتزل فيها الناسك بقلاية خاصة به ، أما النوع الآخر فهي الحياة الجماعية التي يعيش فيها الرهبان والنساك داخل الدير نفسه(٦). في حين كانت هناك حركة منفصلة عنها قد انتشرت في الجنوب بقيادة القديس باخوميوس (٢٩٢-٣٤٦م) الذي حاول أن يهجر مدينته مبتعداً نحو الصحراء ليباشر حياة الرهبنة الانفرادية متخذاً مبدأ (العزلة عبادة) إلا انه وجدها حياة لا تنسجم مع طبيعة البشر ؛ لان الإنسان اجتماعي بطبعه وهو بحاجة لعون أخيه الإنسان فلا بد من إيجاد

(١) حسين ، تاريخ الإسكندرية ، ص١٠٩ ؛ ايمار ، روما وإمبراطوريتها ، ص٦١٨ ؛ عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ،ص١٤٧.لمعرفة أشكال الديارات المصرية آنذاك ينظر: شكل رقم (٣).

(٢) عاشور ، نفسه ، ص١٤٧ .

(٣) سعيد ، في موكب التاريخ ، ص٣٥ .

(٤) ايمار ، روما وإمبراطوريتها ، ص٦١٨ .

(٥) جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، ج١ ، ص ٤٨٢.

(٦) حسين ، تاريخ الإسكندرية ، ص١١٠ .

طريقة مناسبة للتخفيف من وطأتها وتزيل شيئاً من صعوبتها ، لذلك قام بإيجاد نوعٍ من أنواع الحياة المشتركة بين جدران الدير ، لذا يعد باخوميوس مشيد أول دير منظم عرفته النصرانية حوالي سنة (٣١٥-٣٢٠م)[١]، في طيبة حيث المكان المقفر في منطقة تدعى تبيستي بالقرب من أخميم[٢]، كذلك يُعد باخوميوس واضع أول قانون للرهبان ، وأول أديرة منظمة قانونياً ، فقد قسم كل دير إلى بيوت وأَسرات في كل منها (٣٠-٤٠ راهب) ، وكانت الأديرة منفصلة أحدها عن الآخر من حيث الإدارة المستقلة ، كما فصل بين الجنسين ، في بناء أديرة للراهبات منفصلة عن أديرة الرهبان . وقام بتنظيم أوقات الرهبان سواء في أمور العبادة أو الأُمور الدنيوية ، ومن الملاحظ أن باخوميوس قد تأثر في بناء ديره بما لاحظه في الجيش الروماني من نظم ، إذ سارت أديرته وفق نظام أشبه بالنظام العسكري من خلال الامتثال لطاعة الرؤساء[٣].وجعل الصلاة والطعام تقام بشكل جماعي فهي من الأمور المشتركة الإجبارية[٤].بينما يجعلها البعض حرية فردية في المأكل والمشرب ،أي ربما يتناول الراهب طعامه مع مجموعة من الرهبان في قاعة الطعام ، أو على انفراد إذا فضل ذلك[٥]. ولم يدع باخوميوس النفس البشرية في تنساق نحو الهلاك ، بل فرض أن يكون للجسم قسطٌ من الراحة الضرورية وقسم ما تبقى من الوقت للعبادة ، والانصراف إلى الأعمال اليدوية كالصناعة (مثل صناعة السلال أو دبغ الجلود)

(١) يتيم وديك ،تاريخ الكنيسة ، ص١٢٠ ؛ ايمار ، روما و إمبراطوريتها ، ص٦١٨ ؛البير أبونا تاريخ الكنيسة ، ص١٧٠ ؛ عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٨ . ويذكر انه انشأ أول دير نصراني في العالم في مصر العليا حوالي ٣٢٥م بعد أن رأى قصوره في الحياة المنفردة التي وضعها انطونيوس . سعيد ،في موكب التاريخ ،ص٣٥ ؛ بينما يقرر الطريحي في كتابه (الديارات و الأمكنة النصرانية) ، إن أول دير أسسه باخوميوس سنة٣١٨م استناداً إلى **Butler & ladeuze & leipoldt** وكان في منطقة (طبا نسين) ، ويقول أيضاً لان رهبنة القديس انطونيوس كانت مصرية في منهجها اكثر من رهبنة باخوم ، ظلت حية حتى اليوم ... بعكس الرهبنة الباخومية التي لم تدم اكثر من قرن واحد . ينظر : الطريحي ، الديارات والأمكنة ، ص٤٣ .

(٢) اخميم : مدينة مصرية تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل مقابل الدير الأبيض إلى الجنوب الشرقي من سوهاج . ينظر : دوماس ، آلهة مصر ، ص٤٥ . ينظر: شكل رقم (١) .

(٣) حسين ، تاريخ الإسكندرية ، ص١١٠-١١١ ؛ قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص٨١-٨٢ ؛ عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٨ .

(٤) قب ، نفسه ، ج٢ ، ص٨٢ ؛ عاشور ، نفسه ، ص١٤٩ .

(٥) حسين ، تاريخ الإسكندرية ، ص١١١ ؛ ايمار ، روما وإمبراطوريتها ، ص٦١٨ .

والتجارة والزراعة وغيرها من الأعمال التي تمكن الدير من الاعتماد على نفسه في توفير مستلزمات الرهبان،فلا يكونوا عالةً على أحد،وكان لزاماً على الرهبان أن يجتمعوا معاً في كنيسة الدير أيام الآحاد للقيام بالصلوات المشتركة والمناسبات الكبرى فقط[١]. وما لبثت هذه الأديرة حتى حققت نجاحاً في جذب العديد من الرهبان ، إذ ضمت أكثر من ألفي رجل[٢]، بينما يقدر المؤرخ المعاصر بلاديوس(**palladius**)الذي زارمصر حوالي سنة ٣٩٠م عدد الرهبان من اتباع القديس باخوميوس حوالي ثلاثة ألاف راهب، في حين أشارت بعض المصادر إلى سبعة آلاف راهب كانت تضمهم أديرة كبيرة أخرى[٣].

وقُدر عدد الديارات التي بناها باخوميوس قبل وفاته بتسعة أديرة للرهبان وديرين للراهبات[٤]، بينما يقدرها البعض بثمانية أديرة للرهبان ودير للراهبات[٥].

ولم تخل هذه الديارات من الأولاد الذين شرع الناس في إرسالهم للانخراط في الحياة الرهبانية[٦].

إلا أن التنظيم الديري لم ينته عند هذا الحد فقد ظهرت شخصيات أخرى كان لها الأثر البارز في تاريخ الرهبنة المصرية ، كشخصية شنودة الاتريبي[٧] الذي ركز

---

(١) حسين ، تاريخ الإسكندرية ، ص١١١ ؛ عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٨ .

(٢) أيمار ، روما وإمبراطوريتها ، ص٦١٨ .

(٣) عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٨ .

(٤) قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ أيمار ، روما وإمبراطوريتها ، ص٦١٨ .

(٥) حسين ، تاريخ الإسكندرية ، ص١١٠-١١١.

(٦) البير أبونا ، تاريخ الكنيسة الشرقية ، ج١ ، ص١٧٣ . تختلف الآراء التي تبحث عن وجود الأولاد في الأديرة فمنهم من يؤيد أنها كانت عملية اختطاف تتم من قبل الرهبان ، حتى روي أن الأمهات كن يسترن أولادهن في البيوت خوفاً عليهم من الخطف . وقد اعتمد في ذلك على رأي الراهب الإسكندري الذي يبين اختلاف عملية الرهبنة إذ أخذت بالتراجع والانحطاط . ينظر : الندوي أبو الحسن علي الحسني ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط١٠ ، دار الأنصار، (مط التقدم ، د.م ، ١٩٧٧م) ، ص١٨٧ . ويرجع الآخر سبب ذلك إلى انه من المحتمل أن يكون بعض الآباء قد نذروا ابناءهم للأديرة في مثل هذا العمر ، إذ كان هناك استعداد خاص لتربيتهم ، وفيما عدا ذلك لا يجوز قبول طلاب النسك في أقل من سن الثامنة عشرة ، وهو عمر النضوج . وربما دخل بعضهم للرهبنة وهم في سن السابعة عشر إلا انهم اعتبروا شواذاً ، وكانوا يخضعون إلى ملاحظة ومتابعة كبيرة . شكري ، أديرة وادي النطرون ، ص١٠١ .

(٧) شنودة الاتريبي : نسبة إلى أتريب وهي مدينة مصرية صغيرة جنوب سوهاج إلى جوار الدير الأبيض . دوماس ، آلهة مصر ، ص٤٥ . ينظر : شكل رقم (١) و(٢) .

نشاطه في الديرين الأبيض والأحمر [١]، فقد أسس نظاماً أشبه بنظام باخوميوس في الرهبنة ، وان كان أشد عنفاً وقسوة منه ، إذ انه كان قاسياً بطبعه[٢].

وكانت ذروة الكمال في الحياة الرهبانية قد تمت على يد القديس باسيليوس (٣٣٠-٣٧٩م)[٣]الذي أجرى بدوره إصلاحات على القوانين الديرية ، إذ انه لم يكن معجباً بما فعله أنطونيوس وباخوميوس . فبلغت الحياة الرهبانية قمتها في القرن الرابع، وكان قد أضفى على الأديار الاتزان والاعتدال ، فقام بتحديد عدد الرهبان في كل دير ، وزاد في سلطة الرؤساء ؛ لان طاعتهم وسيلة لطريق الكمال الروحي ، وقوى الحياة المشتركة وفرض الشغل اليدوي كالفلاحة ، والنسيج ، وصناعة الجلود ، والأخشاب والبناء ، فاعتبرها جزءاً من حياة الراهب ومن دونها تكون حياة الراهب خاملة وغير مجدية . وكان قد قلل من التقشفات الجسدية ، وحرم تعذيب النفس ، وركز اهتمامه على ذوبان النفس بمناجاة الله والصلاة والممارسات المستوحاة من الوعود التي قطعها الراهب على نفسه (الطاعة ، العفة ، الفقر) . وأسهب في تفضيل ترك الرذائل ، وتبسط في طرق غرس الفضائل في النفس كحب الله والصبر ، والتقرب إلى الله بممارسة أعمال البر والإحسان ، ومد يد العون للمرضى ومساعدة الفقراء والمحتاجين من أهل المنطقة التي يقع فيها الدير [٤].

ويمثل تطلع القديس باسليوس هذا مزيجاً من المثالية والواقع العملي ، وقام بدوره بالقضاء على العزلة والحياة الانفرادية داخل مؤسسة الدير ، وأكد على اشتراك

(١) الديرين الأبيض والأحمر : يقعان على الضفة الغربية لنهر النيل جنوب سوهاج . دوماس ، آلهة مصر ، ص٤٥ . للمزيد ينظر : شكل رقم (١) و(٢) .

(٢) حسين ، تاريخ الاسكندرية ، ص١١١ .

(٣) ولد في القيصرية (وسط آسيا الصغرى) حيث كان والده يعلم البلاغة ويمارس المحامات ، فكان أول أستاذ له ، وبعد آن أكمل التحصيل في المدارس المحلية ابتدأ جولة تخصص ، كما كانت العادة في زمنه ، فذهب إلى القسطنطينية ثم إلى جامعة أثينا ... وبعد رجوعه من جامعة أثينا بعد إن أمضى فيها خمس سنوات رجع إلى وطنه فعلّم البلاغة واكتسب صيتاً بعيداً لكن سرعان ما شعر تحت تأثير شقيقته الكبرى ماكرينا ، ان قلبه لم يجد راحته إلا في هجر العالم والانقطاع في أمور الله ابتدأ رحلة دامت سنتين تعرف فيها على مناسك وأديرة مصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين ، فدرس وقابل بين أساليب الزهد التي شاهدها ، واختار بقعة بلاد البنطس غير البعيدة عن البحر الأسود لاول تأسيساته الرهبانية ، قرب مدينة القيصرية الجديدة (نقصار اليوم) على ضفاف نهر يشيك أرمك . ينظر : قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ص٨٧-٨٩ .

(٤) قب ، نفسه ، ص٨٢-٨٣ ؛ مؤنس ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص١١٢ .

الرهبان في شتى المجالات سواء أكان ذلك عمل أم عبادة ، ونبذ الفكرة القائمة بالإقامة في القفار البعيدة والصحاري ، وفضّل أن تكون قريبة من المدن أو في المدينة نفسها ، وأكد على تحريم الملكية الخاصة لأعضاء الدير ، حيث لا يجوز للراهب أن يمتلك سوى ثوبه ونعليه ، وان تكون ملابسه غاية في البساطة والنظافة[١]، وان يكون طعامه مغذياً دون إسراف ،لذا عُد القديس باسيليوس المؤسس الحقيقي للحياةالديرية[٢] في مصر.

وحازت الحياة الديرية في القرن الرابع الميلادي على إعجاب الكثيرين كونها تمزج الحياتين الدينية والاقتصادية . إلا إنها على الرغم من ذلك لم تكن خالية من العيوب والمساوئ ، فقد اعتبرها البعض نوعاً من الجبن لعدم مواجهة الرهبان للعالم الخارجي ، وأنها أنانية متسترة بحجاب التدين ، إذ يُفكر الراهب في إنقاذ نفسه دون إنقاذ الآخرين . في حين يصفها البعض – الحياة الديرية – كعامل من عوامل التفسخ والانحلال الذي بدا واضحاً ينخر في جسم المجتمع الروماني ، وقد اتضحت هذه الحقيقة من خلال الفزع الذي انتاب الحكومة الرومانية لكثرة الأفراد الذين هجروا الحقول والمتاجر للانخراط في سلك الحياة الديرية فسنت قانوناً يقضي بتحريم دخول الأديرة لمن يصلح للخدمة العسكرية[٣].

ولم يمض وقت طويل حتى أخذت الحياة الرهبانية والديرية تنتشر في بلاد المشرق خارج الحدود المصرية نحو بلاد الشام وقبرص وما بين النهرين وأسيا

الصغرى[١]. فقد بلغ الحماس الديني في أديرة بلاد الشام والعراق عندما صارت الديارات محاطة بالعديد من الصوامع التي انفرد فيها الكثير من الرهبان الذين كانوا يتبارون في

---

(١) تختلف وجهات النظر حول نظافة الرهبان ، فيذكر أنهم كانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ، ويتأثمون عن غسل الأعضاء ، وأن ازهد الناس وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة ، وأوغلهم في النجاسات والدنس .أستشهاداً بقول الراهب اتهينس : أن الراهب أنتوني لم يقترف أثم غسل الرجلين طول عمره ، وكان الراهب إبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة ، وقال الراهب الإسكندري بعد زمن متأسفاً : وآسفاه ! لقد كنا نعد غسل الوجه حراماً فإذا بنا ندخل الحمامات . ينظر : الندوي ، ماذا خسر العالم ، ص١٨٧ .

(٢) عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٩ .

(٣) عاشور ، نفسه ، ص١٥٠-١٥١ . وكان من النتائج السلبية للحياة الرهبانية ان تزلزلة الحياة العائلية وعم الكنود والقسوة على الأقارب ، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم بالحنان والرحمة وعيونهم من الدمع ، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات فيخلفون الأمهات ثكالى والأزواج أيامى والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس . وهم – الرهبان – يتوجهون راصدين الصحراء همهم الوحيد ان ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا . ينظر: الندوي ، ماذا خسر العالم ص١٨٨ .

الزهد والتنسك ، وتعذيب النفس والجسد إلى درجة كانوا يقومون بحمل الصلبان الكبيرة أو يقيدون أيديهم وأرجلهم بقيود من الحديد ويلبسون الدروع وهم عراة الأجساد ، فصاروا موضع إعجاب الناس .بل ان بعضهم بات يشبه في حياته ما كانت عليه الحيوانات كأكلهم الحشائش واستيطانهم للجحور الخالية ، وما هي إلا فنون للتوصل إلى أعلى درجات الكمال من الفضائل التي تجلب الانتباه وبالتالي يكون الأقدر على صنع الآيات والمعجزات من شدة التنسك[٢]. حسب ما كانوا يعتقدون .

ويُعد سمعان العمودي الأكبر[٣](٣٩٠-٤٥٩م) من ابرز الرهبان في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) إذ تتلمذ على يديه عدد من نساك بلاد الشام ، وما لبث أن هجره ليتخذ لنفسه أسلوباً مبتكراً في العبادة ، فكان ممن أثار الدهشة لغيره من الرهبان لاسيما من كان يعيش معه في نفس المكان – في ضيعة دير سمعان الحالية حيث مكث هناك ربع قرن ، بسبب أهوال التعذيب التي كان يقوم بها والتي كادت توصله في بعض الأحيان إلى الانتحار بسبب ممارسته العديد من أشكال العبادة ، فبعد انتقاله ليقيم على جبل شرقي إنطاكية[٤] انفرد في كوخ حقير[٥]ويذكر إنها

دائرة من الأحجار وربط نفسه بقيد ثقيل ليتفرغ لذكر الله[١]، فبدا صيته يذاع في البلاد وسرعان ما بدأت الجموع تتوافد إليه للتبرك وطلب النصائح ، وارتأى أن يقيم على

---

(١) عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٩ ؛ سعيد ، في موكب التاريخ ، ص٣٧ .

(٢) لومون ، مختصر تواريخ الكنيسة ، استخرجه حديثاً من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية : الخوري يوسف داود ، (مط الأباء الدومنيكيين ، الموصل ، ١٨٧٣) ، ص٢٨٠ ؛ جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، ص٣٣٦ ؛ الندوي ، ماذا خسر العالم ص١٨٧ .

(٣) واسمه (سيميون ستولين الأكبر) ، ولد في ضيعة سيزا في مقاطعة الاسكندرونة (قرب محطة السلاحية إلي الحدود التركية السورية اليوم) من عائلة وضيعة ، فاصبح راعياً ، وفي ذات يوم اضطر إلى ترك الماشية في الزريبة بسبب كثرة الثلوج ، فذهب إلى الكنيسة ، وسمع قراءة التطويبات ، فأثرت فيه أيما تأثير ، وسأل أحد الحاضرين عما يجب عمله لاستحقاق طوبى الإنجيل فأشار إليه هذا باعتناق الحياة النسكية . قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ص٩٥ .

(٤) يقع هذا الجبل على بعد ثلاثين أو أربعين ميلاً إلى الشرق من انطاكيا بينها وبين سلوقية بيريه . ينظر : داوني ، انطاكيا القديمة ، ص٣٢٧ .

(٥) قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ص٩٦ ؛ مؤنس ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص١١٣ . وقيل انه اخرج من الدير بسبب ما قام به من تقشف ، وهذا لا يوافق نظام الدير فرأى رئيس الدير لن يخرجه ، فتوجه إلى دير في قرية تلنساء في نواحي انطاكيا . لومون ، مختصر تواريخ الكنيسة ، ص١٨١ .

(١) جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، ص٣٣٦ .

عمود[2] مبني بالقرب من إنطاكية ، ولم ينزل منه إلا ليعتلي عموداً أعلى[3]، وكان يقيم صلاته في أوقاتها دونما عائق ، ويكرس جزءاً من وقته لوعظ الجموع القادمة إليه سواء توجيههم إلى العبادة الخالصة أو فض المنازعات الدائرة فيما بينهم ، ويتم ذلك حول العمود ويكون مرتين في النهار . وقد تنصرت على يده أعداد غفيرة من القبائل العربية القاطنة في بلاد الشام[4]، وكان عرب حمير والعراق من النصارى يحجون إلى مقامه زرافات ووحدانا في القرن الخامس للميلاد[5].

وكان سمعان العمودي في الصوم الأربعيني ينقطع إلى ربه بعيداً عن الناس فلا يأكل شيئاً من الطعام بل يقى صائماً مستعداً لعيد الفصح المجيد[6]. وبالرغم من المبالغة[7]في هذه الرواية إلا أنها تدل على مدى ممارسة هؤلاء الرهبان للرياضة الروحية في تعذيب الجسد بالامتناع عن الطعام والشراب لفترات طويلة .

بقي سمعان على ممارسته للترهب فوق الأعمدة اثنين وأربعين عاماً منها ثلاثين سنة فوق عمود ارتفاعه ستون قدماً ، تحلّى خلال تلك السنوات حرارة الصيف

(2) صار هذا العمود جزء من كنيسة القديس سمعان العمودي التي بنيت في حدود سنة ٤٧٦م في عهد الإمبراطور زينون ، بناءاً على طلب دانيال العمودي تلميذ سمعان العمودي ، والى جانبها ديره (دير سمعان) ، ويعرف هذا المكان اليوم بقلعة سمعان ، فهو على طريق حلب – انطاكيا ، في سوريا . ينظر : البهنسي ، عفيف ، الفنون القديمة ، (دار الرائد ، لبنان ، ١٩٨٢م) ، ص٢٨٩-٢٩٠ .

(3)وذلك تجنباً من مضايقة الجماهير وفضول الزائرين الذين كانوا يصلونه بأعداد هائلة حتى وصل العمود من ثلاثة أمتار إلى ثمانية عشر متراً عن الأرض . قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة،ص٩٦ ؛ أيمار ، روما وإمبراطوريتها ، ص٦١٨ .

(4) لومون ، مختصر تواريخ الكنيسة ، ص٢٨٠ ؛ قب ، نفسه ، ص٩٦ ؛ يتيم وديك ، تاريخ الكنيسة ، ص١٢٢ . بروي ، القرون الوسطى ، ص٢٢ ؛ جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ، ص٣٣٧-٣٣٨ .

(5) الأصفهاني ، أبو الفرج ،الديارات، تحقيق : خليل العطية ،(د.مط ، لندن ،١٩٩١م) ، ص٣٩٦ .

(6) قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ص٩٦ .

(7) لايمكن بأي حال من الأحوال أن يبقى الإنسان على قيد الحياة بلا طعام هذه الفترة ، ولكن مثل هذه الروايات ربما كتبها أتباع هؤلاء الرهبان من شدة إعجابهم وتقديسهم لهم ، لكي يضفوا عليهم هالة من القدسية في نظر العامة .

وزمهرير الشتاء معتمداً في غذائه على بعض الأعشاب ، وكان يساعده اثنان من الرهبان مستعينين بسلم يثبتانه على العمود لكي يتمكن من الصعود إليه[1]. وكان يدلي سلة صغيرة بوساطة حبل للحصول على ما يحتاجه من لوازم أساسية[2].

ومن الملاحظ أن سمعان العمودي الأكبر كان قدوة لغيره من الرهبان . فبعد وفاته أخذ العديد من الرهبان يقلدونه[3]، لذا أُطلق عليهم اسم (**عاموديون**)[4]، كذلك لم تخل المناطق الشرقية من (**الشجريون**) الذين صعدوا إلى أعالي الأشجار فكانت لهم بمثابة صوامع يتعبدون فيها ولم يكن الارتفاع وحده قد مثل حالة العبادة عند الشرقيين ، بل مثلت المناطق المنخفضة تحت سطح الأرض شكلاً أخر من أشكال الرهبنة كـ(**البئريون**) الذين أقاموا في قعر الآبار للاختلاء لعبادة الله[5].

من ذلك يتضح ان البلاد الواقعة من الشرق من مصر كسوريا والعراق وآسيا الصغرى التي مثلت ساحة واسعة لنشر الرهبنة ، قد تفنن رهبانها في طرق العبادة ، فابتدعوا ما يروق لهم وما يتمثل في مخيلتهم هروباً من المجتمعات البشرية .

ولكن الذي يهمنا في هذا المقام هو كيفية وصول الرهبنة إلى العراق، فقد اختلف المؤرخون في سبل انتقالها إلى هناك . فيتمسك (فييه) بالآراء التي تؤيد أن مار اوجين هو الأب الوحيد والمباشر في الكنيسة السريانية الشرقية وهو الذي نقل الرهبنة إلى بلاد ما بين النهرين ، مؤكداً ذلك من خلال نشر النصوص التي تؤيد وجهة نظره في ذلك . فيذكر في كتاب (الآشوريون في التاريخ) ما يؤيد ذلك بالنص : ((لقد ادخل رهبنة الأديرة إلى بلاد ما بين النهرين مارأوكين – اوجين –وهو مصري ايضاً توفي ٣٦٢م

(١) قب ، لوحات من تاريخ الكنيسة ، ص٩٧ ؛ داوني ، انطاكيا القديمة ، ص٢٨٤ .

(٢) عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٩ .

(٣) ومنهم سمعان العمودي (سيميون استوليتس الأصغر) ولد سنة٥٢١م وعاش طفولته في منطقة كيرايتون بمدينة إنطاكية ذات الطابع المسيحي، وكانت بها صورة للسيد المسيح عليه السلام وبصحبته زمرة من الأبرار، ويبدو أن هذه الدوافع جعلته يرتقي عموداً لأول مرة وعمره سبع سنوات.ينظر: داوني ، انطاكيا القديمة ، ص٣٢٦ –٣٢٧ . بشأن انتقال العاموديين الى العراق ينظر: شكل رقم (٤) .

(٤) عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، ص١٤٩ . لم يكن للنساطرة نساك عاموديون ، بينما اليعقوبيين ، واصلوا هذه العادة القديمة ، ونعرف في منطقتنا (العراق) ناسكاً هو ميخائيل الجندي النينوي الذي أسس ديره في نحو سنة ٥٩٥م في قرية دير اسطون (تربه سبي) الواقعة على مسافة كيلو متر واحد شرقي طريق الموصل – زاخو ، على مسافة ٤كم جنوب شرقي بقاق . ينظر : المرجي ، الرؤساء ، ص١٤٤ ، هامش (٣) .

(٥) ايمار ، روما وإمبراطوريتها ، ص٦١٨ .

جاء إلى هذه البلاد ومعه سبعون راهبا[1] أقاموا أولاً في نصيبين ثم نقلوا إلى جبل عزلة . كذا ، والصحيح ايزلا . حيث عاشوا في المغاور مدة ثلاثين سنة وسرعان ما غدا عددهم ثلاثمئة . أبان حكم شابور الثاني(٣٠٩ـ ٣٧٩ م)[2]، أعطى هذا الملك فرماناً – مرسوماً – لمار اوكين يخوله ببناء الكنائس والأديرة أينما شاء . وبعد أيام قلائل من استحواذه على هذه المأذونية الملكية . ذهب اثنان وسبعون راهباً وراهبتان ، وكل يحمل صليبه ، يؤسسون الأديرة ويبنون الكنائس . وقد دّون مار توما في تاريخ مركاي . المرج . أسماءهم إلى جانب أسماء الأديرة التي أسسوها وأماكنها . وكانت المرأتان شقيقتي ماراوكين ، مار تقلا ومار ستراتوتيك))[3].

كذلك يعتمد فييه على الآراء التي جاء بها ايشو عياب بن ملكون (رئيس أساقفة الرها[4]عام ١١٩٠) في كتابه (الدفاع عن النسطورية) قوله : ((اوجين المصري الذي قدم إلى المشرق)) كأب للرهبان وجلب إلى طور عابدين[5]طريقة الحياة الرهبانية وتلاميذه حفظوا المشرق في الإيمان الأرثوذكسي ، لكنه يبالغ لحد الإفراط في مديحه لمار اوجين، فهو يسميه ((مسيحكم الثاني ومخلصكم)) ، ويذكر فييه أيضاً ما ورد في نسخة خطية للإنجيل كتبته إحدى أميرات المغول عام ١٢٩٨م ، تبتهل إلى مار اوجين

---

(١) ويجعلهم فييه (٢٨)راهباً معتمداً بذلك على التاريخ السعردي لادي شير ، وسنوضح ذلك لاحقاً .

(٢) ويذكر انه من العجائب التي جرت على يد أوجين انه طرد شيطاناً من أحد أبناء شابور ـ الملك الفارسي . فمنحه الملك حرية التجول في المنطقة الفارسية ...وبعد ذلك اجتمع إليه تلاميذه السبعون والتمسوا بركته ، ثم ذهب كل منهم إلى منطقة لتأسيس دير فيها . البير أبونا ، تاريخ الكنيسة الشرقية ص١٧٦.١٧٧ .

(٣) فييه ،حنا ، أضواء على انتشار الرهبنة في بلاد بين النهرين ، تعريف : نجيب قاقو ، مجلة بين النهرين ، عدد خاص ، (مط الأديب البغدادية نيسان ، سنة ١٩٧٦م) ، العدد ١٤ – ١٥، ص٢٥٤ .

(٤) وتسمى اورهاي أو أديسا(اورفة الحالية)هي الآن في تركيا،شيّدها سلوقوس نيقاطور سنة ٣٠٤ ق.م،وهي واقعة على نهر ديصان الذي يختلط بنهار كولاب ويشكلان نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات.اشتهرت الرها بمدرستها التي اشتهرت في عهد القديس افرام الملفان سنة ٣٦٣م،واشتهرت بكثرة ديورها والصوامع العديدة في الجبل المقدس المطل عليها.ينظر : المرجي ، الرؤساء ،ص٤٥.

(٥) طور عابدين : مدينة تقع في أعالي نهر الخابور شمال شرق سوريا والى جنوب منطقة ديار بكر الحالية والى القرب من مدينة ماردين . ينظر : ساكز ، هادي ، قوة أشور ، ترجمة : عامر سلمان ، (مط المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٩٩م) ، ص٨٤ ؛ شكل رقم (٥) . وتعد أديرة مار متي ثم طور عابدين أقدم أديرة أسست في غرب العراق حيث صارت من مراكز المذهب اليعقوبي الرئيسة . ينظر : أوليري ، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ،ترجمة : تمام حسن ، (مط الرسالة ؛ نشر مطبعة الانكلو مصرية ، د.م ، ١٩٥٧م) ، ص١٣٦ .

في الخاتمة وتدعوه ((صانع المعجزات))الوحيد ويلي العذراء وجماعة الرسل مباشرةً في التكريم[١].

ويوضح فييه الآراء التي جاء بها العلاّمة لابور والتي يتبين من خلالها أن أبوة مار اوجين قد انحصرت بأحد الأديرة في طور عابدين ، فهو ينفي وجود العلاقة بين مار اوجين والأديرة الشرقية[٢]. فكان يتذرع – لابور – بسكوت توما المرجي عن مار اوجين[٣]، إلا أن فييه خالفه الرأي بقوله : ((فيكون لذلك قيمة فيما لو كتب توما المرجي حقيقة تاريخاً للحياة النسكية ، لكنه في الواقع يكتب تاريخ أباء ديره في بيت عابي فقط . إذا لم يكن لديه ما يدعوه إلى الكلام عن اوجين))[٤].

وكان رد الفعل الثاني من خلال ما أورده القس بطرس نصري ، الذي جرد لابور من كل لقب ،إذ اعتبر نظريته كفر بحق كنيسة المشرق ، وان الرهبنة جاءت إلى هذا الإقليم . العراق . بحدود ٣٢٥م من بلاد مصر على يد القديس اوجين الذي جاء مع ثمانية وعشرين من رفاقه من صعيد مصر ، فسكنوا في جبال ماردين و نصيبين وجبل سنجار[٥].

أما أدى شير فقد طرح رأيه بحرية و تعقل ، فبدأ مقالته بعبارة ((إن العلاّمة لابور ...))، وان كانت هذه بادرة بسيطة إلا أنها تخرج النقاش من جو الانفعالات التي تجعله نقاشاً عقيماً إلى جو مغاير تماماً، حيث تبادل الآراء العلمية بهدوء واحترام ، وفي الخلاصة التي يقدمها أدى شير لنظرية لابور يضرب صفحاً عن النقاط التي لا يوافقه فيها بقوله : ((فيما يخصنا. نحن نوافق الأب لابور رأيه ... ونزيد على ما أتى به من أدلة ...))[٦].

(١) فييه ، أضواء على انتشار الرهبنة ، ص٢٥٤-٢٥٥ .

(٢) فييه ، نفسه ، ص٢٥٥ .

(٣) المرجي ، الرؤساء ، ص٢٠ ؛ فييه ، نفسه ، ص٢٥٥ .

(٤) فييه ، نفسه ، ص٢٥٦ .

(٥) لومون ، مختصر تواريخ الكنيسة ، ص١٦٩ وما بعدها ؛ نصري الكلداني ، بطرس ، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ، (مط الأباء الدومنكيين ، الموصل ، ١٩٠٥م) ، ج١ ، ص٦٤ .

(٦) وهي ادلة يبعد التصديق بها من إن مار اوجين كان قد جلب الرهبنة من ارض مصر إلى الشرق ، في حين يرد في صفحات سابقة من كتابه عن لسان المؤرخين الشرقيين أن الرهبنة كانت على يد ماراوجين وقد جلبت من مصر إلى الشرق . ينظر : ادي شير ، تاريخ كلدو وآثور، (مط الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٣) ، م٢، ص٣٦.٣٣ .

واخيراً يتوصل فييه إلى أن مار اوجين ما كان إلا ((أباً للرهبان)) معتمداً في ذلك على التاريخ السعردي الذي وجد فيه قبس ينير له الطريق ليوضح هذه المعضلة . أبوة اوجين للحياة النسكية . ويستند (التاريخ السعردي) فيما يقرره في هذا الشأن إلى مصدرين متغليرين ، فالأقرب منها زمناً يخص اوجين بسبعين تلميذاً جاءوا معه من مصر إلى نصيبين . وأما الثاني وهو الأقدم على ما يظهر فأنه يكتفي بأن يجعل لأوجين ثمانية وعشرين مرافقاً . وهو يوافق الرأي الثاني الأقرب إلى الحقيقة معتمداً في ذلك على تتبعه للخريطة التي توضح مجال توسع الرهبان الاوجينيين الحقيقيين،فيقول : ((**لا يكادون يصلون العراق وإنما كان انتشارهم على الأكثر من الناحية الشمالية منطلقين من نصيبين باتجاه قردو وداسن و جبال حكا ري المرتفعة**))[١]. أما البير أبونا فيقف موقف المحايد ، فيقول :لا يسوغ لنا أن نعتبر القديس مار اوجين هو المصدر الوحيد في نقل الرهبانية إلى بلاد ما بين النهرين ، فلا يحق لنا كذلك أن ننكر عليه كل صلة بالرهبانية في الشرق[٢].

في حين يرى بعض المؤرخين أن هذا الاعتقاد هو ادعاء فارغ وزعم باطل ، مدعين أن الحياة الرهبانية نشأت في العراق في القرن الثالث الميلادي ، وانتشرت في أوائل القرن الرابع على أيدي بني وطننا الأفاضل . قدماء نصارى العراق . أي إنها لم تكن بفضل مار أوجين المصري(ت٣٦٣م)[٣]. غير أن ما توصلت اليه هو أن الرهبنة انتقلت إلى العراق بفضل مار أوجين .

ومهما يكن من أمر فقد شيدت الأديرة النصرانية في العراق في القرن الرابع الميلادي ، كدير مار ميخائيل فوق الموصل ،على نهر دجلة ولا يزال قائماً[٤]، ودير مار متي في جبل مقلوب في شمال نينوى ، واشتهرت أديرة أخرى كالدير الكبير ودير

(١) فييه ، أضواء على انتشار الرهبنة ، ص٢٥٨ .

(٢) البير أبونا ، تاريخ الكنيسة ، ص١٨٢ .

(٣) عواد ، كور كيس ، أثر قديم في العراق دير الربان هرمزد ، (مط النجم ، الموصل ، ١٩٣٤م) ، ص٦١ ؛ دي طرازي ، فيليب ، خزائن الكتب العربية في الخافقين (منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، د.مط ، بيروت ، ١٩٤٨م) ، م٢ ، ص٢٦٩ ؛ اسحق ، مدراس العراق قبل الاسلام ، (مط شفيق ، بغداد ،١٩٥٥م) ، ص٥١ ؛ ميناس ، روفائيل ، رهبان من كركوك ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، هيئة اللغة السريانية ، (شركة التايمس للطبع والنشر ، ١٩٨١-١٩٨٢م) ، م٢ ، ص٢٨٥ .

(٤) لومون ، مختصر تواريخ الكنيسة ، ص١٦٩ ؛ نصري ، ذخيرة الأذهان ، ج١ ، ص٦٤ .

مار أوجين في جبل أيزلا ، ودير بيت عابي في المرج[1]، ودير مار بهنام قرب النمرود ، ودير مار ايثالاها بجوار دهوك ، وأديرة الحيرة وطور عابدين وغيرها[2]، وبحلول الربع الأخير من القرن السادس الميلادي باتت هناك العديد من الديارات (قرب نصيبين ، وفي قردو[3]، والمرج ، و حدياب ، والحيرة والأنبار) ، وشهد العقد الأول والثاني من القرن السابع الميلادي حركة أخرى لبناء الديارات وقد اقترنت مع الانتشار الكبير لرهبان جبل ايزلا[4].

واستمرت عملية بناء الديارات في العراق إلى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ، حيث شيدت أديرة جديدة بعد مدة قصيرة من بدء الفتوحات الإسلامية في حدياب ، وبيت جرمى[5]، والمناطق المجاورة للحيرة وفي الأنبار، كما شهدت كسكر[6]

---

(١) المرج : هو اسم أطلق على المنطقة التي تشكل مثلثاً متساوي الساقين ، قاعدته نحو الشمال في سلسلة جبال عقرة ، ورأسه نحو الجنوب عند ملتقى نهر الزاب الكبير بالخازر . ويحد هذه المنطقة من الشرق نهر الزاب الكبير ومن الغرب نهر الخازر ورافده نهر الكومل ، والاسم مشتق من تربة المنطقة الخصبة الغزيرة المياه ، ويطلق على المرج بالكلدانية (مركا) . ينظر: المرجي ، الرؤساء ، ص١١ .

(٢) أدي شير ، كلدو وآثور ، ج٢ ، ص٣٤ ؛ حبي ، دير الربان هرمزد ، ص١٦ ؛ فييه أضواء على انتشار الرهبنة ، ص٢٥٨-٢٥٩ .

(٣) قردو :هي المنطقة الواقعة شرقي نهر دجلة والمقابلة لبيت زبدي . ينظر: المرجي ،الرؤساء ، ص٣٣ .

(٤)G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest , p. 362 .

(٥) وتدعى ايضاً بيت كرماي أو باجرمي وهي مقاطعة فسيحة مركزها مدينة كرخ سلوخ (كركوك الحالية) وقد كانت كرسي المطرافوليط ، وهي تشمل عدة مرا عيث ، وتستخدم لفظة مر عيث للدلالة على رعية الأسقف . المرجي ، نفسه ، ص٢٤ .

(٦) كسكر : وهي من أعمال واسط ، انتشرت فيها المسيحية منذ القرن الأول للميلاد ، نشرها (مار ماري) المتوفي ٨٢م . الأمر الذي أدى إلى تشييد العديد من الأديرة فيها . منها (دير مار يوحنا) الذي شيده يوحنا الكسكري في بداية القرن الخامس الميلادي ، وجدد هذا الدير من قبل (كاني) وظل قائماً حتى سنة ٨٦٠ أو ٨٧٠ م ولم يحدد موقع هذا الدير . ومن الأديرة المهمة الأخرى هو (دير مار سرجيس). وشيد ايضاً (حايا) بعد سنة ٨٨م ديراً بالقرب من كسكر، كما شيد(مارجيني) ديراً في منطقة كسكر في بداية القرن السابع الميلادي . وفي نحو القرن السابع الميلادي شيد (مار جبرائيل) ديراً في منطقة كسكر ، وفي أواخر حكم الدولة الساسانية شيد (جان) ديراً في ضواحي مدينة كسكر ، واستمر بناء الديارات فيها حتى في العصر الإسلامي إذ شيد الراهب (تيودوروس الكسكري) ديراً ومدرسة بالقرب من المدينة وعاش هذا الراهب في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ثم شيد تلميذه ديراً قرب مدينة بانيشار التي تقع في ضواحي كسكر .وفي بداية القرن الثامن = = الميلادي شيد (راموي الكسكري) ، ديراً في كسكر ، كما أسس في هذا القرن (جائن) ديراً آخر فيها ، وفي منتصف القرن الثامن الميلادي شيد الراهب (مار سبر يشوع) ديراً بقرب المدينة يسمى (عُوكسكر) وآخر ما

وما حولها بناء أديرة أخرى جديدة[1]. وهكذا ما لبثت أن انتشرت الديارات في جنوب العراق وشماله وشرقه وغربه ، وازدهرت في كل مكان ، حتى بلغ عدد رهبان بعض الديارات الآلاف . وهذا بدوره يوضح سعة انتشار الأديرة آنذاك .

ومما يشير إلى كثرة الديارات العراقية ورهبانها عصر ذاك ما أورده القديس ايرونيمس،قائلاً :((لا بلاد بعد مصر نما فيها الرهبان اكثر من بلاد مابين النهرين))[2].

الفصل الأول

ورد في ذكر الأديرة هناك ما رددته مصادر القرن الثالث والرابع الهجريين عن ديرين في منطقة واسط (دير مافنة) الواقع شمال مدينة واسط والآخر هو (دير العمال) الواقع جنوب هذه المدينة. وهذا يوضح أهمية كسكر قديماً في مجال بناء الديارات . ينظر : عدناح ، الديورة ، ص٢٦ ،٦١ ،٧٤ ،٧٩ ؛ ابن رستة ، أبي علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة ، (د.مط ، ليدن ،١٩٠٧م) ، ص١٨٧ ؛ الشابشتي ، الديارات ، ط٢، ص٢٧٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٤، ص٤١٦ ؛ نصري ، ذخيرة الأذهان ، ج١ ، ص٣٨، ٣٩ ،٢٥٧ ،٢٥١ ، ٢٧٥ ؛ المعاضيدي ، عبد القادر سلمان ، واسط في العصر الأموي (٨١هـ - ١٣٢هـ/ ٧٠٠م- ٧٤٩م) ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦م) ، ص٦٦-٧٠ .

(١) G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest , p. 363 .

(٢)نقلاً عن اسحق ، مدارس العراق قبل الاسلام ، ص٥٣ .

أشهر الرهبان الذين قاموا ببناء الديارات في العراق قديماً

بعد أن وجدت الرهبنة الأرض الخصبة في العراق إذ شهدت نشاطاً كبيراً في القرنين السابع والثامن الميلادي[١]، كان لابد من تشييد أماكن لعبادة هؤلاء الرهبان وإقامة طقوسهم الدينية ، ولتكون مأوى لهم . وقد تمثلت هذه الأبنية بالديارات ، واشتهر بعض الرهبان باهتمامهم ببناء بعض الأديرة آنذاك ومنهم (ربن خوذا هوي)[٢] وهو من أهل ميسان ، الذي رافق صاحبه (ربن سابور) صاحب عُمر تستر[٣] حيث بقى إلى جانبه ، وترهب في عمره ، وانفرد في قلاية ، ومنع نفسه من اللذات[٤] . وبعد وفاة صاحبه (ربن سابور) رأى (خوذا هوي) في منامه (مر بابي)[٥] وأصحابه يقولون له : ((إن أردت أن تكون راهباً فامضِ إلى برية الحيرة [٦] وأقم بها))[٧] ، فما كان عليه إلا أن نفَّذَ أوامرهم ومضى إلى برية الحيرة ، وكان يرافقه الأب (يرداد) وهو من أهل ميسان ايضاً، ودخلا دير اللج[٨] في طريقهما إلى البرية . ولم يكن الدير خالياً آنذاك لان (ربن سهدا) السائح كان يقطن فيه ، فسلما عليه ، وما أن أخبراه بحالهما حتى أخذ دهناً ومسح به رأس (ربن خوذا هوي) ، وقال له : ((قد جعلك الله رئيساً على أخوتك من أجل هذا مسحك الهك بدهن الفرح أكثر من أصحابك))[٩] ثم اتجه (ربن خوذا هوي) إلى برية معرى(١٠) التي احتوت على عدد من الرهبان الذين أقام معهم

(١) مجلة النجم ، العدد الأول ، السنة الثانية ،٢٥ كانون الأول ،١٩٢٩م ، ص٤٨٢.

(٢) خوذا هوي : ناسك من القرن السابع ،أسس دير بيت حالي على شاطئ دجلة بالقرب من الحديثة المسمى أيضاً بدير الطين في برية الحيرة.ينظر: المرجي ، الرؤساء ،ص٥٦ وص١٦٦ هامش (٤).

(٣) أعتقد كسكر .

(٤) مجهول ،التاريخ السعردي ،نشر : أدي شير ، (د.مط ، باريس ،١٩١٨م) ، ج٢ ، ص٥٩٠ ؛ عدناح ، الديورة ، ص٦٠ ، رقم (٧٩) .

(٥) وهو من الرهبان الذين امتازوا بالعلم و السيرة الفاضلة ، كان معلماً للكنيسة ، وقد استعان به الرهبان لزيارة الاعمار والأديرة ، فتقلد خدمة الكنيسة . ينظر : المرجي ، الرؤساء ، ص٥٠.٥١ .

(٦) الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة في موضع يقال له النجف . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ١٦،٢٧٢،٢٩٤ ، ٣٣٢.

(٧) أدي شير ، التاريخ السعردي ،ج٢ ، ص٥٩٠ .

(٨) وهو في منطقة الحيرة .

(٩) ادي شير ، التاريخ السعردي ، ص ٥٩١ .

(١٠) في منطقة الحيرة

وكان يعتمد في غذائه هو ورفيقه (يرداد) على نباتات الأرض وفي بعض الأوقات على الخبز اليابس إذا ما استطاعوا الحصول عليه ، ((وبنوا هيكلاً في هذا البر وقد سوا فيه مذبحاً))(١)وسمي عمر معرى(٢) ، وقد حصل هذا العمر على شهرة واسعة فاصبح مكاناً لجذب الرهبان (٣). وكان (ربن خوذا هوي) قد نُصّب رئيساً على بقية زملائه من الرهبان ، لكونه مثلاً يحتذى به في الرهبنة إذ لم يركب على ظهر دابة طيلة حياته

ولم يمس بيده ذهباً ولا فضة منذ ترهب ، وصار جسمه من شدة تحمله للحر والبرد كالعود المحترق(٤) ولم يأكل بعد بنائه العمر شيئاً مطبوخاً مدة سبع سنين(٥) ولم يبق (ربن خوذا هوي) في العمر الذي بناه لأنه سمع صوتاً من السماء يأمره بمفارقة العمر وان يقيم في البرية(٦) ،لذا ابتعد عن العمر وسكن في موضع آخر يبعد سبعة فراسخ(٧)، مات (ربن خوذا هوي) عن عمر ناهز الخامسة والتسعين(٩)،وبما انه كان رئيساً للدير . فلم يترك حبل الدير على الغارب ، إذ خَلّفَ تلميذه (مار بابي) الذي كان فارسي الأصل ، والذي تنبأ له(ربن خوذا) بالرهبنة وأقتبل الاسكيم(١٠) من أستاذه وبقي في رئاسة الدير حتى وفاته ،ودفن في نفس الدير، وكان الخلف الثاني لرئاسة الدير(مارداد

(١) المذبح: ((هم مكان يكون في الكنيسة يقربون عنده القرابين و يذبحون الذبائح و يعتقدون أن كل ما يذبح عليه من القربان صار لحمه ودمه لحم المسيح ودمه حقيقة)) . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٢٨٤ .

(٢) أدي شير ، التاريخ السعردي ، ج٢ ، ص٥٨٧ .

(٣) أدي شير ، نفسه ، ج٢ ، ص ٥٩١ .

(٤) أدي شير ، نفسه ، ج٢ ، ص٥٩٢ .

(٥) أدي شير ، نفسه ، ج٢ ، ص٥٩٣ .

(٦) أدي شير ، نفسه ، ج٢ ، ص٥٩٣ .

(٧) الفرسخ = ثلاثة أميال = حوالي٦ كم . شتريك ، خطط بغداد ، ص١٤ .

(٨) أدي شير ، نفسه ، ج٢ ، ص٥٩٣ .

(٩) عدناح ، الديورة ، ص٦٠ ، رقم (٧٩) .

(١٠) الاسكيم : وهو الزي الرهباني، ويتكون من الثوب (كوتينا) وقد ترجمها الأقدمون (المدرعة) ... وهي الجبة . ينظر : حداد ، الرهبانيات النسائية ، ص٤٤ ، نخلة ، روفائيل اليسوعي ،غرائب اللغة العربية ، ط٢ ، (مط الكاثوليكية ، بيروت ، د.ت) ، ص٢٥٣ .

يشوع) وأصله من ما حوزا [١] في منطقة مجاورة للمدائن ثم انطلق إلى دير (باحلا) [٢] واقتبل الاسكيم من(مر بابي)رئيس الدير وبقي مقيماً في القلاية زمناً ،ثم قام بتشييد ديراً قرب الحيرة ثم توفي ودفن في نفس الدير (٣)،وكان (مار ابراهام) من معاصري(مار داد يشوع) الذي عاضده قي تجديد دير (قنى)الواقع إلى جانب قرية دارون القريبة من بغداد وأصله من(بيت أرمايي)[٤] ومن الذين اشتهروا بالرهبنة أيضاً (القديس الربان باعوث) و (القديس ما دوسا)وقد أسس الربان باعوث ديراً في بلد بانهدرا)[٥]من دير (مار يونان بر طورا)في الأنبار، وأصله من بلد (باعر بابي)[٦]، وأقتبل الأسكيم من يد (مار يونان بر طورا) [٧] كما أسس ديراً آخر يدعى دير (برحزايا)في قرية (اسكفيل) بجوار (دور قوني) [٨]،وقد أسسه القديس (مار دوسا) من أهل كسكر بصحبة وأقام في الصومعة زمناً كما شيد ديراً منيعاً آخر من قبل القديس ربان تئود ور وكان قديساً آخر يدعى (يوحنا) بعد أن ذهبا إلى دير (الربان خوذا هوي) وأقتبل الاسكيم وأقام في الصومعة زمناً . كما شَيَّد ديراً منيعاً آخر من قبل القديس ربان تئود ور وكان من أهل كسكر [٩] .

(١) ويطلق الأقدمون أسم ماحوزا أي المدينة على مركز المنطقة ، وكرسي مطرانها ،وكان لسلوقية وقطيسفون ماحوزا أي المدائن . ينظر :المرجي ،الرؤساء ، ص ، هامش (٢) . الماحوز : قلعة ساليق . عدناح ، نفسه ، ص٦١ ، رقم (٨٣) .

(٢)ويطلق عليها أيضاً باحالا أو بيت حالا في جوار الموصل ، وقد أسسه مار خوذا هواي .عدناح ، نفسه ، ص٦٠ ، رقم (٧٩) .

(٣) عد ناح ، نفسه ص٦١ ، رقم (٨٣) .

(٤) من مدن ميسان . ينظر : عد ناح ، نفسه ص١٣ .

(٥) كانت مقاطعة بانوهذرا الكنسية قديماً تمتد من الزاب الكبير جنوباً إلى أطراف هلمون شمالاً .غير أن المد الذي حدث في النصف الثاني من القرن السادس وبدء القرن السابع قطعها إلى قسمين وهما :
منطقة نينوى في الجنوب ومقاطعة بانوهذرا (الصغيرة) في الشمال ، وأصبحت قرية معلتا (معلثايا) الواقعة بالقرب من دهوك مركز هذه المقاطعة الصغيرة ، وتعرف هذه المنطقة عند العرب بالباهدرا ويعرف أسم أساقفتها منذ سنة ٤١٠ م .أما ألان لكرسي أسقفية زاخو.المرجي،الرؤساء ، ص٦٠ هامش (١) .

(٦) أبرشية كبيرة في غرب دجلة الأعلى ، مركزها نصيبين وتمتد جنوباً إلى طريق بلد (أسكي موصل) . ينظر : المرجي ، الرؤساء ، ص٦١ ، هامش (٢) .

(٧) عد ناح ، الديورة ، ص٦٧-٦٨ ، رقم (١٠٤) .

(٨)المراد بها دير قُنّى ، الشابشتي ،الديارات ، ط٢ ، ص٤٦٢ .

(٩) عد ناح ، الديورة ، ص٥٨ ، رقم (٧٤) .

وكان القديس (مار مكيخا) من كسكر أيضاً قد تنسك في دير (بانيشار) [١] الذي أسسه بمساعدة (القديس ربان تئود ور)[٢] .

أما (الطوباوي بر سهدي) فقد كان فارسي الأصل من مدينة اصطخر (ت٧٤٥م) ، قدم إلى جنوب العراق (في منطقة البصرة الحالية) ودرس في أسكولها ، واقتبل اسكيم الرهبنة ، وقد تبعه رفيقه (سر كيس) من فارس إلى البصرة [٣] ، وشيد بجانب مدينة (حربى)[٤] على دجلة ديراً آخر [٥].

وتنبأ (مر عبدا) ببناء عمر آخر في برية (باحلا) وبينما هو يطوف في برية باحلا سمع صوتاً يناديه طول الليل فقال للأخوة سيكون هذا المكان مجمعاً للرهبان[٦] .

ومن خلال البحث لعملية بناء الديارات في العراق نلاحظ انتشارها في منطقة الحيرة وما حوزا والأنبار وبالقرب من بغداد ، أي المناطق الواقعة غرب العراق نزولاً من جنوبه بمحاذاة نهري دجلة والفرات ، وربما يعود سبب ذلك إلى أن الحيرة وما حوزا وكسكر ومنطقة البصرة كانت من الحواضر المأهولة بالسكان ، وهذا يفسر أن الديارات النصرانية لم تعد تتجه صوب القفار والمناطق الخالية من السكان .

---

(١) في ناحية كسكر .

(٢) عد ناح ، الديورة ، ص٦٥، رقم (٩٦) .

(٣) G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest , p. 361 .

(٤) حربى : بليدة صغيرة في أقصى دجيل ، بين بغداد و تكريت ،مقابل الحظيرة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٢ ، ص٢٣٤ .

(٥) عد ناح ، الديورة ، ص٢٦، رقم (٩).

(٦) أدى شير ، التاريخ السعردي ، ص٥٩٢ .

الفصل الثاني

بناء الديارات في العراق والعوامل المؤثرة بها

بناء الديارات في العراق والعوامل التي اثرت عليها

بعد أن شُيّدَت العديد من الديارات النصرانية في العراق ، لابد من البحث عن مواقعها الجغرافية ، وأهم العوامل المؤثرة في اختيارها ، وبيان محتوياتها ، ومن ثم لابد من التعريف بأهم القوانين التي كانت تحكم العلاقات بين الرهبان و بين الراهبات ونظم الحياة اليومية في الدير .

مواقع الديارات الجغرافية :

لقد امتازت الديارات العراقية بحسن اختيار مواقعها ، أذ شُيّدَت في الأماكن المتميزة فمنها ما بنيت في المدن ومنها ما بنيت في القرى ، الا أن هناك عدة أمور كان لابد من مراعاتها في اختيار هذه الأماكن منها قرب الدير من الماء أذ لا يغرب عن البال أهمية الماء للدير لأنه من عوامل الحياة الأساسية ، فمثلا أُختط (دير **سما لو**) في الجانب الشرقي من بغداد على النهر الذي أُطلق عليه فيما بعد بنهر المهدي[(١)]واختير (دير مديان) على نهر كرخايا[(٢)] ، أما(دير قوطا) على شاطئ دجلة[(٣)]، كما شيد(دير با شهرا) على طريق سامراء[(٤)]، أما(دير ربان فيثون) فقد أُطلق عليه ايضاً دير(قرن الصراة) ، كونه أُنشيء عند مصب نهر الصراة العظمى بدجلة[(٥)]وكذلك الحال في(دير العلث) فهو في موقع مماثل أذ أُقيم ايضاً على الضفة اليمنى لنهر دجلة (**الشطيط**)[(٦)].

---

(١) الشابشتي ، الديارات ، ط ٢، ص ١٤؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٢٧٥ .

(٢) كرخايا نهر يشق من المحول الكبير ، ويشق الكرخ ويصبان في دجلة . الشابشتي ، نفسه ، ط٢ ، ص٣٣. ويحمل نهر كرخايا يشق من نهر عيسى ، ونهر عيسى يقع في كورة كبيرة من بغداد ويأخذ من الفرات . للتفاصيل راجع : الاصطخري ، أبو اسحق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق غربال . (دار العلم ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، ١٩٦١م) ، ص٥٩ ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي ، صورة الأرض ، (منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م)،ص٢١٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٣٢١-٣٢٢ .

(٣) الشابشتي ، نفسه ، ط٢ ، ص٦٢ .

(٤) الشابشتي ، نفسه ، ط٢ ، ص٧٩ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص ٢٨٠ .

(٥) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ، البلدان، ط برل،(د. مط ،لايدن ، ١٨٩٢م)، ص٢٣٥.

(٦) المرجي ، الرؤساء ، ص ٢٠٢ ، هامش (٢) .

كذلك أُختيرت مواقع ديارات الحيرة على أساس كثرة الجداول ووفرة المياه التي تأتيها من النهر [١].

وكان(دير الأسكون) في الحيرة على الرغم من قربه من النهر، فان له مشرعة[٢] إذا انقطع عنه ماء النهر وكان يشرب منها أهل الحيرة[٣]. وكانت بعض الديارات قد أُقيمت بالقرب من نهرين كما هوا الحال في (دير جابيل) الواقع بالقرب من نهري المغيرة و أبي الخصيب (في منطقة البصرة الحالية)[٤].

ومن الديارات ما كان يقع بعيدا عن الأنهار ، إذ اعتمدت في مياهها على ما ينضح من العيون المتفجرة في داخلها[٥] ، وعلى القنوات التي كانت تمتد إليها[٦] ، بينما أعتمد البعض على مياه الأمطار التي يمكن تأمينها طيلة أيام السنة ، كما هو الحال في(دير الربان هرمزد) حيث تؤمن مياه الأمطار من خلال خزنها في الصهاريج التي تنتشر في أطراف الدير[٧] . كما يحتوي(دير مارمتي) – في الموصل – على صهريج

---

(١) الجنابي ، كاظم ، تخطيط مدينة الكوفة (عن المصادر التاريخية والأثرية خاصة في العصر الأموي) ، تقديم : احمد فكري ، ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه،(مط الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٧ م) ، ص٢٠.

(٢) المشرعة : مكان منخفض يرد منه الناس على النهر .

(٣) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ط ٢،(مط دار المعارف ، بيروت ، ١٩٦٥م) ج٣ ، ص٩٨٨ ؛ العلي ، صالح احمد ، خطط البصرة ومنطقتها (دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى) ، (مط المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦٨ م) ، ص ١٧٢ . وربما يكون موقع الديارات هذا للاستفادة من اصطياد الأسماك من شطآنه ، كما هو الحال في دير برقانا الواقع فوق حديثة من دجلة ، فيذكر انه ليس من سمك دجلة اسمن من سمك يصاد في شاطئه . ينظر: الديوه چي ، سعيد ، تاريخ الموصل ، (مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٢م) ، ج١ ، ص ٢٤٢ . وهذا يفسر تعدد الواردات الاقتصادية للديارات العراقية إلى جانب الزراعة المعروفة فيها والتي ستوضح لاحقاً .

(٥) القفطي ، جمال الدين أبي الحسن علي يوسف ، تاريخ الحكماء ، تحقيق : محمد امين الخانجي ، (السعادة ، مصر ، ١٣٢٦هـ) ص ٢٩٧ .

(٦) ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ترجمة : اسحق ارملة ، (دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩١م) ، ص١٥٣ .

(٧) حبي ، دير الربان هرمزد ، ص ٤٣-٤٤ .

عظيم[١] . كذلك أُختيرت مواقع بعض الديارات على الطرق التجارية ، كما هو الحال بالنسبة لـ(ديربارما) الواقع بين الدسكرة قرية كبيرة والنهروان على الطريق التجاري[٢] ، اما(دير العاقول) فيقع بين المدائن وجرجرايا على الطريق الذي تسلكه الناس[٣]، ويقع (ديرجرجس) بين الكوفة والقادسية فهو على حافة الطريق[٤] .

ويقع (دير مافنه) على الطريق الذي يربط فم الصلح[٥] بواسط شرقي دجلة [٦]، و(دير مخراق) الذي يقع بين باذبين والسماوة[٧]. وقد تكون خصوبة الأرض سبباً أخر في جذب رهبان النصارى من أجل تشييد دياراتهم ، لا سيما المتأخرة منها، ويعلل البعض أن خصوبة المكان عاملاً مهماً لأقامة هذه الديارات[٨] . ويفضل بناء الدير في المواطن التي تكثر فيها الأشجار والرياض [٩]والأماكن النزهة[١٠] ، ومن هذه الديارات(دير ابن مزعوق) الواقع في الحيرة ، فهو بني في بقعة من ((**أنزه البقاع زهرا ورقيق هواء وتدفق ماء**))[١١] ، أما(دير درمالس) فيوصف بكثرة البساتين فيه والأشجار[١٢] ، أما(دير العلث) الواقع قرب مدينة بلد الحالية فيعد من احسن الديارات

موقعا وانزهها موضعا. ويقع دير السوسي . على شاطئ دجلة . بقادسية سامراء في مكان يحتوي على الكثير من المتنزهات والبساتين[١٣].

---

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١، ص ٢٩٩ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص ١٣ . ويذكر انه كان يحتوي على صهاريج كانت منحوتة لخزن ماء الشتاء ، وتبلغ مساحة احدها ٢٤٢٠متراً مكعباً . ينظر : يعقوب الثالث ، دفقات الطيب ، ص ١٧ .

(٢) ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، م ٧ ، ص ١٦٣ ؛ رؤوف ، عبد السلام ، دير العاقول دراسة تاريخية طبو غرافية ، بحث منشور في مجلة الأقلام ، العدد الرابع ، كانون الثاني ، السنة الثالثة عشر ، بغداد ، ١٩٧٨م ، ص ٤٨.

(٣) ابن رستة ، نفسه ، م ٧ ، ص١٨٤ .

(٤) العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

(٥) فم الصلح : وهو نهر كبير فوق واسط . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٤ ، ص٢٧٦ .

(٦) ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، م٧، ص١٨٧ .

(٧) ابن رستة ، نفسه ، ص ١٨٧ ، ويسمى أيضاً دير محراق .

(٨) الجنابي ، كاظم ، تخطيط مدينة الكوفة ، ص ٢٠ .

(٩) البكري ، معجم ما استعجم ، ح٢ ، ص ٦٠٣ .

(١٠) الشابشتي ، الديارات ، ط ٢ ، ص ٣ ، البكري ؛ نفسه ، ص ٦٠٥ .

(١١) الشبابشتي ، نفسه ، ط٢ ، ص٢٣٠ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(١٢) الشابشتي ، نفسه ، ط ٢ ، ص٣ .

(١٣) الشابشتي ، نفسه ، ط ٢ ، ص ٩٦ .

وكانت أراضي الديارات غالباً ما تُستغل في الزراعة ،ونادراً ما تخلو المناطق المجاورة للقلايات التي يقطنها الرهبان من المزروعات ، إذ انه يقضي الجزء الأكبر من نهاره بين الأشجار وروعة خضرتها ، ويهتم بخدمة هذه المزروعات لان غلتها مصدر رزقه الأساسي وتكثر هذه المزروعات أو تقل حسب ما يستغل منها ، ورواج مبيعه في الدير[٢] فحصلت بعض الديارات على شهرة واسعة بمزروعاتها ومنها (دير قُنَّى) الواقع بالقرب من بغداد فهو يحتوي على مئة قلاية وهذا يعني انه يسيطر على أراضٍ زراعية كبيرة ، ويفسر البعض اهتمام الديرانيين بالمزروعات إلى فلسفة يؤمنون بها وهي: ((**أن القلوب إذا غاصت في بحر الفكر غشيت الأبصار فإذا نظرت إلى الخضرة عاد اليها نسيم الحياة**))[٣].

ومن الديارات العراقية ما أعتمد في معيشته على ما يزرع فيه من الأراضي المحيطة به ومنها (دير هند الصغرى) (بنت النعمان بن المنذر) ، حيث خصصت بعض العبيد لزراعة تلك الأراضي لتوفير القوت لها . وهذا ما يفسره رفضها للمساعدة المالية والكسوة التي يقدمها لها خالد بن الوليد . خلال حروب التحرير الاسلامية . إذ قالت : ((**إني في غنى عنه ، لي عبدان يزرعان مزرعة لي أتقوت بما يخرج منها ويمسك الرمق**))[٤].

وقد اختلفت الديارات في أنواع مزروعاتها ، ويعود ذلك الى اختلاف أنواع التربة والمناخ[٥]، حيث اشتهر بعضها بأنواع معينة من المحاصيل ، فقد اشتهر (دير الزندورد) الواقع في الجنوب الشرقي من بغداد بالاترج والأعناب والفواكه الأخرى ، وكان عنبها أجود ما يعتصر هناك[٦]، اما(دير سرجس) الواقع بين الكوفة والقادسية فكان ((**محفوف بالكروم والاشجار**))[٧]، بينما كان (ديرالطواويس) في سامراء ((**فيه**

---

(٢) زيات ، الديارات النصرانية ، ص ٣٢ .

(٣) ابن عساكر ، التاريخ الكبير ، ج ٢ ، ص ٨١ .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج ٢،ص٥٤١-٥٤٢ ؛ الطريحي ،الديارات والامكنة ، ص١٤١ .

(٥) العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص ١٤١ ؛عواد ، دير قنى ، ص١٨٨ .

(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٥١٣ ؛ العمري ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٤ ؛ زيات ، نفسه ، ص ٣٢ .

(٧) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ٥٦٣ .

مزدرع يتصل بدور عربايا...)) أي المنطقة الشمالية القريبة من سامراء (الدور)[١]، (ودير الخوات)بعكبرا يقع بين البساتين وهو من المواضع النزهة جداً ، وفي دير قنَّى كانت بساتين تحتوي على جميع أنواع الثمار ، كالفواكه والأعناب[٢].

ومن الديارات العراقية ما حاز على شهرة واسعة كـ(دير با شهرا) الواقع على شاطئ دجلة بين سامراء وبغداد حيث اشتهر بكثرة أشجار الكروم والبساتين[٣]، كذلك الحال بالنسبة لـ(دير الاكيراح) في الحيرة و يقع في منطقة كثيرة البساتين[٤].

ولم تقتصر مزروعات الأديرة على الثمار فقط ، بل كان لبعض الأديرة اهتمامٌ كبيربزراعة الورد مثل (دير العذارى) الذي يحتوي على جنينات لراهباته فيها زهر العصفر[٥]. واشتهر عمر(مار يوحنا) في الأنبار بكثرة طرائف زهره[٦]، كذلك اشتهر (دير الجاثليق) بأنواع الورود ، وقيل فيه[٧]:

في جنات كأنما ُنشِرَ ـ وَق ثراها َحريرةٌ خضـراُء
أَعْيَنَ الَنرجِسِ الَجنيِّ نجوٌم واخضراُر الرياض فيها سناُء
للثرى تحتَها سباتٌ وللمـاءِ خريٌر وللغصونِ غنـاُء

وكانت الحاجة إلى الريحان والزغفران ، ومن أجل رواجها أعتنت الديارات العراقية ووضعتها في جملة مزروعاتها ، أذ انتشرت زراعته في ديارات الكوفة ، وكان أمير العراق بشر بن مروان[٨](ت ٧٥ هـ) يستعمل الريحان. وذكر الأصفهاني((**... لما**

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج ٢، ص ٥١٩ ؛ ابن عبد الحق ، نفسه ، ج ٢ ص ٥٦٦ .
(٢)زيات ، الديارات النصرانية ، ص ٣٢ .
(٣) الشابشتي ، الديارات ، ط ٢ ، ص ٧٩ .
(٤) العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ص ٣١٤ .
(٥) العمري ، نفسه ، ص ٢٥٩ .
(٦) الشابشتي ، الديارات ، ط ٢ ، ص ٢٥٨ .
(٧) الشابشتي ، نفسه ، ط ٢ ، ص٣٣ .
(٨) وهواخو الخليفة عبد الملك بن مروان استعمله على الكوفة سنة ٧١ هـ ،وفي رواية سنة ٧٢ هـ ثم جمع له الكوفة والبصرة سنة ٧٣ هـ فصار بذلك والي العراق حيث اقام بالبصرة واستخلف على الكوفة عمر بن حريث وبقي على العراق حتى وفاته سنة ٧٥ هـ . ينظر : الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص ١٨٢ – ٢٠٥ .

ولي بشر بن مروان الكوفة كنت على مظالمه فأتيته عشية...فإذا بشر بن مروان عليه غلاله[١]رقيقة صفراء تقوم قياماً من شدة الصقال وعلى رأسه إكليل من ريحان))[٢].

وكان إبراهيم بن زيد بن الأسود النخعي[٣](ت٩٥هـ)((**يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو بالعصفر ...**))[٤]، وكان الرهبان قد خصصوا محلات ملحقة بالديارات لبيع الورود والرياحيين والفواكه[٥].

---

(١) الغلالة : بطانة تلبس تحت الدرع. الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٨، ص ٤٩ ، مادة غلّ .

(٢) الاصفهاني ، الاغاني ، (ط دار الكتب ، د. م ، ١٩٦١ م) ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٣)وهو من فقهاء الكوفة (ت ٩٥ هـ) . للمزيد ينظر : ابن كثير،الدمشقي ، البداية والنهاية ، ط٦ ، (مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٥م) ، ج ٩ ، ص ١٤٠ ؛ ابن عماد الحنبلي ، ابي الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨م) ، م١، ص ١١١ .

(٤) ابن الجوزي ، جمال الدين ابي الفرج ،صفة الصفوة ، ضبطه واخرج آياته واحاديثه وعلق عليه : عبد الرحمن اللادمي ، حياة شيحا اللادمي،ط٤، (دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠١م) ،ج ٣، ص ٥٩.

(٥) زيات ، الديارات النصرانية ، ص ٤٩ .وقد اتخذ الاوائل من النصارى الورد رمزاً ينثرونه مع الزهد على قبور موتاهم ، وهو في نظرهم مهوى الأنفس الرقيقة ، اذ تهش له الروح ، ويهفو اليه القلب . ينظر : المنجد ، صلاح الدين ، بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ، ط ٢ مزيدة ، (دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٤٧ م) ، ص ٣٨ .

أشكال الديارات وتخطيطها

من الواضح أن الأشكال الأولى للديارات كانت غاية في البساطة . كما بينا سابقا، وخير مثال على ذلك (دير مار متي) الواقع شرقي الموصل ، في أعالي الجبل فكانت اكثر بيوته منقورة في الصخر[١]. ألا أن أشكال الديارات أخذت تختلف بمرور الزمن فعلى الرغم من كون الوصف الدقيق لها يبدو مقتضباً في المصادر البلدانية والتاريخية ، ألا أننا نستطيع أن نوضح بشكل مبسط ما يمكن للذهن تصوره ، على الرغم من أن أشكال الديارات وخططها كانت تختلف بأختلاف الأمصار والسكان[٢]. فهو يبدو للوهله الأولى مشابهاً لغيره من القصور ، وإذا ما تعمقنا في وصف أحد الأديرة في بلاد الشام كأنموذج لأعطاء فكرة مبسطة لتصور بقية الديارات التي بنيت في العراق.فـ(دير الكهف) الواقع الجنوب الشرقي من جبل حوران ، يشبهه العلامة ديسو بنظام قصر سيس والقصر الأبيض في احتوائه على مدخل واحد ومبان داخلية بإمتداد جدران السور، ويحتوي على الأبراج البارزة من الجدران و كانت الزواية في الوسط والجوانب من السور الخارجي ، وتشكل النقوش على الجدران من المميزات الأخرى لشكل الدير ، إذ نقشت على اسكفية باب الدخول لدير الكهف أسماء بعض الأباطرة والقياصرة[٣] .

أما الديارات العراقية فقد شبه بعضها بالقباب[٤]، إذ احتوت بعض الأديرة القباب التي بنيت بشكل جميل يشد الناظر للتطلع إليها ، حيث لونت هذه القباب بألوان زاهية ومشرقه ، كالحمرة التي كانت في باب (دير يوسف) في الموصل ، كذلك الحال بالنسبة لديارات الأساقف التي احتوت على القباب، ومن القباب المشهورة به السنيق وغصين[٥].ومن القباب التي عرفت آنذاك القباب الوترية والتي كانت سائدة في (دير مار بهنام) فقد استند على طاقات ركنية أو على مقرصنات منشورية صنعت من الجبس[٦].لكي لا تتراكم الثلوج على سطوحها الخارجية .

---

(١) يعقوب الثالث ، دفقات الطيب ، ص ١٧ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص ١٣.

(٢) زيات ، نفسه ، ص ١٣.

(٣) ديسو ، رينيه ، العرب في سوريا قبل الاسلام ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، مراجعة : محمد مصطفى زيادة ، (نشر لجنة التأليف والترجمة ، د. م ، ١٩٥٩م) ، ص٣٠ – ٣١.

(٤) وشبهت كثرة قباب بعض القصور العباسية في سامراء بأنها تشبه الصوامع الخاصة بالاديرة فيسمى احد قصور سامراء العباسية بـ(قصر الصوامع). ينظر : الطبري ، تاريخ ،ج ٩ ، ص٣٩٠.

(٥) الشابشتي ، الديارات ، ص ٢٣٦. ويذكر العمري انهما نسبتا الى راهبين ، وهما ذاتا بناء بديع . العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ٣١٥، ٣٢٨.

(٦) عبو ، عادل نجم ، القباب الوترية ، بحث منشور في موسوعة الموصل الحضارية ، (دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٩٢ م)، م٣ ، ص٣١١.

وغالباً ما تكون الديارات محصنة بأسوار عالية لأغراض دفاعية فهي كحصون محصنة قد انتشرت في جميع أنحاء العراق فقيل أن (دير قنُى) (الواقع على بعد ستة عشر فرسخاً من بغداد) يخيل للقادم انه حصن من الحصون الحربية المشهورة في ذلك الوقت وهو دير للتبتل والعبادة[١]، وذلك لمناعة سوره[٢]،ومن الديارات الأخرى التي عرفت بإحاطتها بالأسوار (دير الأسكون) في الحيرة الذي عرف بأنه ((حصن منيع ، وله سور عالٍ)) [٣]، (وعمر مار يونان) بالأنبار الذي كان ((محكم البنيان كالحصن العظيم)) [٤]. وقد وصل علو بعض هذه الأسوار إلى مئة ذراع ، ك(دير باعربايا) بين الموصل وحديثة[٥].مما يشير إلى عزلة الديارات عن العالم الخارجي .ويذكران قسماً من هذه الأسوار لم تكن بشكل منتظم ، وأنما كانت مدعومة بأبراج قوية نصف أسطوانية من خلال ماكتُشفَ في حفائر القصير الواقع قرب حصن الأخيضر[٦] فهو يحتوي على تسعة وعشرين برجاً من هذه الأبراج[٧]. وكانت هذه الأسوار والحصون تبنى لتكون الديارات في مأمن من اللصوص والدعار وحمايتها من الغزاة لا سيما الواقعة منها في مناطق نائية عن التجمعات السكانية[٨].وقد أجاب عبد المسيح بن بقيله[٩]

---

(١) السقاف ، الاوراق ، ص٢٩ .

(٢) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٢٦٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٨ .

(٣) ياقوت الحموي ، نفسه ، ج٢ ، ص٤٩٨ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ص ٣١١ .

(٤) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٢٥٨ ؛ العمري ، نفسه ، ج١ ص٢٨٦-٢٨٧ .

(٥) المراد حديثة الموصل . العمري ، نفسه ، ص٣٠٠ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص ١٤ .

(٦) يقع حصن الأخيضر الأثري الى الجنوب من مدينة كر بلاء بمسافة (٥٠ كم) ، وحوالي (٨٥ كم) الى الشمال الغربي من الكوفة ، وقد اختلف الآثاريون والمؤرخون في تحديد تاريخ بنائه فمنهم من نسبه الى عصر ما قبل الاسلام ومنهم من يرجعه الى العصر الاسلامي ، وبالذات الى بداية العصر العباسي ، كتبت حوله العديد من البحوث والدراسات .ينظر : رؤوف ، صبيح محمد ، والعبيدي ، صلاح حسين ، المظاهر العسكرية لحصن الأخيضر ، مجلة سومر ، العدد (٣٢) لسنة ١٩٧٦م ، ص ١٣٧ وما بعدها .

(٧) حميد ، عبد العزيز ، دير القصير ، بحث منشور في مجلة بين النهرين ، العدد ، ٦٨، السنة ١٩٨٩م ، ص٩ .

(٨) العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٢٢٧ ؛ زيات الديارات النصرانية ، ص١٦ .

(٩) عبد المسيح بن بقيلة : هوعبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني ، معمر ومن الدهاة في الحوة ،له شعر و أخبار ، ويقال انه باني قصر الحيرة ، عاش زمناً طويلاً في الجاهلية وادرك الاسلام وظل على النصرانية واجتمع به خالد بن الوليد في الحيرة . الزركلي ، الاعلام ، ط٢ ص٢٩٧ .

عند ما سأله خالد : ((**فما بال هذه الحصون ؟ قال بنيناها نتحرز بها من الجاهل إلى أن يجيء العاقل فيردعه**))(١) وهذا دليل على أهمية وجود مثل هذه الأسوار الحصينة.

ومن التحصينات الأخرى في هذه الديارات الأبواب الضخمة إذ صنع بعضها من الحديد المصمت وكانت بعض هذه الأبواب مفرطة في الكبر كما هو الحال في أبواب دير (مار متي)(٢)، وقلما صنعت هذه الأبواب من الحجر الصلب . كذلك لم تخل بعض أبواب الديارات من الخديعة والحيلة لتقيها من شر هجمات الأعداء خاصة إذا هجم عليها العديد من الأشخاص كـ(دير باطا) الواقع بالسن(٣)فزعموا أن بابه الحجري كان يفتحه الواحد والأثنان فإن تجاوزوا السبعة تعذر عليهم فتحه(٤)،وغالباً ما تحتوي أسوار الديارات على مدخل رئيسي واحد وتقام على جانبي الأبراج الدفاعية ، التي تشبه الحصون والقلاع وبوابات المدن القديمة كما هو الحال في ديرالقصير(٥).

ومن الديارات ما كانت تحصن بحصانة مواضعها فمنها ما شيد على الجبال كما هو الحال في دير قنًّى(٦)،ومنها من اشتهر بعلوه وارتفاعه مثل (الدير الأعلى) بالموصل فهو يقع على أعلى جبل وهو بذلك في أعلى نقطه من البلد ، مطل على دجلة يضرب به المثل في رقة الهواء وحُسن المشترف(٧). ومن الديارات ما تشيد بالقرب من التلال كما هو الحال في (دير زكى)(٨).

مما تقدم يتضح أن الديارات كانت تتَخَذُ الكثير من الإجراءات من أجل تحصينها لتجنب غارات اللصوص والعابثين ، وربما يعود سبب ذلك لغنى الديارات وما

---

(١) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص ٢٤٠ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص ٤٣٧ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٢ ، ص٥٣٢ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص١٣.

(٣) مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير وفي اهلها علماء وفيها كنائس وبيع للنصارى. ينظر : ياقوت الحموي ، نفسه ، م٣ ، ص٢٦٨ .

(٤) ياقوت الحموي ، نفسه ، ج٢ ، ص٥٠٠ ؛ زيات ، نفسه ، ص١٤–١٥ .

(٥) حميد ، عبد العزيز ، دير القصير ، ص٩ .

(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٣٢ ؛ الغساني ، الملك الأشرف ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم ، (دار لبنان ، بغداد ١٩٧٥ م) و (دار التراث الاسلامي ، بيروت ، د.ت) ، ص ٢٩٧ .

(٧) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص ٧٥ ؛ المقدسي ، شمس الدين ابي عبد الله بن احمد البشاري ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢،(مط ليدن ، بريل ،١٩٠٦م) ، ص٢١٣ـ٢١٤ ؛ الصائغ ، سليمان،تاريخ الموصل ،(مط الكريم ، لبنان ،١٩٥٦م)،ج٣، ص١٢٦؛ حبي، الدير الاعلى ، ص ١٣ .

(٨) البكري ، معجم ما استعجم ، ص١٩٣ .

فيها من مقتنيات ثمينة ، ولا سيما بعد تطور أوضاع الديارات . وقد حضيت بعض الديارات العراقية بإتقان هندستها ، لان الملوك وأعيان الدول و أهل الثراء كان لهم دورٌ في تأسيسها ، فالنعمان بن المنذر (ملك الحيرة ٥٨٥-٦١٣م) بنى (دير اللج) في الحيرة كذلك قامت الهند بنت الحارث بن عمرو بن حجر بتشييد دير هند الكبرى في الحيرة، ودير الجرعة في الحيرةأيضاً وهو دير عبد المسيح بن بقيلة . وكان نصارى العراق يتفاخرون ببناء هذه الديارات ، وقد أغدقوا الأموال الطائلة في سبيل تجميلها وإتقان هندستها(١). فهم من أصحاب الثروة والتقى معا(٢). ومما يدلل على عظم شأن هذه الديارات آثارها الباقية إلى اليوم .

وذكر ياقوت الحموي أن أ هل ثلاثة بيوتات كانوا يتبارون في بناء البيع وزينتها ، أهل المنذر في الحيرة وغسان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران ((**وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور**))(٣).

فمن الديارات العراقية ما حاز على شهرة واسعة في نفاسة بنائه واحكام صنعته، والتفنن بزينته كـ(دير الرصافة) ، وقال فيه ياقوت : ((**رأيته وهو من عجائب الدنيا حسناً وعمارة**))(٤).

ومما زاد في جمالية الديارات الاضاءة والأنوارالتي لا يمكن الاستغناء عنها،وذلك بحكم عبادة الرهبان الليلة التي تقتضي وجود الإنارة لأقامتهم الشعائرالواجبة والالتزام بها كقراءة الإنجيل والصلاة ، وكانت عمليةالإضاءة في الديارات تتم بوساطة

---

(١) وكانت لقبيلة اياد العربية عدد من الاديرة في منطقة الحيرة . معظمها لبني حذاقة منها دير الاعور ، الذي قال فيه أبو داود :

ودارٍ يقولُ لها الرائدون ويلَ امِ دارِ الحذاقي دارا

ومنها دير قرة ودير السوا (العدل) الذي كانوا يأتونه ويتناصفون فيه (بمثابة دار القضاء) للمزيد من التفاصيل ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٢ ، ص ٦٧٢ ؛ محمود ، فتحي احمد ، قبيلة أياد في التاريخ حتى مطلع العصر الراشدي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الأداب جامعة الموصل،١٩٩٧، ص١٦٢ – ١٦٣ .

(٢) شيخو ، النصرانية وآدابها ؛ ص ٣٤٥- ٣٤٦ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ؛ مدارس العراق قبل الاسلام ، ص ٥٣ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٢ ، ص٦٨٧ – ٧٠٣ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص١٦ .

(٤) ياقوت الحموي ، نفسه ، ج٢ ، ص٦٦٠-٦٦٦ ؛ شيخو ، النصرانية وادابها ، ق٢ ،٣٤٧ .

القناديل والمصابيح ، وضرب المثل بمصابيح الرهبان وقت الصباح وقد خمد سناها بعد أن تعب الرهبان من سهر الليل ، فقال امرؤ القيس[١]:

نَظَرْتُ إليها والنجومُ كأَنها ... مصابيحُ رُهبانٍ تشُبُّ لقفَّالِ.

وان كثرة القناديل وجودة صناعتها وجمالها يبين رخاء الحال في بناء الديارات وخاصة في مراكز المدن والعواصم ، فقد علق النعمان بن المنذر – ملك الحيرة – في هيكل دير هند الصغرى ، خمسمائة قنديل من ذهب وفضة. ولم يعد هو الدير الوحيد الذي يحتوي على العديد من القناديل بل كان له نظائر كثيرة[٢]ورغم ان هذا العدد يبدو مبالغاً فيه الا انه يمثل مدى الاهتمام بالديارات .

أما الصور،والدمى، والتماثيل، فقد بدت من المكملات الأخرى لجمال هذه الديارات،إذ اختلفت أشكالها فمنها ماهو محفورأومنقوش بمختلف أنواع الأصباغ والدهان أوأن يتم رسمها بالالوان الزاهية الجذابة،فقد رسمت صورة العذراءفي كنيسة ما سرجس وكانت موضع إعجاب للناظرين . وقال فيها أبو النصر البصري(**مولى بني جمح**)[٣]:

فَتَنَتْنا صورةٌ في بيعةٍ ... فَتَنَ اللهُ الذي صَوَّرَها !

زادها النقاشُ في تحسينها ... فَضْلَ حُسْنٍ إنه نَضَّرَها ؛

وَجْهُها ، لاشَكَّ فتنت ... وكذا هَي عندَ مَنْ أُبصَرَها.

ومن الصور النفيسة التي اشتهرت بقدمها ومقاومتها للزمن ، وجمالها ، وإتقانها ، وزهاء ألوانها ، صورة (دير الباعوث) الواقع على شاطئ الفرات إذ كانت في هيكله وهي ((**دقيقة الصنعة ، عجيبة الحسن يقال أن لها مئتين من السنين لم تتغير أصباغها ولا حالت ألوانها**))[٤].

كذلك الحال في (دير يوسف) – في الموصل –الذي كان يحتوي على عجائب الصور البديعة الصنعة[٥].ولم يكن دير من ديارات العراق ليخلو من أمثال هذه الصور[٦].

(١) ابن رشيق ، القيرواني ، ابي علي الحسن ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق : محمد بدر الدين ، (مط السعادة ، مصر ، ١٩٠٧م) ، ج٢ ، ص٤٥ ؛ الاعلم ، الشنتمري ، اشعار الشعراء الستة الجاهلية ، (دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩م) ، ص٤٧ .

(٢) العمري ، مسالك الابصار، ج١، ص٣٢٣ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص١٧.

(٣) العمري ، نفسه ، ص ٢٧٤ ؛ زيات ، نفسه ، ص ١٨ .

(٤) العمري ، نفسه، ج١، ص٢٦٢؛ زيات،نفسه ،ص١٨؛ شيخو، النصرانية وآدابها، ق٢، ص٣٥٣ .

(٥) العمري ، نفسه ، ج ١، ص٣٠٢ .

(٦) زيات ، الديارات النصرانية ، ص ١٨ .

أما التماثيل فلم تقل جمالاً وحسناً عن الصور ، ولابد من التذكير بأن لهذه الصور وظائف تعليمية دينية إلى جانب المسالة الجمالية ، لأنها تصور مشاهد من حياة السيد المسيحعليه السلام، وقد ذكرها بعض شعراء العصر الإسلامي ومنهم الأخطل التغلبي(١):

حَلْيٌ يَشُبُّ بياضَ النحرِ واقده ُ   كما تُصَوَّرُ في الديرِ التماثيلُ

وقال عمر بن ربيعه(٢):

دميةٌ عند راهبٍ ذي آجتهادِ   صوَّرها في جانبِ المحرابِ

وقيل في جمال الديارات العراقية بأن هياكلها وقلاليها وأرضها مؤزرة مفروشة بأروع أنواع المرمر(٣)، والبلاط الملون(٤) والرخام المجزع مزوقة الجدران والسقوف بأشكال النقوش والفصوص المذهبة(٥) . وهذا يدل على أن الديارات قد أخذت اتجاهاً بعيداً عن صورتها التقشفية الأولى ، لا سيما في العصر الإسلامي .

وذكر الشرقي وهويتحدث عن ديارات الحيرة قائلا: ((**لقد حفظ التاريخ لهذه الديارات صوراً كلها وحي يلهم الأحساس ويرهف الشعور فقد كانت على جانب عظيم من النفاسة وجليل العمارة تعلوها قباب وقورة تلوح بالأبهة والهيبة والجلال من بعيد وقريب ويزينها البهاء والرواء من الداخل فهي مزوقة بأنواع الفصوص وأشكال النقوش والأبداع في الدهان والاصباغ يفرش أرضها الرخام المجزع وكل بلاطها مرمر مسنون تراه كأنه ممرد تزلق عليه الاقدام ، وفي شقوق عماراتها الفسيفساء والأزورد ، وعلقت فيها القناديل والصلبان من ذهب وقد رسم على جدرانها وحيطانها صور الحور الملونة بأزهى الالوان تتقدم تلك الصور صورة السيد المسيح وعلى رأسه أكليل الشوك وصورة مريم من النفاسة صنع وأبداع في الوضع بحيث ترى تلك الصورة حيثما اتجهت...**))(٦).

الفصل الثاني

(١) الأخطل ، شعر الأخطل ، ص ١٢ .

(٢) المبرد ، ابي العباس محمد بن يزيد ، الكامل ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، السيد شحاتة ، (مط نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت) ج٢ ، ص ٢٤١ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٥٠٠ .

(٤) ابن شداد ، عز الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤ هـ) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقق : سامي الدهان ،(مط الكاثوليكية ، بيروت .د.ت)،ص ٢٧٧.

(٥) زيات ، الديارات النصرانية ، ص ١٦ .

(٦) الطريحي ، الديارات والامكنة ، ص ٥١ .

وهذا بدوره يوضح أن الديارات لم تعد تبنى كما في الماضي أذ أختلف الوضع تماماً ، فبعد أن كان الرهبان يتخذونها أماكن للعبادة ، كانوا مستعدين للأنزواء في مغاور وكهوف منعزلة [١]منقورة في الجبال ، إذ كان كل طموحهم هو الخلوة والإنصراف للعبادة الخالصة لربهم ، الا أنه بمرور الزمن صاروا ميالين الى العيشة الرغيدة والحياة في الأماكن الفخمة داخل المدن أو قريباً منها.

ولعل القارئ يستطيع أن يدرك الفرق بين أشكال الديارات الأولى وما صار عليه حالها فيما بعد من خلال ما ورد في وصف لـ(دير الربان هرمزد) الذي يعتبر من الآثار النصرانية القديمة في العراق ، فجاء في وصفه: ((**... وكان الشِّعْبُ[٢] اليه وعراً منحدرا يشق قطعه على البغال القوية ، فهو أشبه ما يكون بكونه طائر، وشبهت قلالي رهبانه بالبقع السوداء وكان بدايتها منقورة في الجبل وهي على غرار جحور الثعالب ولن يصدق انسي أنها مساكن بشر نذروا أنفسهم لله وعبادته ، ويحتوي الدير على مراقي منقورة في الجبل ، وشكلها بدائي وله مماشي خطرة ، وشرفاته الضيقة وكانت همزة الوصل بين الرهبان المنعزلين وكافة البشر اذ لابد لهؤلاء الرهبان أن يطعموا ويشربوا**))[٣] .

اما التخطيطات الأخرى التي اتخذت في بناء الديارات العراقية فهي في سعة المساحة التي يبنى عليها الدير ، أذ كانت بعض الديارات معروفة بسعتها وكبر المساحة التي تشغلها ، كالـ(دير الأعلى) فقيل إنه كان يمتد حتى الزاوية الشمالية الشرقية من سور الموصل من جهة دجلة[٤]. كذلك امتازت بعض الديارات بوثاقة بنائها وقوته ، فهي محافظة على أشكالها على الرغم من بنائها في عصور قديمة[٥].

---

(١) وقيل ان اماكنها القديمة اختيرت في الكهوف المنعزلة او معلقة فوق صخور الجبال ، لكي تكون حافزاً على إيقاظ الشعور بالإجلال والرهبة والحماس العاطفي في نفوس الشعب . مؤنس ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١١٢ .

(٢) الشِعب : الطريق في الجبل . ينظر : الصحاح ، ج١ ، ص٦٦٨ .

(٣) دراور، ليدى ، في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة و تعليق : فؤاد جميل ، (مط شفيق ، بغداد ، ١٩٦١ م) ، ص ١٦٢ .

(٤) ويحدها اليوم قلعة باشطابية العثمانية ، فييه ، جان موريس ، الدومينكي ، الآثار المسيحية في الموصل،ترجمة : نجيب قاقو، راجعه ونقحه وصححه: البيرابونا،(د.مط ، بغداد ،٢٠٠٠م)، ص١٦٨.

(٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢٠٥ ؛ الطوني ، يوسف جرجيس ، تكريت في العصور الاسلامية دراسة في مظاهرها الحضارية ، وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة موسوعات مدن العراق ، موسوعة مدينة تكريت ، بغداد ، ١٩٩٧م ، ج٣، ص٢٨٥.

وكانت الديارات تعتمد على المواد المتوفرة آنذاك ، كالاجر او الحجر ، والجص[1]، ومن الحجر ما كان مصقولاً ومهندماً[2]. ويتم نقل هذه الأحجار الى المواقع التي تبنى فيها الديارات بوساطة دحرجتها[3].

الفصل الثاني

(1) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢٠٦ ؛ سوسة ، احمد ، ري سامراء ،(مط المعارف ، د.م ، ١٩٤٨م) ، ج١ ، ص ١٩٦ ؛ حميد ، دير القصير ، ص ٩ .

(2) حميد ، نفسه ، ص ٩ .

(3) المرجي ، الرؤساء ، ص ٧٣ .

تحتوي الديارات النصرانية بالإضافة إلى القلالي والصوامع التي يسكنها الرهبان ، المار ذكرها انفاً ، العديد من الملاحق الأخرى والواجب توفيرها كدور الضيافة التي كانت تبنى في الكنائس من قبل الإسلام، وبعد أن جاء الإسلام أوجب على النصارى أن يُضَيفوا من يمر بهم من المسلمين مدة ثلاثة أيام ، وبذلك أصبح من الواجب على أصحاب الديارات أيجاد مواضع لراحة الزوار وعابري السبيل ، وكبار المسافرين ، وذلك بحكم وقوع الديارات على طرق القوافل ، ونظراً لكثرة الضيوف والمتنزهين ، وتضايق الرهبان من إختلاطهم بالضيوف ، كان لابد من بناء حجر[١] خاصة تكون إلى جانب الديارات لينزلها المارة وتكون مقاماً للضيافة ، وربما تبنى هذه الغرف فوق الكنيسة ، إذ لايباح للزوار أن يقيموا في صوامع الرهبان ذاتها[٢]. لأنها مخصصة للعبادة .

وقد ورد في كرم الرهبان لمن مر بهم في دياراتهم ((**بأن فقراء الحال والغرباء والمسافرين كانوا يعيشون من كرم أيديهم . أيدي الرهبان –**))[٣].

وكانت بعض الديارات العراقية قد أشتهرت بواجب الضيافة،فمنها (دير الأسكون)في الحيرة المشهود بأيواء المجتازين واللاجئين إذ كان يضيف من ورد عليه [٤]أما رهبان (دير السوسي) الواقع قرب قادسية سامراء فهم يضيفون المجتاز بهم ، ويكرمون من وفد عليهم[٥]، ودير زرارة الواقع على يمين من ذهب إلى الكوفة في طريقه إلى بغداد ((**كثير ما نزله المسافر للراحة والاستضافة ، فأقام فيه أياماً**))[٦]، كذلك (دير باشهرا) الواقع بين بغداد وسامراء فهو لا يخلو من طارق وقاصد[٧]. كذلك الحال في (ديريوحنا)

(١) الفرق بين الحجرة و الغرفة هو ان الحجرة تكون في الطابق السفلي بينما تكون الغرفة في الطابق العلوي .

(٢) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، مقدمة الناشر ، ص ٥٠ . وكان واجب ضيافة المسلمين اضافة الى الجزية . ينظر: سيد سابق ، فقه السنة ، ص ١٠٩ ؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، م٢ ، ص ٤٠٧ .

(٣)lammens, etudes, surle , siecle des ommyades, p.248 .
نقلاً عن الربيعي ، نصارى العراق في العصر الاموي ، ص ٥١٣ .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٨ ؛ الطريحي ، الديارات والامكنة ، ص٧٧-٧٨.

(٥)السقاف ، الاوراق ، ص ٩٦ .

(٦) السقاف ، نفسه ، ص ١٥١ .

(٧) السقاف ، نفسه ، ص ٧٥ .

الواقع على مقربة من تكريت على نهر الفرات ، و(دير باعربا) إلى الشمال من ذلك ، أماكن مخصصة لتضييف المسافرين(١).

وكان يقام إلى جانب دار الضيافة بيت القيم والمسؤول عن شؤون الدير(٢)وربما يكون ذلك لمراقبة ما يجري داخل تلك الدور .

وعدت الكنيسة من محتويات الدير المهمة ، التي لابد من وجودها فيه ، ويكون بناؤها ملازماً لبناء القلالي ، فهي مكان أجتماع الرهبان في أوقات معينة من النهار لذكر الله والصلاة ، ومكان أجتماعهم في المناسبات الكبرى والاعياد(٣).

وربما يحتوي الدير على أكثر من كنيسة ، تقام كل واحدة منها على أسم قديس ، أو يتخذ لها أسم من بعض شعائر الدير(٤).

وغالباً ما كانت الكنائس ذات الرواق(٥) الواحد هي المستخدمة في ديارات شمال العراق ووسطه منذ العصر السابق للإسلام ، إذ لم تكن الحاجة ملحة لوجود الكنائس الكبيرة في الاديرة آنذاك(٦). وربما يعود ذلك لانتشار الصوامع والقلالي التي يختلي فيها العديد من الرهبان .

وقد أصبحت كنائس الديارات، والديارات ذاتها في العراق انموذجاً لفن العمارة في القرون اللاحقة ،وكان ذلك سبباً في جذب الأُمراء إليها ، كما عرفت بجمال أبنيتها ، وحُسن طبيعتها ، إذ كانت مصدرا للألهام(٧). كذلك لم تخل الديارات من المخادع والمستودعات ، فهي بمثابة خزائن للذخائر والحاجيات النفيسة ومصوغات الذهب والفضة ، لاسيما إن من مشيديها الملوك الذين كانوا الأكثر حرصاً على أخفاء ممتلكاتهم الثمينة(٨)وكان من المستودعات ما هو هام ليكون مكاناً لحفظ الأطعمةالفائضة كالقمح(٩).

(١) متز ، الحضارة الإسلامية ، م ٢ ، ص ٤٠٧ .

(٢) اسحق ، احوال نصارى العراق ، ص ٩١ .

(٣) جمعية مارميناالعجايبتي،الرهبنة القبطية،الرسالة الثالثة،(د.مط ،الاسكندرية،١٩٤٨م)، ص٣٩١ ؛ ابن كلدون،يوحنا ،تاريخ يوسف بوسنايا ،ترجمة: يوحنا جلاغ،(مط المشرق، بغداد ،١٩٨٤م)،ص٥٤.

(٤) الشابشتي ، الديارات ط ٢، مقدمة المحقق ، ص ٤٩ .

(٥) الرواق : هو قاعة مستطيلة واحدة لا تفصلها اعمدة .

(٦) حميد ، دير القصير ، ص ١١ .

(٧) السامر ، فيصل ، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، (مط الايمان ، بغداد ١٩٧٠م) ، ص ٣٥٨ .

(٨) العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص ٣٢٣ ؛ زيات ، الديارات النصرانية ، ص ١٧ .

(٩) المرجي ، الرؤساء ، ص ٣٠٤ .

مجتمع الدير والقوانين التي تنظمه

بعد أن أنتشرت الديارات بشكل واسع ، ومنها الديارات العراقية ،ونظراً لكثرة أعداد الرهبان فيها ، كان لابد من ايجاد الأنظمة والقوانين التي تحكم العلاقة بين هؤلاء الرهبان أو الراهبات لضمان إستمرار وديمومة الحياة النسكية داخل الاديرة . ومن الملاحظ أن هذه القوانين وضعت بحكمة وعناية ودقة ، من خلال شمولها لمجمل المهام التي أوجبت على الرهبان أو الراهبات ، وكذلك وضعها للحلول المناسبة لمشاكلهم . وأن المتفحص لتلك الأنظمة يجد أنها صارمة أو أشبه ما تكون بقوانين الحياة العسكرية التي تلزم المنتسب على التمسك بها ،فكان على الراهب أن يخضع لها دون جدال أو نقاش(١).

وقسمت القوانين الديرية إلى قسمين ، الأول منها يخص إدارة الدير ، والثاني يخص الرهبان ، ولابد من التطرق إليهما لتوضيح الحياة الرهبانية داخل جدران الدير .

أولا : القوانين التي تختص في إدارة الدير

فرضت القوانين الديريةشروطاً كان لابد لرئيس الدير أو المدبر والمعلم أن يلتزم بها ، لكونه القدوة لغيره من الرهبان ، لذا يجب أن يكون رئيس الدير ممن نشأ وتربى في الدير ، وأن يكون عارفاً بقوانينه وقادراً على الوعظ والإرشاد لمنتسبي الدير ، من خلال سلاسة أسلوبه ولطفه ، وأن يكون قادراً على وضع الحلول المناسبة للمشاكل التي تواجه الرهبان في الدير ، وأن يكون مطيعاً لأصحاب المراتب الكنسية العليا كالأسقف ، ولا يتصرف في شيء كالبيع والشراء الا بعد حصوله على الموافقة من رؤسائه(٢). وأن لا يحكم في قضية ما ، الا بشهادة أثنين أو ثلاثة ولا يجوز له تأديب أحد الرهبان الا بإستشارة الملفان(٣) والمعروفين بقوة الحجة وأصالة الرأي(٤).

---

(١) ابن العبري ، الحمامة ، مستل من مجلة المشرق ، السنة الخمسون لعام ١٩٥٦م ، ص ٢٢٢ ؛ لومون ، خلاصة تاريخ الكنيسة ، ترجمة : القس يوسف البستاني ، (مط الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٨١ م) ، ج١ ، ص ١٨٣؛ ابن كلدون ، تاريخ يوسف بوسنا يا ، ص ١٥٨ .

(٢) ابن الطيب ، ابو الفرج عبدالله ، فقه النصرانية ، (سلسة مجموعة الكتاب النصارى الشرقيين (الكتاب العربي) ،المجلد ١٦٧ ، لوفا ، ١٩٥٧م) ، ج٢ ، ص ١٧٠. وينظر بشأن المراتب الكنسية : ملحق رقم (١) .

(٣) الملفان((المعلم او الأستاذ لفظة سريانية الأصل يراد بها احد أئمة النصارى الأعلام)) برصوم ، رسالة في الالفاظ السريانية ، ص ١٧٠ .

(٤) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص ١٦٢ .

وإذا كان مخالفاً لاسيما في التجاوز على ما فرض عليه ، فيحكم عليه بالطرد بعد موافقة الأصوات بعددها الأكبر وربما لا يطرد من الدير فقط وأنما من المدينة كلها[١]. وكان على رئيس الدير أن يكون من المتكلمين أمام الجماعة عن الإيمان القويم ، لأنهم أقاموا في الديارات ليعلموا السامعين حقيقة النصرانية ، ويحافظوا بكل حرص على الاعتراف بتعاليمها[٢].ولابد أن يكون هؤلاء السامعون هم من الرهبان الذين قدموا ليتعلموا من رئيسهم ،لأ نه أكثر علماً ومعرفة بدين النصرانية وتعاليمها .

لذا كان احترامه – والقيمين والوكلاء –واجباً ، وأن تنفذ أوامره دون جدال أو نقاش من قبل الرهبان[٣].

ولم تكن إدارة الدير حصراً في أحد الأشخاص ، بل كان يتم تبديل رئيس الدير عادة في كل سنة ويكون ذلك بمشورة الملفان[٤].

ثانيا : القوانين التي تخص الرهبان

كانت القوانين المتبعة للرهبنة في المناطق الشرقية (مصر والعراق) تكييف للطريقة التي وضعها القديس باخوميوس ، لذا كان على الراغبين في حياة الرهبنة الإنتماء إلى جمعية للعيش فيها فترة مع الجماعة[٥]، إذ يخضع الراهب للأرشاد من قبل رئيس يُعنى بحياته الروحية ، وبتقدمه نحو الكمال الرهباني ، وبملاحظة كل شيء فيه بصرامة[٦]. لذا لم يكن الدخول في سلك الرهبنة أمراً هيناً ، بل كان يخضع المرشحون للقبول في دير ما الى جملة أختبارات ، من الواجب على طالبي الرهبنة اجتيازها لذا كانوا يوضعون تحت التجربة[٧].

.

الفصل الثاني

---

(١) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص١٦٥ ؛ بيوس الثاني عشر البابا الاعظم المالك السعيد (في الرهبان وأموال الكنيسة ومعنى الكلمات للكنائس الشرقية) ،(مط البوليسيه ، حريصان – لبنان ١٩٥٢م) ، ص ١٠٨ .

(٢) chabot , j , B , synodicony , p.482. نقلاً عن الربيعي ، نصارى العراق ، ص ١٤٤

(٣) ابن كلدون ،تاريخ يوسف بوسنايا ، ص ١٥٧ ؛ داود ،الخوري يوسف السرياني ، مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة ،(مط دار الاباء الدومنيكيين ، الموصل ، ١٨٧٧) ، ص ٨٧ .

(٤) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص ١٦٢ .

(٥) وهي الوحيدة التي يسمح بها للنساء ، اذ من المتعذر انعزال الراهبة بصورة مفردة لذا تفرض عليهم العيشة الجماعية . البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص ١٨٤ .

(٦) البير ابونا ، نفسه ، ص ١٨٤ .

(٧) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

وكانت اولى هذه المراحل المرحلة الأبتدائية التي تكون مدتها خمسين يوماً ، وربما تمتد أكثر من ذلك ، وهي من أصعب المراحل التي يمر بها الراهب ، إذ يمارس خلالها الأعمال الشاقة ، ومنها الصمت فيكون الراهب آنذاك كالحبيس ، ولا يجوز له الإتصال بالرهبان الذين تجاوزوا هذه المرحلة ، ويكون منامهم في هذه المرحلة في مطبخ الدير ، لتعريفهم بأنهم لايزالون يختلفون عن بقية الرهبان من هم أعلى منهم درجة(١). ويطلق عليهم في هذه الفترة بالمبتدئين(٢).

وكان الراهب الذي يجتاز هذه المرحلة . الأبتداء . ، وشعر الرهبان أنه أصبح من المرشحين للرهبنة ، عليه أن ((**يرقد على ظهره أمام الهيكل ويصلي الرهبان عليه صلاة خاصة مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم**))(٣). ومن ثم يُظهر المترهب طاعة كبيرة ، ويمكن الأحتفال بعد ذلك بمرتبة حلق الرأس ثم السماح له بدخول الدير(٤). ويعد القديس إبراهيم الكشكري (الكبير)(٥) أول من استخدم هذه الطريقة وتسمى بالسوبرا(٦) وتكون حلاقة شعر الراهب على شكل أكاليل (٧) ويكون لزاماً على الراهب في هذه المرحلة المواظبة على السهر ، وتقديم القربان ، ومن ثم الوقوف بين الرهبان في المساء وحتى الصباح يصلي ويركع بعدها فيقبل في الدير ، ويكون بين الرهبان الاخرين(٨). ولم يكن إنخراط الشخص في سلك الرهبنة يتوقف على نجاحه في التجربة فقط ، بل لابد من أن يكون قد أستوفى بقية الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ، وهي عدم السماح للعبد الإنخراط في سلك الرهبنة الابأذن من سيده ، وإن كان حراً فبموافقة اولياء أمره(٩) ، ولاُقيل من قَتَل شخصاً عامداً

(١) ابن كلدون ، تاريخ يوسف بوسنايا ، ص ١٧٠– ١٧٨ .

(٢) ابن كلدون ، نفسه ، ص١٧٣ ؛ اسحق ، مدارس العراق ، ص ٥٣ ، هامش (٦) .

(٣) شلبي ، مقارنة الأديان (المسيحية) ، ص ١٨٨ .

(٤) ابن كلدون ، تاريخ يوسف بوسنايا ، ص ١٥٥ .

(٥) المرجي ، الروساء ، ص ٢٣ ، الهامش (١) ؛ عدناح الديوة ، ص٢٨ ؛ البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ص ١٨٤ .

(٦) عدناح ، نفسه ، ص ٢٨ .

(٧) يذكرأن النساطرة استخدموا هذه الطريقة لتميزهم عن اليعاقبة.البير ابونا،تاريخ الكنيسة،ص١٨٤ .

(٩) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج ٢ ، ص ١٧٤ ؛ البيرابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص ١٧٣ .

متعمداً ، الا إذا كان ذلك على سبيل الخطأ[١] وأن ينذر الراهب على نفسه عدة فضائل كالفقر[٢]، والعفة ، والطاعة ، ويتعهد بعدم إمتلاكه أي شيء ، فهو يعتبر بذلك أحد ممتلكات الدير، كما لا يجوز له بيع الأواني التي يستعيرها من الُعمَّر[٣].

وعلى الراهب الإلتزام بعدم الزواج وإن كان متزوجاً عليه أن يترك زوجته وأولاده[٤]، وأن يقطع علاقته بوالديه وإخوانه ولا يرجع اليهم[٥] ولا يحادثهم أو يرتدي ملابسهم[٦]، ولا يمارس أعمالهم وإن حدث ذلك ، فإنه يتعرض لعقوبات صارمة[٧]. ولا يحق له أن يأخذ من بيت أبيه شيئاً سواء كان أبوه غنياً أم فقيراً ،حياً أو ميتاً ، وإذا أعطاه أبوه أو إخوته شيئاً على سبيل البركة ، يكون على سبيل البر بعد وفاة أبيه ، وإن مات هذا الراهب ولم يأخذ من أهله شيئاً ، وكانت له قلاية فلا يحق لأقاربه وراثتها اذ لايجوز أن يرثهم أو يرثوه ، لكن تكون أمواله لأخوته الروحانيين[٨]–أي الرهبان–وإن توفي والده وله أخوة وأخوات صار الميراث لهم[٩].

وإذا توفرت هذه الشروط عند الراهب كان عليه أن يلتزم بشروط اخرى ، وأهمها أن يعيش عيشة طبيعية معتدلة بعيدة عن تعذيب النفس ، كما فعل الرهبان الأوائل في محاربة أنفسهم وإغماسهم في ما يعذبها ظناً منهم أنهم يتقربون إلى الله بهذا العمل ، لأن الله لايطلب من شخص أكثر مما يستطيع عليه[١٠].

وكان على الرهبان أيضاً القيام ببعض الأعمال الديرية كتوفير الطعام الذي يجب أن يكون من عمل أيديهم[١١] ويتم ذلك عن طريق تقسيم الأعمال المختلفة فيما بينهم

(١) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص ١٧٤ .

(٢) ابن العبري ، الحمامة ، منشور في مجلة المشرق ، ص ٤٢ .

(٣) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ؛ شوريز ، الكنسة الكلدانية ، ص ١٠ .

(٤) شكري ، اديرة وادي النطرون ، ص ١٠٠ .

(٥) شكري ، نفسه ، ص١٠٠ ؛ النينوي ، سيرة الرهبنة ، بحث منشور في مجلة المشرق ، م ٥، ص٤٢٥.

(٦) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج ٢ ، ص ١٧٥–١٧٦.

(٧) البيرابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص ١٧٣ .

(٨) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص ١٧٨ .

(٩) ابن الطيب ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(١٠) ابن الطيب ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(١١) داود ، مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة ، ص٨٧ .

فمثلا يقوم البعض منهم بزراعة المحاصيل الزراعية وحصدها واصلاح الأرض ، بينما يقوم البعض الاخر بالطبخ(١). ومن يتخلف عن الأعمال المفروضة عليه يعاقب ، فتكون عقوبته التوبيخ لمن يتخلف عن الحصاد على سبيل المثال(٢). واذا قرر الرهبان بيع محاصيلهم الزراعية ، يجب أن تباع بأثمان معتدلة ، وأن يبينوا عيوبها قبل أن يتم دفع الثمن من قبل المشتري(٣) . أما التأليف والأستنساخ فيقوم به العجزة من الرهبان أو الذين يعانون من علة ، والذين يجيدون الكتابة(٤). وربما يكون ذلك لمصلحة الراهب والدير معاً ، فالراهب سوف يقضي وقته دون أن يشعر بالملل أو أنه عديم الفائدة وفي ذات الوقت هو يترك للدير تراثا فكرياً او علمياً .

وكان يتم تقسيم اليوم في الدير على ثلاثة أقسام ، يشتمل القسم الأول على العمل(٥) اما القسم الثاني فيكون للقراءة والصلاة (٦)، والثالث للغذاء ويكون تناوله مرة واحدة ، وأن لاينقطع فم الراهب أثناء ذلك عن الترنيم والصلاة (٧)، كذلك يراعى الهدوء لكي يحصل على الراحة الكافية(٨). اما النوم فيراعى به تقسيم الرهبان وفق أماكن محدودة ومخصصة ويكون ذلك في بيت واحد (غرفة النوم) ويكون النوم على الارض(٩).وربما يرجع سبب ذلك للابتعاد عن التكبر والشعور بالتواضع . ولايجوز

(١) شكري ، اديرة وادي النطرون ، ص ٩٤ ؛ ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة : الأدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، (لجنة التأليف والترجمة والنشر، د. م ، د.ت) ، م ٤، ج٢ ،ص ١٣٢ .

(٢) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

(٣) ابن العبري، الحمامة ، ترجمة وتحقيق : زكا عيواص ،(مطبوعات مجمع اللغة السريانية ،بغداد ، ١٩٧٤) ، ص ٣٥ .

(٤) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص ١٧٣ ؛ البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص ١٨٤ .

(٥)كان الراهب يعمل في الصيف من الفجر الى نحو الساعة التاسعة صباحاً ، حيث يعود الى الدير . البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ،ص١٨٤ .

(٦) كانت الصلاة الواجب الاساسي للرهبان ، وقد فرض عليهم في البداية سبع صلوات في النهار تجاوباً ماورد في المزامير . لكنهم سرعان ما اكتفو بأربع مرات وتكون صلاة جماعية ، اما الصلاة الفردية فهي التي ترافقهم في كافة الاعمال اليومية . البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص ١٨٤ .

(٧) ابن كلدون ، تاريخ يوسف بوسنايا ، ص ١٥٧ .

(٨) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص١٧٣ ؛ المرجي ، الرؤساء ، ص ٧٥ ؛ ايمار ، روما وامبراطوريتها ص ٦١٨ . وتكون الراحة حتى الساعة الثالثة مساءاً ثم يستأنف الشغل حتى المساء ، البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص ١٨٤ .

(٩) ابن الطيب ، نفسه ، ص١٧٣ .

لهم خلع ملابسهم اثناء النوم ، كذلك لا يجوز نوم اثنين على مخدة واحدة[١] وكان التقيُد في نوم الراهب واجباً ، اذ لايجوزله النوم وأرجله ممدودة بأرتخاء ، بل يكون كالجلوس أي يسند ظهره على الحائط[٢].

اما رئيس الدير والمرضى فلا يكونون على قدم المساواة مع غيرهم من الرهبان ، فقد خصصت لهم أسِّرة لكي يناموا عليها[٣]. ويشترط على الراهب أن يكون مواظباً على تنظيم أموره ، فلا يجوزله البقاء خارج الدير أكثر من ثلاثة أيام . بالرغم من سهولة ذلك لاسيما إذا كان ذلك لأغراض الدراسة والوعظ والتبشير، كما لايجوزله شرب الخمر[٤]. وبعد أن يخدم الراهب مدة ثلاث سنوات في الدير ويكون أهلاً لحمل الرسالة الرهبانية وصيانتها ، يعطى قلاية تكون خاصة به ، و عليه الإلتزام بجميع شروطها ، ومنها : الصمت ، والاستمرار في الطلب ، والتأمل والمطالعة ، وتلاوة الصلوات ، والسهر، والصوم ، وحفظ القلب من الآلام الشريرة كالضجر والحقد والحسد والملذات والمجد الباطل والرياء والكبرياء والفخر والتوبيخ ، لأن هذا يُعد من انواع الخطيئة[٥].

ولايجوز للراهب أن يمضي مع امرأة ، أو يسكن في ديارات النساء ، ولا النساء في ديارات الرجال ومن يكن كذلك يطرد من سلك الرهبنة فيخلع عنه الصوف[٦]. وإن حدث أن دخلت الديرانيات الى أديرة الرجال، أوالرجال إلى ديارات النساء ، فيكون بحيث يبعد عنهم التهمة مدة مقامهم يوماً كان أو ليلة ، وعليهم أن يبينوا السبب ، فعلى الاسقف مراعاة ذلك[٧]. لاسيما إن كان السبب مقنعاً والحاجة ماسة لذلك . وكانت عملية المتابعة لما يحدث في الدير تتم عن طريق رئيس الدير– او مدبره او الوكيل – اذ

(١) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص ١٧٣ .

(٢) ابن كلدون ، تاريخ يوسف بوسنايا ، ص ١٥٧ .

(٣) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص ١٧٣ .

(٤) ابن الطيب ، نفسه ، ج٢ ، ص ١٧٣ ؛ البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص ١٨٥ . ويذكر ان الخمر لا يشربها سوى الشيوخ ،الذين كانوا في الغالب يتناولون الطعام مساءاً . شكري ، اديرة وادي النطرون ، ص ١٢١– ٢٢٢ . وكان لابد من توفير الخمر بشكل كبير ، فكثيراً ما يشربه الرهبان أثناء تلاوة المزامير ، خاصة أيام الأعياد وأن حدث وقلت كميته ، فيعتمد بذلك على استيراده . المرجي ، الرؤساء ، ص ١٩١ .

(٥) المرجي ، نفسه ، ص ١١٤ ؛ ابن العبري ، الحمامة ، ص ١٥١ – ١٦٧ .

(٦) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص ١٨١ .

(٧) ابن الطيب ، نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

يشرف بدوره على مجموعة من الرهبان من خلال مراقبتهم ومتابعتهم في كافة أعمالهم وتكون عملية الأشراف هذه من الضروريات لمراقبة ما يحدث داخل جدران الدير ، فقد حدث أن خُرِقَت قوانين الاديرة ويتضح ذلك من قراءة الرسالة التي بعثها أيشو عياب الحديابي[١] الى الرهبان الذين كانوا يتجولون وينتقلون من مكان الى اخر ويسكنون بالقرب من المدن والقرى ، وكانت رسالته موجهة إلى كرسي مطرانية حد ياب (أربيل) وكان يُذَكِر الُرهبان في هذه الرسالة بأنهم من البررة الصالحين ، وأنهم كانوا يحملون اخلاق رهبانية جليلة قائلاً : ((**بالزي الوقور . بالدير الهادئ . بالصوم الحريص . بالزهد المفطوم عن التحركات الشاذة والتنقلات الخطرة ، واجلسوا في اديرتكم بهدوء واعملوا عمل الرب**))[٢].

وكان يحذر الرهبان من حصولهم على الأموال بطرق غير مشروعة وأن لا يأكلوا الا من تعب أيديهم وهذا قوله : ((**اشتغل بعمل يديك كي يجد المسكين خبزتك ... فتجنبوا هذا العار المضر وكلوا من تعب ايديكم لتستحقوا تطويب النبي وتحفظوا شريعة الرسول فترثوا بركة الاباء**))[٣].

وأن لا تكون المنافسة في غنى دير على اخر نتيجة للارزاق الخسيسة التي يحصلون عليها ، ويعلق سبب ذلك على بعض رؤساء الاديرة الذين دب فيهم الفساد ، فدعاهم بالسُّذَّج والذين كانوا يشجعون على الغنى قوله : ((**والرؤساء السذج ارادوا الغنى بعدد الاخوة ولم يتذكروا ما قيل : ان واحداً يكمل الارادة خير من الالف**))[٤]. وكانت كلماته الختامية ترشدهم على الإلتزام بالبقاء داخل دياراتهم ، وأن تكون أعمالهم شريفة ، ويذكرهم بأن ربهم سيريحهم إذا ساروا على ما اوصاهم به ((**... واني مزمع ان شاء الله أن اعطيكم كلمة وافية في هذه الامور كلما افتقرتم الى السماع. فليجعل ربنا بمراحمه ان تتغلبوا باعمالكم الجدية على كل اتعاب المحبين**))[٥].

(١) ابصر النور في القرن ٦ م ، وارتشف ثقافة الفلسفة واللاهوتية في مدرسة نصيبين ،كان متمسكاً بعقيدة الاقنومين وجاهد من أجلها ، خلف كبرئيل مطران ، ونودي به بطركا ٦٤٧م وخدم البطريركيه عشر سنين ومات . وردة ، ابلحد ، ورسالة ايشو عاب الحديابي الى الرهبان ، مجلة بين النهرين ، مط الاديب البغدادية ، العدد ١٤–١٥ (عدد خاص) ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٢٩ .

(٢) وردة ، نفسه ، ص ٢٣٠ – ٢٣٤ .

(٣) وردة ، نفسه ، ص ٢٣٣.

(٤) وردة ، نفسه ، ص ٢٣٤ .

(٥) وردة ، نفسه ، ص ٢٣٤ .

ومما يؤيد خرق نظام الديارات في العراق ما قام به ابراهيم الكسكري (الكبير) ٤٩١-٥٨٦[١]الذي شمر ساعد الجد ليصلح الفساد الذي دَبَ في الحياة الرهبانية في اديرة العراق هناك لا سيما منها (الدير الكبير) بعد رجوعه من الديارالمصرية التي توجه اليها ليطلع على حياة النساك هناك . وكانت أول اعماله في العراق فرض حلاقة شعر الرهبان على شكل أكاليل ويبدو أنها تُرِكَت أثناء فترة الفساد الذي دَبَ في الاديرة . وفي سنة ٥٧١م وضع لهم العديد من القوانين للسير بموجبها . وقد أيدت هذه القوانين سنة ٥٨٨م من قبل الأنبا داد يشوع[٢].

وقد حاز ابراهيم الكشكري بذلك على أعجاب شديد ولقب بجدارة (الكبير) و (أبي الرهبان) أو النساك ، ورئيس المتوحدين [٣]، نتيجة للإصلاحات الكبيرة التي قام بها ، ويُذَكر أنه كان يزور الرهبان في صوامعهم ليرشدهم كلا على حدة حسب حاجاتهم وإمكاناتهم ، ويبدو لَه كثيراً ما كان يحثهم على العمل الصالح والرزق الحلال لاسيما في حصولهم على طعامهم ، إذ اوعز إليهم بأن يشتغلوا في فترة الحصاد ليدخروا ما يكفيهم من المؤن للسنة كلها[٤].

(١) عاش في منتصف القرن السادس الميلادي ، اختار الحياة النسكية وانزوى في مغارة بالقرب من حزة في مقاطعة حدياب ، تلقى العلم في مدرسة نصيبين وبدأ حياته الرسولية في الحيرة بأرجاع الوثنين ، وافته المنية في مغارته بعد ان مارس شتى انواع الزهد والصلوات والأمانات .وكان فيلسوفاً ومصلحاً للاديرة . البير ابونا ، أداب اللغة الآرامية ، ص ١٦٣-١٦٦ ؛ اوليري ، د. لاسي ، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، تر: زكي علي ، (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٦٢م) ، ص ٨٧ . وكان من معاصريه ابراهيم النفثري وهو من المصلحين أيضاً ، وكان الكسكري قد نظم الرهبان في جبل ايزلا (في اعالي نصيبين) قبل دخوله الى العراق ، في الاديرة الجديدة التي شيدت هناك سنة ٥٧١ م ، حيث وضع اول مدونة في احكام الرهبنة الشرقية ، وكان لكلا الإبراهيمين اثرهم في التحكم بملابس واحذية الرهبان لاسيما في تبديل اشكالها والوانها . ولم تتوقف قواعد ابراهيم الكسكري بل اخذت تنتشر عن طريق اتباعه الى الاديرة الجديدة التي انشئت من قبلهم في ارزن وقرود وقرب السن على جبل ايزلا حيث وضعت هناك الانظمة . Morony , IRaQ After the Muslim G. Conquest , p. 361

(٢) المرجي ، الرؤساء ، ص٢١ ؛ البير ابونا ، نفسه ، ص ١٦٣ .

(٣) المرجي ، نفسه ، ص ٢١ ؛ ادي شير ، كلدو وأثور ، ج٢ ، ص ٢٦٤ – ٢٦٥ ؛ البير ابونا ، نفسه ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(٤) البير ابونا ، نفسه ، ص ١٦٤ .

ويذكر ان (٢٤)راهباً من تلاميذ ابراهيم الكشكري قد انتشروا في المناطق الشرقية ، حيث أسس كل منهم ديراً في المنطقة التي استقر فيها[١]. ولا بد ان تكون هذه الديارات صالحة خالية من الفساد ، وهذا يوضح قوة اسلوبه في اقناع الرهبان للعودة الى ماكانوا عليه من عبادة وعفة وطهارة . ويبدو ان الفساد عاد الى الديرات العراقية وتحديداً في الدير الكبير الذي قَدِم لأصلاحه أبراهيم الكشكري (السابق الذكر) ، وافضع ما حدث فيه خرقا للانظمة الديرية ، ما حصل في زمن (الأنبا باباي)[٢]الذي خلف (الأنبا داد يشوع)[٣]، وتحديداً ما حصل في حياة مارايليا[٤]،عندما فضح الرهبان ، بعد أن أوحي إليه برؤية ملاك يأمره بالنزول من صومعته ليلاً والذهاب الى صوامع الرهبان ، ويذكر أنه حضر صدفة ، فسمع أنوال النساء وهن ينسجن اثواباً ، وشاهد أطفالاً يلعبون على مقربة من الصوامع فسألهم ،من يكونون ؟ فقالوا له : ((**اننا من هنا ، وآباؤنا هم فلان وفلان من الرهبان**)) ، ويذكر أن طبعه الحاد وغيرته العارمة أججت نار غضبه فما جاء الصبح حتى أمر الساعور[٥]أن يقرع ناقوس الجمعية ، فأمتثل لأمره على الرغم من أنه لم يكن رئيس الدير ، فأجتمع الرهبان وقصدوا الهيكل ، وهناك فضح مارايليا سيرة الرهبان ، فأغتم الغيارى والفضلاء منهم ، بينما هو نزع الثوب الرهباني عن المخالفين منهم وطردهم هم ونساءهم وأولادهم ، وأحرقوا صوامعهم[٦].لأنها تمثل مكان للفساد .

---

(١) البير ابونا ، آداب اللغة الارامية ، ص١٦٣ .١٦٦ .

(٢)كان باباي من سنة ٦٠٤–٦٢٨ م يدير ابراهيم الكسكري في جبل ايزلا . وكان من ابز رهبان بيت زبدي **(zabhde)** دروس مدرسة ومشتفى نصيبين قبل ان يلتحق بابراهيم الكسكري . اصدر قوانين جديدة للدير ، والتي طبقت ايضاً في دير ايوب في حدياب .

(٣) اتبع ابراهيم الكسكري كرئيس لديره في ايزلا من سنة ٥٨٨–٦٠٤ م ، ونشر قواعد جديدة في بداية رئاسته أي سنة ٥٨٨ م يطالب فيها الرهبان بأن يتعلموا الاداب و ويقبلوا على تعاليم ثيودور ونسطور ، سنة ٥٩٨ م قام سابسهر يشو الاول الكاثوليكي بتاسيس نظمٍ منفصلة للقواعد الديرية طبقت في دير بارقائيتي (**qaiti**) في جبل سنجار .

(٤)اتخذ التنسك طريقاً له دون شائبة ،وقد ابى ان يمنح جسده اياً من اسباب الراحة والهناء ، فأشتهر مثل سميه ايليا النبي بممارسة التجرد والغيرة على مكافحة الاهواء الجسدية ومقاومة الشياطين وكان يحفظ قوة الغضب المستحوذة على طبيعته ليوجهها ضد مناهضي الفضيلة . ادي شير ، التاريخ السعردي ، ص ٤٤٦ .

(٥) الساعور :وهوالذي يقوم بقرع الناقوس في الديرلا سيما في حالة خلع رئيس الدير .المرجي ص٣٠.

(٦) المرجي ، الرؤساء ، ص ٢٩ ؛ حبي ، دير مارايليا ، بحث منشور في مجلة بين النهرين ، السنة الثانية ، العدد (٧) ، السنة ١٩٧٤م ، ص ٢٧١ .

ولم يكتف بذلك بل وبخ الربان مار يعقوب المعروف بنقاوة سيرته ، وأتهمه بسكوته عن الشر ، لأن صومعته كانت قريبة من مساكن الرهبان الذين أقترفوا هذه الخطيئة ، وقيل إنه اطلع على سيرتهم فأخفى الأمر ، فرد عليه مارإيليا قائلاً : ((**ان هذا الذنب كله ذنبك ، وعلى عاتقك تقع مسؤولية هذه الخطيئة كلها . فانك لو كشفت الامر واظهرته لنا من البدء لكانوا يؤدبون او يطردون**))[١].

ومن هذا نستخلص أن الأنظمة والقوانين الديرية قد أنتقلت من المناطق المجاورة للعراق ولا سيما من جبل ايزلا الذي كان فيه ابراهيم الكسكري ، فهي أول مجموعة من القوانين الجديدة الواردة إلى الديارات المعروفة آنذاك[٢].

(١) المرجي ، الرؤساء ص ٣٦ ؛ حبي ، دير مارايليا ، ص ٢٧١ .

(٢) G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest , p. 362 .

اديرة النساء

لم تقتصر الديارات على الرهبان فقط ، بل خصصت بعضها للراهبات ، ويطلق على الراهبات بنات العهد ، أو العهيدات ، أو بنات القانون ، ومعناها واحد على الرغم من أختلاف الأسماء فجميعها تشير إلى العهد بين الله والنفس ، عهد الإخلاص والعطاء المتبادل ، إذ نذرت الراهبة نفسها لخدمة الله(١)، ويطلق عليهن بنات يسوع(٢).

ولديارات الراهبات قوانين خاصة بها ، كما لديارات الرهبان ، يتم من خلالها ضبط النظام داخل أديرتهن ، وتحديد واجباتهن المفروضة عليهن ، وأهم تلك القوانين أن تقص الراهبات شيئاً من شعورهن على هيئة صليب ، وأن يلبسن الثياب السوداء(٣) ويقمن بترتيل الأناشيد في جنائز الموتى في يوم دفنهم والأيام التالية ، بالأضافة إلى الصلاة ، ولايسمح لهن الذهاب إلى المقبرة(٤) ويعهد إليهن واجب الشماسية ليدهنن طالبات العماد – التعميد – والتثبيت بالزيت بعد أن ((**يكون الكاهن قد دهنهن في جبهتهن**))(٥).

ويسمح للراهبات بترتيل المداريش(٦)، والأناشيد الروحية ، ولا يجوز أن يكون ذلك في الكنيسة وأنما يكون ذلك فيما بينهن(٧).

ولابد أن يكون للدير رئيسة على الراهبات تدعى الأم أو السيدة أو المدبرة ، ويقع على عاتقها إدارة الدير وتنظيمه(٨). وتكون من المتقدمات في السن(٩)، ومشهود لها بالحياة العفيفة ، لذا تكون مستشارة في جميع الأمور ، ولا يجوز عصيانها ، بل تكون طاعة الراهبات لها واجبة(١٠).

الفصل الثاني

(١) حداد ، بطرس ، الرهبانيات النسائية في الكنيسة الكلدانية ،(مط الاديب ، بغداد ، ١٩٧٢) ،ص٢٨.

(٢) هندية ، حنة عجيمي ، سيرة الرهبان ، تقديم : ميشال حايك ، مجلة المشرق ، ١٩٦٥ م ، ج ٤ ، ص٥٩٣ .

(٣) حداد ، الرهبانيات النسائية ، ص ٤٦ .

(٤)chabot, j , B , synood : can , p. 486 . نقلاً عن الربيعي ، نصارى العراق ، ص ١٢١ .

(٥) نصري ، ذخيرة الاذهان ، م ١ ، ص ٣٣٩– ٣٤٠ .

(٦) وهو ترتيل نشيد وهو يصاغ على اوزان شتى بلغ عددها الخمسمائة ، دبجها افرام الملفان (+٣٧٣) اما مستنبطه فهو برديهان (+٢٢٢) . برصوم ، اللؤلؤ المنشور ، ص ٢٠٥ .

(٧) ابن العبري الاثيقون،ترجمة:مار غر يغوريوس بهنام،(مط الشباب القامشلي ،١٩٦٧م)،ص ١٣٨ .

(٨) حداد ، الراهبانيات النسائية ، ص ٤١ .

(٩) يكون العمر القانوني ٤٠ او ٦٠ سنة ، ينظر حداد ، المرجع نفسه ، ص ٤١– ٤٢ .

(١٠)chabot, j , B , synood : can , p. 486.. نقلاً عن الربيعي ، نصارى العراق ، ص١٢٢

ويبدو أن الرئيسة كانت تنال منصبها عن طريق الأنتخاب لا الترشيح فيقال : ((**أنها انتخبت من اخواتها**))[١]، ويسمح لها بتوزيع القربان على الراهبات والنساء والاولاد في حالة غياب الكاهن[٢]، والشماس[٣].

وكان على الراهبات أن يتعلمن تلاوة المزامير ، ويتمسكن باجتهاد بالطقس الكنسي وأوقات أنشاده ، وعليهن الحفاظ على سمعتهن من طعن البعض ، سواء أكان ذلك داخل الدير أم خارجه من خلال تجنب المحادثات الطويلة[٤].

(١) حداد ، الراهبانيات النسائية ص ٤١ .

(٢) الكاهن : القس .

(٣) حداد ، الراهبانيات النسائية ص ٤٢ .

(٤) chabot, j , B , synood : can , p. 486.. نقلاً عن الربيعي ، نصارى العراق ، ص١٢٣

طعام الرهبان والراهبات

كان لابد للرهبان والراهبات إيجاد طريقة خاصة في تناولهم للطعام ، كونهم متميزين بزيادة الإيمان عن غيرهم من النصارى ، فكان الرهبان يتناولون طعامهم سوية داخل الاديرة [(١)]،وهم جالسون على الارض[(٢)]، وقبل تناول الطعام يقوم رئيس الدير أو المرشد بمباركة الطعام ، ويبدأ به من هو أكبرهم سناً ، ومن ثم يتناول بقية الرهبان ((**ولا يسحب يده قبل الصغار لئلا يخجلوا فلا يبلغون حد الكفاية**))[(٣)]، وعادة يبدأ الطعام بالملح وينتهي به ، لأن اباء البرية كانوا يفعلون هكذا[(٤)] .

ولا يجوز للرهبان أن يصمتوا أثناء تناولهم الطعام كالبهائم ،بل يجب عليهم أن يشكروا الله بين لقمة واخرى ، ويقرأ أحدهم ميمراً [(٥)]، أو قصة روحية ، أو فصلاً من الكتاب المقدس ، لتكون النفس متفقة مع الجسد[(٦)].

ويجب أن تكون كمية الطعام المتناولة من قبل الراهب قليلة ، لكي يتسنى له الأنصراف إلى أعماله العبادية[(٧)]. ويكون ذلك في فترة الظهيرة او العشاء[(٨)]. وربما يكون ذلك في القرون الأولى من ظهور الحياة الديرية .

اما الراهبات فيتناولن طعامهن بشكل جماعي في غرفة خاصة هي غرفة الأكل اذ لا يجوز لهن تناول الطعام خارج هذه الغرفة[(٩)]. وتقتصر أنواع الطعام على الخضراوات والبقول ، لأن اللحوم محرمة عليهن وعلى الرهبان ، وكانت وجبات الطعام قد حددت بوجبتين في الأيام العادية إذا ما قامت الراهبات بعمل مرهق ،اما بقيتهن

(١) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج ٢ ، ص ١٦٦ . واذا لم يعتد احدهم الاكل مع غيره ، فاليأكل بمفرده . مثل يوحنا الذهبي الفم الذي لم يأكل مع احد منذ ان اصبح رئيس الكهنة . ابن العبري ، الاثيقون ، ص ٢٨٩ .

(٢)نقلاً عن الربيعي ، نصارى العراق ، ص ١١٩ .

(٣) ابن العبري ، الاثيقون ، ص ١٧٩ . غير ان بعض المصادر توضح ان لرئيس الدير مائدة خاصة به يجلس عليها وحده وتكون في صدر البيت مبنية من الحجر الذي يكون ملصق بالأرض ، كما هو الحال في دير متي . ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج٢،ص٦٩٤؛زيات،الديارات النصرانية ص١٣ .

(٤) ابن العبري ، نفسه ، ص ١٧٩ .

(٥) الميمر : وهو نشيد عظة . نخلة ، روفائيل اليسوعي ، غرائب اللغة العربية ، ص ١٧ .

(٦) ابن العبري ، الاثيقون ، ص ١٧٩ .

(٧) حبي ، دير الربان هرمزد ، ص ٣٣ .

(٨) حبي ، نفسه ، ص ٣٤ .

(٩) حداد ، الرهبانيات النسائية ، ص ٤٧ .

فيكتفين بوجبة واحدة تكون عند غروب الشمس[١] ولا يجوز للراهبة ان تتناول أي طعام في المدينة والجلوس في الولائم ، ولا يجوز لها تناول الطعام مع الرجال ، عدا أبيها وأخيها وعمها ، ولكن بعد أخذ موافقة الرئيسة ، ولايسمح للراهبة شرب الماء خارج الدير حتى في أيام الحر الشديد[٢]. ويعتقد أن هذه القوانين القاسية قد فرضت لتجنب بقائها ساعات طويلة خارج الدير .

(١) حداد ، الرهبانيات النسائية ، ص ٦٤-٧٤ .

(٢) حداد ، نفسه ، ص٤٧ .

ملابس الرهبان والراهبات

حتمت القوانيين الديرية على الرهبان والراهبات ارتداء الملابس الخاصة بهم ، لتميزهم عن غيرهم حيث امتازت ببساطتها وسواد لونها[١] .

وكان اصطلاح ((**اثواب السياحة**)) يستعمل مرادفا لـ((**لباس الرهبنة**)) ،واحياناً يستعمل ارتداء ((**لباس السياحة**)) بمعنى ((**الاعراض عن الدنيا**)) والعزوف عنها[٢]. وهذا يدل على تركهم للدنيا بإختيارهم ابسط الملابس .

وكان الرهبان يلبسون ملابس موحدة ، ويكتب اسم الراهب على ملابسه ، ويمنع من ارتداء الملابس البيضاء ، والخفاف ، ولكن يسمح لهم بلبس النعل[٣]. فهذا دليل على تواضعهم وعيشهتم البسيطة وتقشفهم . ويمنع من لبس الملابس الخاصة بالنساء ، وأن كانت ملابس أهله[٤].ولم يكن الاختلاف كبيراً بين ملابس الرهبان والراهبات ، الا بالقناع الذي تلبسه الراهبات[٥].

حيث اشترك كلاهما في بقية الملابس ، كالمسح : وهو((**ثوب من الشعرغليظ**)) [٦] او هو ((**الكساء من الشعر والجمع القليل امساح... والكثير مسوح**))[٧]. اما المدرعة فهي ايضاً من الملابس الخاصة بالرهبان ، وهي ((**ثوب لا يكون الا من صوف**))[٨]، يشبه في تصميمه العباءة ، وقد يلبس الراهب تحتها ثوب أسود ، وهو الامساح الذي مر ذكره .

(١) حبي ، دير الربان هرمزد ، ص ٣٤ . ويعتقد ان ملابس النساك المصريين كانت مأخوذة عن ملابس الكهنة من قدماء المصرين ، ومنهم من يعتقد انها اقدم من الرهبنة ذاتها ، ويبدو انها مسألة مختلف فيها ، ومهما يكن من أمر فإن الاعتقاد كان سائداً بان هذه الملابس لها فضائل غير طبيعية . انظر ، شكري ، اديرة وادي النطرون ، ص١٣٠ .

(٢) غني ، قاسم ، تاريخ التصوف في الاسلام ، ترجمه عن الفارسية : صادق نشأت ، مراجعة : احمد ناجي القيسي ، محمد مصطفى حلمي ، (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م) ، ص ٩٣ ، الهامش .

(٣) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص١٧٣ ؛ الالوسي ، سالم ، في ذكرى الاب الكرملي الراهب العلامة ، المؤسسة العامة للثقافة والطباعة ، (مط الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠م) ، ص ١٠ .

(٤) ابن الطيب ، نفسه ، ص ١٧٥ .

(٥) حداد ، الرهبانيات النسائية ، ص٤٣ .

(٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٤٨١ ، مادة مسح ؛ قاشا ، لمحات ، ص ٥٣ .

(٧) الصاوي ، شرح ديوان جرير ، ص ٣٢١ ، هامش (٤) .

(٨) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٥ ، ص٣٢٥ ، مادة (درع) .

ويصف أبو نواس هذا حين يصف رهبان في دير حنة قائلا :[١]

يسقيكَها ُمدَمجُ الخِصْرَيْنِ ذو َهَيفٍ أخو َمدارِعَ صوفٍ فوقَ أَمساحِ

وقال ايضاً [٢]:

َيعتاُده ُكلَّ َمحفوفٍ َمفارِقُه ُ مِن الدِّهانِ عليه سَحقُ أَمساحِ

ومما يذكرأن المغيرة بن شعبة عندما دخل إلى دير هند وجدها جالسة وعليها ثياب صوف سود ، وإن زياد أبن أبيه عندما دخل إلى دير هند وجدها هي وأختها ((**عليهما ثياب صوف سوداء**))[٣]،وربما تكون هذه هي الملابس التي اطلقت عليها أسم المدارع .

ويعد البرنس هو الاخر من الملابس التي تكون خاصة بالرهبان ، وهوعبارة عن ((**قلنسوة طويلة ...**)) او هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به ((**دراعة كان أوجبة أو منطرا**))[٤]،واما القلنسوة فهي لباس الرأس[٥].وقيل إنها طاقية طويلة تتدلى إلى الكتف [٦] اما البرنس فقيل : ((**هو ثوب عريض الكمين يلبس فوق سائر الثياب**))[٧]،والبرانس كافة يكون لونها أسود أذ أُعتبِر من مظاهر الأحتشام والتواضع التي يتظاهر بها القوم[٨]. ويرد ذكر البرانس في نقائض جرير والاخطل اذ قال جرير[٩] :

لَعَنَ الالهُ مِن الصليبِ لِهاً ُ ه ُ واللابسينَ بَرانِ سَ الرُهبانِ

وورد ذكرها أيضاً في شعر لجرير يهجو الفرزدق :

وأبنُ الُمراغةِ قد تَحَوَّلَ راهباً ُمتَونِساً بِتَمَسْكُنٍ وَسُؤالِ

الفصل الثاني

(١) ابو نواس ، الديوان ، ص٢١٢ ؛ المرجي ، الرؤساء ، ص٢٩٠ .

(٢) ابو نواس ، نفسه ، ص ٢٩٧ .

(٣) المكي ، محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني ، مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط٢ ، (منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ،١٩٧٠م) ج١ ، ص٢١٨ .

(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٤ ، ص ١٠٨ ، مادة (برنس) .

(٥) الزبيدي نفسه ، ج٤ ، ص٢٣١ ، مادة (قلس) .

(٦) دوزي ، رينهات ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، تر : اكرم فاضل ، وزارة الاعلام ، مديرية الثقافة العامة ، سلسلة المعاجم ، (بغداد ، ١٩٧١م) ، ص٦٦ .

(٧) نخلة ، غرائب اللغة العربية ، ص ٥٥ .

(٨) دوزي ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٩) الصاوي ، شرح ديوان جرير ، ص ٥٧٦ .

وهذا يعني انه يلبس البرنس كما يلبسه الرهبان ، أي انه قد تنصر ليأخذ منهم شيئا[١].

ولم تكن البرانس مقتصرة على الرهبان . بل كان يلبسها المسلمون في صدر الاسلام[٢]. كذلك يرتدي الرهبان الاحزمة وتكون مصنوعة من الجلد ، وقيل انه – الحزام – كان يخلع عند النوم[٣].

---

(١) شيخو ، النصرانية وآدابها ، ق٢ ، ص ٤٦٩ .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص ١٠٨ ؛ دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ص٦٦ .

(٣) شكري ، اديرة وادي الطرون ، ص ١٠٣ .

الفصل الثالث

الرهبان ودياراتهم في ظل الدولة العربية الاسلامية

الرهبان ودياراتهم في ظل الدولة العربية الاسلامية

جاء الإسلام للناس كافة ومن سماته أنه دين محبة وتسامح ، وعلى هذا الأساس ومن أجل خلق مجتمع أنساني يتعايش بمحبة وسلام ، جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لتضع جملة من القواعد والألتزامات لغير المسلمين ممن كان يعيش في ديار الأسلام كاليهود والنصارى والمجوس والصابئة(١). وقد سار الخلفاء الراشدون على سنة الرسول محمد ﷺ ومن جاء بعدهم من الخلفاء والأمراء ، لاسيما في عقد عهود الصلح والأمان معهم وأُطلق عليها في التاريخ الاسلامي ((**أحكام عقد الذمة**))(٢). والذمة : هي العهد والأمان ، وتُعقد لكل شخص رغب من أصحاب الديانات التي أشار اليها القران الكريم(٣)، وأول تشريع لعقد الذمة في الدولة العربية الأسلامية كان بعد فتح المسلمين لمكة المكرمة(٤)، ويؤيد ذلك آية تشريع الجزية التي تتضمن عقد الذمة في قوله تعالى : ((قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))(٥). ويتولى عقد الذمة الأمام (الحاكم) او نائبه مع أهل الكتاب او غيرهم(٦)، ولا يجوز في ذلك غيرهما لأنه عقد مؤيد(٧) . ويشترط في عقد الذمة عند الشافعية والحنابلة شرطين هما : الألتزام بكافة أحكام الأسلام ، وأن يبذلوا الجزية(٨).

---

(١) ترتون ،أ . س ، أهل الذمة في الاسلام ، ترجمة وتعليق : حسن حبشي ، ط٢ ،(دار المعارف ، د.م ، ١٩٦٧) ، ص١ .

(٢) اليوزبكي ، توفيق سلطان ،تاريخ أهل الذمة في العراق (١٢– ٢٤٧هـ) ، (دار العلوم للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٣) ، ص ٧١ .

(٣) سيد سابق ، فقه السنة ، ط جديدة منقحة ومخرجة الأحاديث ومذيلة بأحكام الاحاديث للشيخ محمد ناصرالدين الالباني ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ،٢٠٠٢ م) ، م٣ ، ص١٠٥ .

(٤) اليوز بكي ، أهل الذمة في العراق ، ص٧١ .

(٥) سورة التوبة : ايه ٢٩ .

(٦) سيد سابق ، فقه السنة ، ص ١٠٥ ؛ زيدان ، عبد الكريم ،أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ، ط٢ ، (مؤسسة الرسالة ، مكتبة القدس ، بغداد ، ١٩٧٦) ، ص٣٢ .

(٧) زيدان ، نفسه ، ص ٢٣ .

(٨) الشربيني ، محمد الخطيب ، مغني المحتاج ، الى معاني الفاظ المنهاج ، شرح على متن المنهاج للنووي وهو مطبوع على متن المنهاج ، (د.مط ، د.م ، د. ت) ، ج٤ ، ص ٢٤٦ ؛ البهوتي ، منصور بن يونس بن ادريس الحنبلي ، كشاف القناع على متن الاقناع ، (مط الشرقية ، مصر ، ١٣١٩ هـ) ، ج١ ، ص ٧٠٤ ؛ سيد سابق ، فقه السنة ، م٣ ، ص ١٠٥ .

وإذا تم عقد الذمة رتّب على المسلمين حُرمة قِتالهم والحفاظ على أموالهم ، وصيانة أعراضهم ، وكفالة حرياتهم ، والكف عن الحاق الأذى بهم[١]، وقد ورد عن الرسول محمد ﷺ قوله : ((**اذا لقيت عدوك من المشركين فأدعهم الى ثلاث خصال ، فأيتهن أجابوك اليها ، فأقبل منهم وكف عنهم ، أدعهم الى الإسلام ، فأن هم أبوا فاسألهم الجزية،فإن هم أجابوك فأقبل منهم ، وإن هم أبوا ، فإستعن بالله وقاتلهم**))[٢].

وحدد الرسول محمد ﷺ حقوق من تُعقد له الذمة في قوله :((**فأذا قبلوا عقد الذمة فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين**))[٣].وروي عن الخليفة علي رضي الله عنه أنه قال: ((**إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا**))[٤].وقد التزم الفقهاء بقاعدة عامة هي ((**أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا**))[٥].

وكانت هذه المبادئ أساساً لعقد الذمة مع غير المسلمين ، حيث كان القواد يُخَيّرون أهل البلاد عند فتحها بين الأسلام والجزية ، أو الحرب[٦].

كذلك حدد الأسلام الأسباب التي تنتقض بها عهود أهل الذمة وهي إذا أسلم الذمي أو التحق بدار أهل الحرب ، أو إمتنع عن دفع الجزية ،أو شهر السلاح بوجه المسلمين ، أو ضرب مسلماً ، أو أعتدى عليه في ماله أو نفسه ، أو زنا بمسلمة أوأصابها بأسم نكاح أو طعن في الدين ، وذكر الله وكتابه ، ورسوله ، ويذكر أنه قيل لأبن عمر رضي الله عنه :((**إن راهباً يشتم النبي ﷺ فقال:لو سمعته لقتلته، انا لم نعطه الأمان على هذا**))[٧] . كما تنتقض العهود إذا قطع الطريق على المسلمين ، أو غيرهم في دار الأسلام ، أو فتن

---

(١) سيد سابق ، فقه السنة ، م٣ ، ص ١٠٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح الامام النووي ،(دار الفكر ، د. م ، ١٩٨٣) ، م٦ ، ج١٢ ، ص ٣٨-٣٩ ؛ ابو داود ، ابن الاشعث الازدي السجستاني ، سنن ابي داود ،(دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٨) ، ج ٣ ، ص ١٦٤ . الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح :سنن الترمذي المكتبة الاسلامية ، د.م ، د.م) ، ج٧، ص١١٩ .

(٣) الكاساني ، علاء الدين أبي بكر بن مسعود الحنفي ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، (مط الجماليه ، مصر ، ١٩١٠م) ، ج ٧ ، ص ١٠٠ .

(٤) السرخسي ،ابو بكر محمد بن اسماعيل ، الحنفي ، شرح السير الكبير،(مط دائرة المعارف النظامية حيدر آباد ، ١٩١٦م) ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ ؛ سيد سابق ، فقه السنة ، م٣ ، ص ١٠٥ .

(٥) سيد سابق ، نفسه ، م٣ ، ص ١٠٥ .

(٦) اليوزبكي ، أهل الذمة ، ص ٧٢ .

(٧) سيد سابق ، فقه السنة ، م٣ ، ص ١١١ .

مسلماً عن دينه ، أو تجسس على المسلمين ، وكشف عوراتهم ، ونقائصهم للأعداء[١] .

وإذا أنتقض عهد الذمي كان حُكمُه حُكم الأسير فإن أسلم حُرِم قتله لأن الأسلام يَجبُ ما قبله[٢]. وقد أوصى القرآن الكريم بالإحسان الى أهل الذمة إذ شجع على زيادة الألفة والمحبة بين المسلمين وأهل الكتاب من خلال إباحته بالإختلاط مع المسلمين كالزواج بين المسلمين وأهل الكتاب،في قوله تعالى:((اليَومَ أُحِلَ لَكُمُ الطَّيبَاتُ، وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌ لَكُم، وَطَعَامُكُم حِلٌ لَهُم، وَالمُحصَنَاتُ مِنَ المُؤمِنَاتِ وَالمُحصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبلِكُم))[٣]. ونص القرآن الكريم على عدم التعرض لممارستهم حريتهم العقائدية كقوله تعالى:((يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا عَلَيكُم أَنفُسَكُم لاَيَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا أهتَدَيتُم إِلَىّ مَرجِعُكُم جَمِيعاً))[٤].

ونهى القرآن الكريم عن إكراههم على إعتناق الإسلام ، قوله تعالى: ((لآ إِكرَاهَ فِي الدِّينِ)) [٥]. فمن القواعد التي أقرتها الشريعة الإسلامية بالنسبة للذميين هي تركهم ومايدينون ولا يجوز التعرض لهم في حرية عقائدهم ، فحرية العقيدة حق مضمون للذميين ، بل هو واضح ومقرر وإن لم يكن مضموناً لأهل الذمة لما شرع عقد الذمة[٦]. وهذا يوضح إن القرآن الكريم كان في غاية العناية بأهل الذمة ، إذ أنه بعيد عن التحريض او الضغط على أهل الذمة لإعتناقهم الإسلام ، انما يكون ذلك بحرية فردية ووفق قناعة تامة .أما السنة النبوية فقد روي عن الرسول محمد ﷺ من مصادر موثوقة أنه حث على التسامح مع النصارى بشكل عام والمحافظة عليهم ، ورعايتهم ، وعدم

---

(١) ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج٢، ص ٧٩٣-٨٠١ .

(٢) سيد سابق ، فقه السنة ، م٣ ، ص ١١١ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٥ .

(٤) سورة المائدة ، آية:١٠٥.(قيل ان هذه الاية وردت في أهل الكتاب ، اليهود والنصارى ومن كان مثلهم ، ومعناها لايضركم كفر أهل الكتاب اذا أدوا الجزية) . الطبري ، جامع البيان ، ج ٧ ، ص ١١٨ ؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القران ، ج٦ ، ص٢٢٢ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٥٦ . (نزلت في أهل الكتاب ، وانهم لايكرهون على الاسلام إذا أدوا الجزية) ، وروي عن زيد بن أسلم عن ابيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية : أسلمي أيتها العجوز، تسلمي ، ان الله بعث محمداً بالحق قالت : اناعجوز كبيرة والموت الي قريب ! فقال عمر : اللهم اشهد ، وتلا : ((لا أكراه في الدين)) . ينظر : الطبري ، نفسه ، ص٢٣ ؛ القرطبي ، نفسه ، م ٢ ، ج ٣. ٤ ، ص ١٨٢ .

(٦) زيدان ، عبد الكريم ، احكام الذميين ، ص ٩٥ .

تكليفهم فوق طاقتهم ، وأن يكون الحق والعدل هو المتبع معهم ماداموا في عهد المسلمين فقال : ((**من ظلم معاهداً أو انتقضه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة**))(١)، وقال أيضاً : ((**الله الله في أهل الذمة**))(٢)، وقال : ((**من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة**))(٣). وروي عنهﷺ أنه قال: ((**احفظوني في ذمتي**))(٤) .

وكان الخليفة عمر بن الخطابرضي الله عنه يوصي بأهل الذمة خيراً حتى أيامه الأخيرة قئلاً : ((**أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً ، أن يوفي بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم**)) (٥) .

وبما أن النصارى أحدى الملل المشمولة بأحكام أهل الذمة وبحكم إختلاطهم بالمسلمين فقد خصهم الإسلام بالتسامح وذلك بحكم التشريعات التي حددها لتنظيم العلاقة بينهم وبين المسلمين ، كما أُعتبِرت السنن التي وضعها الرسول محمد ﷺ من الأُسس المهمة التي كانت بمثابة بنراساً سار عليه الخلفاء من بعده ، ومن الأمثلة على معاملة الرسول ﷺ الطيبة للنصارى ما ورد في عهد لأمير(أيلة النصراني) الذي جاء فيه: ((**بسم الله الرحمن الرحيم وهذه أمنه من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنه بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لايحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ماءاً يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر**))(٦).

---

(١) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ،(دار صادر و دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٧) ،ج٢ ، ص١٣٤ ؛ وورد حديث بشكل اخر قولهﷺ:((من ظلم معاهداً او كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه)) . ينظر : المنذري والخطابي وأبن القيم ، مختصر وشرح وتهذيب سنن ابي داود ،(مط السنة المحمدية ، القاهرة ،١٣٦٩هـ)،ج٢ ص٢٥٥ ؛ سيد سابق ، فقه السنة م٣ ، ص١٠٩.

(٢) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة وتعليق : حسين مؤنس ،ط دار الهلال ، (د. مط ، القاهرة ، د. ت) ، ج٤ ، ص ١٠٣ .

(٣) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، ط٤ ، (مط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٣م) ، ج٢ ، ص ٤٧٣ .

(٤) سيد سابق ، فقه السنة ، ص ١٠٩ .

(٥) ابن ادم ،يحيى ،الخراج ،تحقيق محمد شاكر،(مط الاسلامية بالازهر،مصر، ١٩٣٤) ، ص ٧٤ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، ج٢ ، ص ١٢٧ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق وضبط : مصطفى السقا و اخرون ، (المكتبة العلمية ، بيروت ، د . ت) ، ج٤ ، ص٥٢٥-٥٢٦ .

ويعلل فتال ((Fattal)) إجراءات الرسول ﷺ وتسامحه مع النصارى ((**لأن النبي أظهر حرية تامة بالنسبة لأهل الذمة لأنه أراد أن يكسبهم الى الأسلام عن طريق الاقناع**))[١] .

وقد أثمرت العلاقات بين الرسول محمد ﷺ ورؤسائهم النصارى الروحانيين فكان الجاثليق يشوعياب (رئيس النصارى) ومتولي أمرهم[٢] قد أرسل الى النبي ﷺ هدايا مع جبرائيل أسقف ميسان وسأله الأحسان الى النصارى ، وكان جوابه ﷺ: ((**أن بره بعدة من الإبل وثياب عدنية**))[٣].

ولم يكن التسامح العربي الأسلامي تجاه النصارى لينقطع عند عصر من العصور فكانت فترة الخلافة الراشدة بأعتراف المستشرف الفرنسي دوفال من الفترات التي أُحسن الى النصارى فيها خاصة في عهد الخلفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤-٦٤٤ م) ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤ .٦٥٦ م) ، وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه (٣٥-٤٠ هـ/٦٥٦-٦٦١ م) إذ أنهم قربوهم منهم وأكتفوا بطلب الجزية [٤].

والجزية : هي مايؤخذ من أهل الذمة [٥]، و هي الخراج المضروب على رووس أهل الذمة[٦]، أما الأصطلاح الشائع في تعريف الجزية :هي الأموال المفروضة على رووس أهل الذمة ، وتؤخذ ممن دخل في ذمة المسلمين من أهل الكتاب[٧]، وقد

---

(١)نقلاً عن اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة ، ص ١٠٠ .

(٢) لم يذكر المكان .

(٣) ماري سلمان ، اخبار فطاركة ، ص٦٢ .

(٤) اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٦٢ ؛ مجلة النجم ، العدد ٤٤٢، (البطريكية الكلدانية ، الموصل ، د.ت) ، ج١ ، ص ٥٧ .

(٥) اهل الذمة : هم المستوطنون في بلاد الاسلام من غير المسلمين وسموا بذلك لانهم دفعوا الجزية فأمنوا على ارواحهم واعراضهم واموالهم . فإن تقاليد الاسلام كانت تقضي بأنه اذا اراد المسلمون غزو اقليم وجب عليهم ان يطلبوا من اهله اعتناق الاسلام ، فمن استجاب منهم طبقت عليه احكام المسلمين ، ومن امتنع فرضت عليه الجزية .الخربوطلي ، علي حسني ، الاسلام واهل الذمة ،(مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، د.م ، ١٩٦٩) ، ص٩٧-٩٨ .

(٦) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣١٢ ؛ الرافعي ، احمد المغربي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ط٧ ، (مط الاميرية ، القاهرة ، ١٩٢٨) ، ص ١٣٨ ؛ ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري ، الخراج ، ط٣ ، (مط السلفية القاهرة ، ١٣٨٢ هـ) ، ص٦٩ ؛ معلوف ، لويس اليسوعي ، المنجد ، ط ٩، (مط الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧) ، ص ٨٨ .

(٧) سيد سابق ، فقه السنة ، ص ١٠٦ .

وجبت الجزية على الذميين إستناداً إلى ماورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فقال تعالى : ((قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ، وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))(1). وقد أختلفت الأراء في إشتقاقها فيذكر الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، وابو يعلي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) أن أسم الجزية مشتق من الجزاء أما الجزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً ، أو جزاءً على أماننا لهم لأخذها منهم رفقاً . بينما يرى ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) بأنها مشتقة من جزاة بمعنى قضاة لقوله : ((لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً)) ، فتكون بذلك اشبه بالفدية(2). ويبدو ان الرأي الأول هوا الرأي الصائب ، حيث ثبت ذلك من خلال الأحكام التي وضعها الرسولﷺ والخلفاء الراشدونرضي الله عنه ، ومن كان خلفهم ، لأنهم كانوا يأخذون الجزية (لماناً) من الذميين ، لقاء تعهد المسلمين بالمحافظة على أرواحهم وأموالهم وعباداتهم(3).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن الجزية ليس من محدثات الإسلام ، فقد فُرِضَت من قِبل الرومان وكانت أكبر بكثير مما وضعه المسلمون بعدئذ . وكان هذا التسامح الكبير من لدن المسلمين قد جعل النصارى في الشرق يرون أن حكم المسلمين أخف وطأة من حكم بيزنطة وكنيستها(4) . من ذلك نستنتج أن النصارى نالواحظاً وافراً من خلال ماورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تجاه أهل الذمة والمعاملة الطيبة التي سادها المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة الراشدة ، من خلال عدم التعرض لهم وبالتالي ممارسة حقوقهم الدينية على أكمل وجه .

ولم تكن الفتوحات العربية الاسلامية التي بدأت في عصر الخليفة أبو بكر الصديقرضي الله عنه (١١.١٣هـ/ ٦٣٣ .٦٣٥ م)عائقاً أمام توقف الحياة الدينية والفكرية

---

(١) سورة التوبة ، آيه : ٢٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٤٨ . ينظر بشأن شرح هذه الآية : الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري البغدادي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط٢ ، (مط البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٦ م) ، ص ١٤٢ ؛ ابو يعلي ، محمد بن الحسن الفراء ،الاحكام السلطانية ،صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي ، ط٢ ، (مط البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٦ م) ، ص١٥٣ .

(٣) اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة ، ص ٧٦ .

(٤) ارثر، كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ،ترجمة : يحيى الخشاب ،مراجعة :عبد الوهاب عزام ، (مط لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ،١٩٥٧م) ؛ بتلر ، د. الفردج ، فتح العرب لمصر ، تعريب : محمد فريد ابو حديد ،(مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٣ م) ، ص ٣٩٣ – ٣٩٤ .

للنصارى ، ويعلل أحدهم أن عملية تيسير الفتوحات إنما كانت جراء المعاملة الطيبة للمسلمين تجاه النصارى خاصة لُهم فرضوا عليهم مقداراً من الجزية أقل مما كان يفرض عليهم في ظل الحكومات السابقة إذ كان يرهقهم عسف الأعاجم لأخذهم الأتاوة المضاعفة ، فصاروا يمارسون عقائد أديانهم بحرية ومن غير أزعاج(١) .

ويذكر أن العرب عند فتحهم للأمصار لقوا ترحيباً من أهل الذمة – النصارى – فقد أملوا في الخلاص من الأنقسامات الدينية والمذهبية ، واالخلاص من جور الحكام وظلمهم ، والإعفاء من الخدمة العسكرية ، والتمتع بالحرية الدينية التي يسمح بها الإسلام مقابل دفعهم للجزية(٢).

ومما يذكر أيضاً خضوع الجزية للظروف المحيطة بها ، حيث فرضت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على جميع النصارى عدا نصارى بني تغلب(٣) فقد فرضت عليهم الصدقة المضّعفة ، وأشترط أن لا يُنَصِروا أولادهم ،وكان قراره هذا بعد أن أشار عليه أحدهم(٤)بذلك قائلاً : ((**يا أمير المؤمنين إن بني تغلب قوم عرب يأنفون من الجزية ، وليست لهم أموال ، إنما هم أصحاب حروث ومواشي .ولهم نكاية في العدو، فلا تعن عدوك عليك بهم**)) ، وكان ذلك الرأي هو الأصوب إذ كان الخليفة عمر رضي الله عنه منشغلاً بقتال الكفار، والفتوحات ، وقد وافقه على قراره الصحابة والفقهاء(٥).

الا أن الموقف تجاه نصارى بني تغلب قد تغير في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد أبى عليهم الا الجزية . وقال: ((**لا والله الا الجزية ! والا فقد أذنتكم**

---

(١) تسران ، نيافة الكردنيال ، خلاصة ، تاريخية للكنيسة الكلدانية، نقلها الى العربية : سليمان الصائغ (د.مط ، الموصل ، ١٩٣٩م) ، ص ٤٤ ؛ حتي ، تاريخ العرب ، ترجمة المؤلف وزميله أ . جرجي وج. جبور ، (د . مط ، بيروت ، ١٩٤٩) ، ج ١ ، ص ١٩٤ ؛ اوليري ، علوم اليونان ، ص١٢٤ .

(٢)نقلاً عن الخربوطلي ، الاسلام واهل الذمة ، ص ٩٨.

(٣) وهم بنو تغلب بن وائل بن ربيعة بن نزار ، من صميم العرب ، انتقلوا في الجاهلية الى النصرانية وكانوا قبيلة عظيمة لها شوكة قوية ، واستمروا في ذلك حتى جاء الاسلام . ينظر: ابن القيم الجوزية ، احكام اهل الذمة ، ص ٧٥-٧٦ .

(٤) هو النعمان بن زرعة التغلبي . ابن القيم ، نفسه ، ص٧٥-٨٠ ؛ ابن قتيبة ، ابي محمد عبد الله بن مسلم ،المعارف ، حققه وقدم له : ثروت عكاشة ، ط٢ منقحة ،(دار المعارف ، مصر،١٩٦٩) ، ص٥٧٤ .

(٥) ابن القيم ، نفسه ، ص ٧٥-٨٠ ؛ ابن قتيبة ، نفسه ، ص٥٧٤ .

بالحرب)) وكان قراره هذا بعد أن رأى أن شكوتهم قد ضعفت ، ولم يخف منهم ما خافه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [1].

أي إن الجزية تختلف وفقاً لظروف معينة مرت بها ، كذلك الحال في إختلاف الفئات التي تدفع الجزية كالرهبان الذين ميزهم الإسلام عن غيرهم من أهل الذمة (النصارى) .

فقد أختلف مقدار الجزية ، فلم تُجبى بالتساوي من جميع طبقات المجتمع النصراني ، بل تكون كلاً حسب قدرته ، لذا قسمها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [2]على ثلاث طبقات تدفع الدنيا منها اثنى عشر درهماً ، والوسطى أربعة وعشرين ، والعليا ثمانية وأربعين درهماً في السنة ، أو دينارين أو ثلاثة في البلاد التي عملتها الذهب ، وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة للدفاع عن الوطن ، فكان لا يدفعها الا الرجل القادر على حمل السلاح ، فقد أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم في بلاد الإسلام التي يقيمون فيها[3] . وبما أن الرهبان فئة من المجتمع النصراني لها وزنها الخاص ، إذ كانوا منعزلين عن الناس في دياراتهم عاكفين على ممارستهم العبادية ، فحضوا بذلك على معاملة متميزة من قبل المسلمين ، فلم يأخذوا منهم الجزية ، فورد في ذلك : ولايدفعها ذوو العاهات ولا المترهبون وأهل الصوامع الا إذا كان لهم يسار[4].

وكانت تلك المعاملة نابعة من جوهر الدين الاسلامي ، فقد ورد ذكر الرهبان في القران الكريم ، وأشار فيه الى تواضعهم قوله تعالى : ((**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**))[5]. كما اوصى بهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويتضح ذلك من خلال ما ورد في كتابه لأهل نجران في عقد

---

(١) ابن القيم ، احكام اهل الذمة ، ص ٧٥-٨٠ .

(٢) الادريسي ، ابراهيم شوكة ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق،(دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ت) ، ج١ ، ص ٣٩٣ ؛ أمين ، فجر الاسلام ،(د. مط ، مصر ١٩٤٥م)، ج ، ص ٨٦-٨٦ ؛ اسحق ، تاريخ النصارى في العراق ، ص٦٠ .

(٣) سيد سابق ، فقه السنة ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٤) ابن قيم الجوزية ، احكام اهل الذمة ، ق١ ، ص ٧ ؛ متز ، الحضارة الاسلامية ، م١ ص ٩٦ ؛ زيدان ،عبد الكريم ، احكام الذميين ، ص ١٤١ ؛ ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، (د. مط ، بيروت ، د.ت) ، ج١٣ ، ص ١٣٠ .

(٥) سورة المائدة ، اية : ٨٢ .

الصلح معهم : ((**ولنجران وحاشيتها جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأ رضهم ، وغايبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لايغير أسقفاً من أسقفيه ، ولا راهب من رهابينه ، ولا كاهن من كهنته ، وليس عليهم دية ، ولادم جاهلية ، ولا يحشرون ولا يعشرون ، ولايطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم جزيتهم ، فسهمهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر ، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي بامره مانصحوا وأصلحوا ...**))(١).

وأستمر الخلفاء الراشدون في السير على هدى القرآن ، وسيرة الرسول ﷺ ، في معاملتهم لرهبان النصارى ، وكانت حركة الفتوحات الاسلامية التي غايتها نشر الإسلام ، والمحافظة على أرواح وممتلكات السكان دليلاً على ذلك ، فقد أوصى الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه قواد جيشه بالرهبان قائلاً : ((**... وسوف تمرون بأقوام قد فَرَّغوا أنفسهم في الصوامع فَدَعُوهم ، وما فرَّغوا أنفسهم له ...**))(٢)، لان الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعلم ان الحملة متجهة الى بلاد الشام التي يدين غالبية سكانها بالنصرانية وتنتشر فيها الاديرة بكثرة . وقد أمتثل القواد لتوجيهات الخليفة ابي بكر رضي الله عنه وكانوا أهلاً للثقة لاسيما في حمل المبادىء السامية الى البلاد المفتوحة فلما توجه خالد بن الوليد

---

(١) البلاذري ، ابي الحسن احمد بن محي بن جابر ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق : رضوان محمد (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨) ، ص٧٦ ؛ ابن الاثير ، ابي الحسن علي بن مكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بالجزري ، الكامل في التاريخ ،(دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩) ، م٢ ، ص٢٠٠ ؛ الالوسي ، محمود شكري البغدادي ، بلوغ الآرب في معرفة احوال العرب ، شرح وتصحيح : محمد بهجت الاثريي ، (مط الرحمانية ، مصر ، د.ت)، ج٢ ، ص٢٤٣-٢٤٤ ؛ حميد الله ، محمد الحيدري ابادي ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي الراشدة، ط٢، (مط لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م) ، ص ١١٤ ويذكر ان هذا العهد قد نُفِذَ زمن الخلفاءواستمر ايام الرشيد فأراد ان ينقضه فمنعه محمد بن الحسن الشيباني صاحب الامام الحنيفة النعمان . ينظر سيد سابق ، فقه السنة ، م٣ ، ص١١٠.

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٢٧-١٢٨ ؛ الطبري ، ج٣ ، ص٢١٣ ؛ ابن القيم احكام اهل الذمة ، ص٥٠ ، ديورانت ، قصة الحضارة ، م٤ ،ص٧٣ ؛ الدليمي ، محمد نايف جهرة وصايا العرب وصايا صدر الاسلام والدولة الاموية،(دار النضال بيروت ، ١٩٩١م) ،ج٢ ، ص٣٤ ؛ صفوت ،احمدزكي ،جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة ، تصنيف وتبويب : عبد الجبار ناجي واخرون ، اشراف : عبد الامير الاعسم مراجعة وتقديم : محمد جاسم الحديثي ، (مط العربية ، بغداد ، ٢٠٠٠م) ، ص٨٤ ؛ قاشا، لمحات من تاريخ نصارى العراق ص٤٢.

فاتحاً الحيرة[١]، وعقد مع اهلها الصلح سنة (١٢ هـ /٣٦٤ م)، حاصر قصورها وافتتح الديارات وصالح القسيسين والرهبان بأهل القصور[٢].

كذلك لقي رهبان النصارى عناية خاصة من قبل الفقهاء المسلمين ، حيث أُعفوا من الجزية وفق المذهب المالكي والحنبلي ، ويعلل الحنابلة ذلك بأن الراهب أذا أُسِرَ لم يُقتَل فاذا دخل في الذمة لا تجب عليه الجزية . أما عند الحنفية فان الجزية لا توضع على الرهبان الذين لا يخالطون الناس[٣].((أي العاكفون على عبادتهم داخل صوامعهم ودياراتهم)) .وقول الشافعية عدم وجوبها ،لأن هؤلاء ليسوا من أهل القتال عادةً وأنهم حبسوا أنفسهم في الصوامع[٤]، وهم بذلك أشبه بمن لايقدر على القتال .

وقد أجاز الفقهاء الصدقة على المساكين من أهل الذمة ومن بينهم الرهبان ، وقد روي عن أبراهيم بن ميسرة أنه قال كانوا يجمعون إليه صدقة فيعطيها أو يعطي منها للرهبان[٥]. وجواز ذلك إستناداً الى قوله تعالى:((لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ))[٦]. أي إن الرهبان كانوا يتمتعون بدرجة عالية من العناية الإنسانية . ولم يُعْفَ من الجزية من المترهبين الا إذا كانوا مساكين يتصدق عليهم كباقي المساكين[٧].ويعتقد أن أحوال البعض منهم قد تحسنت أذ فرضت الجزية على المساكين منهم فقط .

---

(١) ويذكر تسران ان النصارى اتصلوا بالمسلمين الذين جاؤا لفتح الحيرة سنة ٦٣٣ م . خلاصة تاريخية ، ص٤٤ .

(٢) ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون،(دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ،بيروت،١٩٥٦.١٩٥٩م)،م٢،ص٨٠ .

(٣) ابن قيم الجوزية ، احكام اهل الذمة ، ص٥٠ ؛ زيدان ،عبد الكريم ، احكام الذميين ، ص١٤٢.

(٤) الشافعي ، ابي عبد الله محمد بن ادريس ، الأم ، برواية الربيع بن سليمان المرادي ، (مط بولاق مصر ، ١٣٢٥ هـ) ، ج٤ ، ص٩٨ ؛ الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٧ ، ص١١١ ؛ الشربيني ، مغني المحتاج ، ج٤ ، ص ٢٤٦ ؛ البهوتي ، كشاف القناع ، ج١ ، ص٧٠.

(٥) ابو عبيدة ، القاسم بن سلام ، كتاب الاموال ، تحقيق وتعليق : محمد خليل هراس ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ م) ، ص٦٠٦ ؛ ابو يعلي ، الاحكام ، ص ١١٧ .

(٦) سورة الممتحنة ، آية : ٨ .

(٧) ابو يوسف، الخراج ، ص٧٠ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج٤ ، ص٣٩٤ ؛ زيات ،الجوالي أوجزية النصارى في الاسلام ، مجلة المشرق،السنة الحادية والاربعون ، نيسان . حزيران ، ١٩٤٧، ص٣ . ويعتقد ان بعض النصارى اتخذوا من الترهب وسيلة للهرب من دفع الجزية ، لذا وجب عدم اسقاط الجزية على من ترهب بعد فرض الجزية عليه . ينظر : ابن القيم ، احكام اهل الذمة ، ق٢ ، ص٥٠ ؛ زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الأسلامي ، ج٢ ، ص٥٥ .

كما أُدرِجَ الرهبان في طبقات المجتمع التي لاحول لهاولا قوة ، في سبيل عدم دفعهم للجزية ، فتذكر المصادر في ذلك : ((**وأُعفي الصبيان والنساء والمساكين وذوو العاهات والرهبان – من الجزية –**))[١]،ويضيف دنيث قائلاً : ((**... وأهل الصوامع وكذلك المترهبون في الأديرة بشرط أن يكون معاشهم مستمداً من الصدقات ...**))[٢].

ويستنبط من خلال قول دنيث جانباً أخر وهو أختلاف حياة الرهبان – في الاسلام– عن السابق فصار للراهب معاشاً ربما يستخدمه للحصول على مقتنياته المختلفة لمواكبة سير الحياة وهذا بدوره يلغي حياة الزهد والتصوف التي تطرقنا اليها في فصل سابق .

أما العصر الأموي فكان لُمتداداً للعصر الراشدي في تسامحه مع النصارى ومنهم الرهبان حيث أزدهرت العدالة في أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١–٦٠هـ/٦٦٢–٦٨٠م) فقد عم السلام في البلاد الخاضعة لحكمه وكان الناس يتمتعون بالحرية المطلقة فإن المسلمين قاموا بحق النصارى والرهبان فكانوا يطالبونهم بالجزية ويطلقون لهم الحرية التامة في ممارسة أمورهم الدينية[٣]. ويوضح دنيث أن الرهبان كانوا معفيين من الجزية إذا ما تحولوا الى الإسلام ، أي انها فرضت عليهم لفترة معينة غير ان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أمر بأعفاء من يسلم من الجزية،لكنه يؤدي ضريبة الخراج كالمعتاد[٤]. وقد ورد في تسامح الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه للرهبان بأنه رفع عنهم الجزية ، والغي الضريبة عن أملاك الكنيسة والأساقفة ، وأكد أن العدل هو الأسلوب المتبع من قبله تجاه أهل الذمة ومنهم الرهبان[٥]، وكان يقول لولاة الأمر من المسلمين: ((**لاتقتلوا راهباً ولا أكاراً**))[٦]. لذا أعتبره الرهبان بأنه صديق لهم [٧].

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص٦٩–٧٠ ؛ الخربوطلي ، الاسلام واهل الذمة ، ص١٠٠ .

(٢) دنيث ، دانيال ، الجزية والاسلام ، ترجمه وقدمة له : فوزي فهيم جاد الله ، مراجعة : احسان عباس ؛ حسين قاسم ، (منشورات دار مكتبة الحياة بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت – نيويورك ، ١٩٦٠) ، ص ١٧٥ .

(٣) اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٦٢ .

(٤) دنيث ، الجزية والاسلام ، ص١٧٥ .

(٥) شكري ، اديرة وادي النطرون ، ص١٩٩ ؛ الدوري ،عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩ م) ، ص٣٣ .

(٦) ابن آدم ، الخراج ، ص٤٨ ؛ الأكار: الزراع . الزبيدي ، تاج العروس ،ج٣، ص ١٧،مادة أكر .

(٧) ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية وعصر الخلفاء الامويين ، ط٣ (د .مط ، بيروت ، ١٩٦٦) ، ج٢ ، ص٢١٦ .

وحاول بعض أهل الذمة الفرار من دفع الجزية ، فسلكوا طريق الرهبنة ، وترهبنوا لعلمهم بأعفاء الرهبان من الجزية ، الا أن الحجاج فرض الجزية على جميع الرهبان ، ولم يسمح لهم بتأخيرها(١). وهذا يفسر دخول بعض النصارى الى الديارات ليس رغبة في الرهبنة بل هرباً من دفع الجزية ، فلم يعد يخضع الرهبان كسابق عهدهم الى المراحل التي تؤهلهم للدخول الى الرهبنة ، وربما كان هذا سبباً في تراخي زمام الرهبنة وبالتالي خرق نظام الديارت من قبل بعض الرهبان . ويمكن أن يفسر ذلك لجوء الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى فرض الجزية عليهم ، أذ أنه فرض على رهبان أهل الديارات على كل راهب دينارين(٢).

اما العصر العباسي فيبدو أنه كان أكثر تسامحاً مع الرهبان ، ويتضح ذلك من خلال أستغاثة قوم من الرهبان الذين فرضت عليهم الجزية – في مصر – بالخليفة المقتدر(٢٩٥. ٣٢٠ هـ/٩٠٨. ٩٣٢ م) بعد سفرهم الى العراق ، فكتب لهم الا تؤخذ الجزية من الرهبان ولا من الأساقفة ولا الضعفاء ، وأن يجري أمرهم على ما كانوا عليه(٣). وهذا يدل على أن رهبان النصارى في العراق كانوا يتمتعون بتسامح أكبر في ظل خلفاء بني العباس ، ولا سيما في اعفائهم من أداء الجزية .

وكان بعض الخلفاء العباسيين يعرفون ما أستقر في نفوس بعض العمال من حب الظلم والعسف والضراوة على أرهاق أهل الذمة ، لذا كانوا يشددون على أختيار أهل العفة والنزاهة ويوصونهم بالقسط في جباية الجزية والا تؤخذ من النساء والولدان والمرضى والفقراء والرهبان ، كما جاء في العهد الذي كتبه أبو أسحق الصابئ من الخليفة الطائع لله (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٤-٩٩٢م) الى فخر الدولة بن بويه في جمادى الاولى(٣٦٦هـ/٩٧٦ م) حيث قال : ((**وامره بأن يتخَيَّر عُمالَّه على الأعشار والخَراجَ**

---

(١) ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق ، احمد امين وآخرون ، ط٢ ، (مط لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٨-١٩٥٣) ، ج٥ ص٢٩ ؛ الخربوطلي ، الاسلام واهل الذمة ، ص١٠٤ .

(٢) ابن زنجويه ، حميد ، كتاب الاموال ، تحقيق : شاكر ذيب فياض ، (د. مط ، د.م ، ١٩٨٦) ، ج١ ، ص١٦٣ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج٤ ، ص٣٩٣ ؛ زيات ،الجوالي او جزية النصارى في الاسلام ، ص٣ .

(٣) متز ، الحضارة الاسلامية ، م١ ، ١٠١ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص٥٣ .

والضِّياع ، والجَهبذَةَ ، والصَّدقَات والجَوالَي(١) **من أهل الظَّلَف**(٢)**... بحَسَبِ منَازِلهم في الأحوال ، وذاتِ أيدِيهم في الأموال؛وعلى الطَّبقَات المُطبَقة فيها والحدُودُ المحدودة المعهُودة لها ؛ وأن لا ياخذُوها من النساء ولاممن لم يُبلغ الحُلُم من الرجال ؛ ولا من سنٍ عالية ، ولا ذي علة بادِية ؛ ولا فقيرٍ مُعدِم ولا مُترَهِّب متبَّتل))**(٣). وهذا يبين أن الرهبان كانوا متساوين في الواجبات مع الطبقات الضعيفة كالنساء وصغار السن والفقراء.

الديارات النصرانية العراقية في ظل الدولة العربية الاسلامية .

أ . موقف الخلفاء الراشدين من الديارات النصرانية :

بعد أن بينا تسامح المسلمين مع رهبان النصارى لابد من التطرق الى حالة الديارات التي يبدو أنها حظيت بأهتمام كبير من المسلمين لأنها مستقرهم ومكان عبادتهم . ففي عهد الخليفة أبي بكر الصديقرضي الله عنه، أنفذ خالد بن الوليد الى أرض العراق ، وزحف الى الحيرة وفتحها صلحاً سنة ١٢هـ وكانت من بين وصايا الخليفة أن لا يهدم لهم بيعة ولا قصر(٤)، ولعل حرص خالد بن الوليد في الأمثال لطاعة الخليفة كان سبباً في ترحيب النصارى به ومنهم الرهبان ، فانزلوا جنوده في كنائسهم ودياراتهم(٥).

أما في عهد الخليفة عمر بن خطابرضي الله عنهفقد كتب عهداً لنصارى أهل المدائن وجعله عهداً مرعياً وسجلاً منشوراً وسنة ماضية وذمة محفوظة لهم ، ومما جاء فيه : **((ولا يغير لكم أُسقف من أساقفتكم ولا يُهدَم بيت من بيوت صلواتكم ولا بيعة من**

---

(١) الجوالي : جمع (جالية) وتطلق على أهل الذمة . وقد قيل لهم ذلك لان عمر بن الخطابرضي الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب.ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من اهل الذمة وأن لم يجلوا عن اوطانهم .القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٣ ، ص٥٣٠ ، هامش(١) .ويذكر الدوري أن أصل الجالية هي الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل على وطن اخر كما انها تستعمل احيانا محل لفظة (جزية) . عبد العزيز ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ،(مط المعارف ، بغداد ، ١٩٤٨) ، ص ١٩٧ .

(٢) الظليف: السيء الحال في معيشته ،وأهل الظلف سيئي الحال. الجوهري ، الصحاح ، ص٦٩٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص١٣٦ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١٠ ، ص٢٦-٢٧ ؛ زيات الديارات النصرانية ، ص ١١٥ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٧٤ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٤٤ ؛ ابو يوسف ، الخراج ، ط٢ ، ص١٤٣ ؛ حميد الله ، مجموعة الوثائق ، ص١٢٩ ؛ قاشا ، لمحات ، ص٤٢ ؛ اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة ، ص١١٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص١٢ ؛ ابن الاثير الكامل في التاريخ ،ج٢ ، ص٣٩٠.

بيعكم ...))[١]، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه قد ولي عتبة بن فرقد السلمي الموصل سنة ٢٠ هـ ، فوجد فيها الديارات النصرانية فصالحه أهلها على الجزية[٢]. ويُعتقد أنه لم يتعرض للرهبان بسوء بشكل عام ، إذ أستخدمت بعض الديارات في زمنه كأماكن لتوجيه السرايا للغارة إلى أرض السواد مما يلي الفرات ، ومن هذه الديارات دير هند[٣].

كذلك الحال بالنسبة للقائد سعد بن أبي وقاص ، حيث جاء في عهده لأهل عانات[٤]:((**... على أن لا يهدم لهم كنيسة،وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤا ليلاً ونهاراً الا في أوقات الصلوات وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم**))[٥] أما في عهدي الخليفة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب(رضي الله عنهما) فقد أشارت بعض المراجع الى إعتراف الجاثليق يشوعياب الحديابي(الذي كان يرأس طائفته) بمساعدة المسلمين للديارات في قوله:((**إن العرب أعطاهم الله حكم قسيسينا وقديسينا ، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا في العالم و يعاملوننا كما تعرفون،أنهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا،ويوقُرون قسيسينا وقديسينا ،ويمدون يد المعونة الى كنائسناوأديرتنا**))[٦]،ومما يؤكد حُسن تعامل المسلمين مع النصارى وعدم التعرض لأديرتهم ماشهد به بتلر نقلاً عن مطران نسطوري قائلاً :((**وهؤلاء العرب ... لا يحاربون دين المسيح ، بل هم يدافعون عن ديننا ويجِلونَ قساوسنا ، وقديسينا، ويهبون الهبات لكنائسنا وأديرتنا**))[٧]، وهنا أشارة واضحة تدل على معرفة النصارى بحسن معاملة العرب لهم ، ولا سيما في مساعدتهم للديارات وأهلها .

وقد اودى تسامح الخلفاء الراشدين مع النصارى الى ممارسة شعائرهم وحقوقهم الدينية ، وذلك بالرجوع الى رؤسائهم الروحانيين ،فلم يقف المسلمون حائلاً أمام تشييدهم للديارات والبيع والكنائس ، وقد كانت الموصل تحتوي على العديد منها فتركوها

---

(١) نصري ، دخيرة الاذهان ، ج١ ، ص٢٥١ ؛ حميد الله ، المصدر نفسه ، ص٨٤ وما بعدها .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٧ .

(٣) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، تصحيح وفهرست : انطوان صالحاني اليسوعي ، (دار الرائد اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٣م) ، ص١٧٢ .

(٤) عانات : قضاء في محافظة الانبار (الرمادي) ، ورد ذكرها منذ العهد الاشوري ، عرفت قديما بعانات واليوم تعرف بـ(عانة) ، قاشا ، لمحات ، ص٦٧ .

(٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص١٤٦ ؛ حميد الله ،مجموعة الوثائق،ص٢٩٣-٢٩٨ ؛قاشا،نفسه،ص٤٢.

(٦) ترتون ، اهل الذمة ، ص١٥٩ ؛ قاشا ، لمحات ، ص٤٦ .

(٧) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص١٤١ .

للنصارى لأنها مراكز دينية ومعابد لهم[1]. وهذا يوضحه (فتال **Fattal**) ومن خلال تأكيده على أحترام المسلمين للشروط التي وضعها الخلفاء عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب (رضي الله عنهم)، اذ لم يهدموا أياً من محلات العبادة وفقاً للمعاهدات المعقودة مع النصارى ، والمواثيق التي تضمن لهم الأمان لكنائسهم ودياراتهم وحريتهم في إقامة طقوسهم الدينية [2]. لذا نلاحظ أن العرب المحررين للعراق لقوا ترحيباً كبيراً من النصارى وأنزلوا جنود المسلمين في البيع والديارات [3]. بل أنهم ساعدوهم في قتالهم للفرس فأخذتهم الحمية العربية ، ليكونوا يداً واحدة في قهر عدوهم . وهذا يوضح أن أختلاف العقائد لم يكن عائقاً أمام المسلمين أو النصارى .

ومما تجدر الأشارة اليه أن النصارى كانوا في مأمن من المسلمين خاصة في بناء الديارات ، إذ كان ماروثا التكريتي (ت ٦٤٩م)مفرياناً على تكريت عند الفتح الإسلامي،وقام بفتح قلعتها لجيش المسلمين وعقد صلح تكريت مع القائد عبدالله بن المعتم سنة (٦٣٧م) من أجل تجنب المدينة أذى الحرب و إراقة الدماء[4]،وبنى في تكريت الأديار والبيع[5]،مما يؤكد أن نصارى تكريت منحوا حرية العقيدة إلى جانب الذمة والأمان وورد في ذلك:((**فزينها وجملها بالاديرة والبيع التي انشأها فيها**))[6]، وقد ازدهرت الديارات في ظل الاسلام ببنائها الشامخ وحدائقها الغناء ومزارعها النضرة وصورها البديعة ،فضلاً عن أزدهارها بالعبادة والعلم،فكانت تؤدي دورها على أحسن وجه[7].

وتذكر المصادر أن أعداد الديارات قد أزدادت بعد الفتوحات الإسلامية ، إذ كانت زهاء مئة دير عند ظهور الاسلام ، الا أنها كثرت بعد الفتوحات الاسلامية[8]

---

(١) البلاذري،فتوح البلدان ،ص٣٢٨؛ قاشا، لمحات ، ص٤٥ ؛اليوزبكي،تاريخ اهل الذمة،١١٨-١١٩.

(٢) اليوزبكي ، نفسه ، ص١٠١ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص١٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٩٠ ؛ ادي شير ، كلدو وآثور ، ج٢، ص٢٥٢ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٥٥ .

(٤)G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest , p.378 . وسيرد تفصيلاً عن حياة ماروثا في الفصل الرابع .

(٥)نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١ ، ص٣٢٩-٣٣٢ ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنشور ، ص٢٨٠-٢٨١ ؛ البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص١٦٢ .

(٦) البير ابونا ، آداب اللغة الآرامية ، (د. مط ، بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ٣٦١ -٣٦٢ ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، الحركة الفكرية في تكريت في العصر العباسي ، موسوعة مدينة تكريت ، سلسلة موسوعات مدن العراق ، بغداد ، لسنة ١٩٩٧ ، ج٣ ، ص١٧ .

(٧) اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٨٦ .

(٨) ادي شير ، كلدو واثور ، ج٢ ، ص٢٦٨ ؛ اسحق ، مدارس العراق ، ص٥٣

ب . رأي الفقهاء في بناء الديارات

قسم الفقهاء الأمصار الإسلامية إلى ثلاثة أقسام وأعطوا فيها حكم بناء الكنائس والبيع والديارات فالقسم (الأول) يشتمل على ما مصره المسلمون ، كالكوفة والبصرة وبغداد . وقال الزيدية[١] يجوز لهم أن يحدثوا بناء البيع والكنائس والديارات إذا أذن لهم الإمام بذلك لمصلحة يراها[٢].أما (الثاني)فهو ما فتحه المسلمون عنوة ، وقال فيه أبو القاسم المالكي[٣]، يجوز لهم الإحداث إذا أذن لهم الإمام بذلك.و(الثالث)ما فتح صلحاً فإن جرى على أن تكون الأراضي لأهل الذمة والخراج للدولة الإسلامية ، يجوز لهم إحداث الكنائس والبيع،وإن صولحوا على أن الدار للدولة الإسلامية ويؤدون الجزية فالحكم على معابدهم على ما يقع عليه الصلح . فأن صولحوا على شرط التمكين في إحداث الكنائس والديارات والبيع ونحوها فلهم الإحداث وإلا فلا .وقال المالكية ما فتح صلحاً يجوزلأهله الإحداث مطلقاً شُرِطَ لهم ذلك أو لم يُشرَط ، ما دام لا يسكن المسلمون معهم[٤] .

أما حكم الديارات التي كانت في الأمصار المفتوحة عنوة ، فقد أُقرت من قبل الشافعية إن كانت للمصلحة[٥].كذلك أجاز الحنابلة في أحد أرائهم إبقائها،وعدم هدمها، لأن الصحابة فتحوا كثيراً من البلاد عنوة فلم يهدموا بيعة ولا كنيسة ولابيت نار[٦] وظاهر هذا القول أن تكون الكنائس والبيع والديارات أماكن عبادة لأهل الذمة .

---

(١) الزيدية : وهي أحدى الفرق الشيعية، من أتباع الامام زيد بن علي بن الحسن رضي الله عنه ،لهم أراء فقهية معتدلة قريبة من أهل السنة والجماعة . ينظر :عبد الحميد ، عرفان ، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ، (مط أسعد ، بغداد ، د. ت) ، ص٥٦ . ٥٧ .

(٢)زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ص٩٦ .

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم من اجل اصحاب مالك واعلمهم بفقهه ، وروى عنه (الموطأ) ، وصحبه عشرين سنة وقد اشتهر بالفقه والورع ، توفي في مصر سنة ١٩١ هـ . المالكي ، ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، تحقيق : محمد الأحمدي ؛ أبو النور ، (دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٢ م) ، ١٤٦. ١٤٧ .

(٤) ابن قدامة المقدسي ، المغني ، ط٣ ، (طبع ادارة المنار ، د.م ، ١٣٦٧هـ) ، ج٨ ، ص٥٢٦–٥٢٧ ؛ احمد بن يحيى ، المهدي لدين الله بن المرتضى ، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار (مط السنة المحمدية ، مصر ، ١٩٤٩ م) ، ج٥ ، ص٤٦٢–٤٦٣ ؛ الرملي ، شمس الدين محمد بن ابي العباس ،احمد بن الحمزة ، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج وهو على شرح المنهاج للنووي،(مط بولاق ، مصر ، د.ت) ، ج٧ ، ص٢٢٩ ؛ البابرتي ، كمال الدين المعروف بابن همام ، فتح القدير وتكملة شرح على الهداية مطبوع مع الهداية ، ج٤ ، ص٣٧٨ .

(٥) الرملي ، نفسه ، ج٧ ، ص٢٣٩ .

(٦) ابن قدامة المقدسي ، المغني ، ج٨ ، ص٥٢٧ .

كذلك يرجع قول الفقهاء فيما يخص أماكن العبادة لأهل الذمة ، ما ذهب اليه الزيدية وابن قاسم المالكي من جواز إحداث الكنائس والبيع والديارات لأهل الذمة في الأمصار الإسلامية ، فيما فتحوه عنوة إذا أذن لهم الإمام بذلك ، لأن الإسلام يقر أهل الذمة على عقائدهم فمن لوازم هذا الإقرار السماح لهم بأقامة معابدهم إذا لم يكن عنقاً في ذلك[١]. ويدرج أبن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) حرية الأعتقاد هذه وفق تفسير ينطبق مع الأحكام التي جاءت بها الشريعة الاسلامية السمحاء ، فبدأ انطلاقه في إحكام بناء الكنائس والديارات النصرنية من الآية الكريمة : ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ ، وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً))[٢]. فهو بذلك يحرم على المسلمين التعرض للذميين – النصارى– بالظلم والأذى ولا سيما في ممارستهم لشرائع دينهم[٣]، يتبين من ذلك أنه لم يعارض بناء الديارات .

أما حكم أقامة الديارات في القرى أو في المواضع التي هي ليس من أمصار المسلمين ، فيقول عنها الكاساني : لا يمنعون من إحداثها في هذه الأماكن[٤]، وأيده بذلك السرخسي قائلاً : لايمنعون من ذلك في القرى التي يكون أكثر سكانها من أهل الذمة[٥]. أما عند الشافعية فيبدو لـه يجوز لهم في القرى مطلقاً سواء أكان سكانها نصارى أم مسلمون[٦].

وفيما يخص حقوق الذميين في إقامة شعائرهم الدينية ، فلهم الحق في ممارستها داخل معابدهم سواء أكان ذلك ديراً، أم كنيسة، أم بيعة ، أم غيرها من أماكن العبادة ، وفي القرى والأماكن التي ليست من أمصار المسلمين فيجوز لهم إظهار شعائرهم الدينية وهذا مذهب الحنفية[٧].كذلك صرح الشافعية بجواز إظهارشعائرهم الدينية إذا أنفردوافي قرية خاصة بهم[٨]. وإن الفقهاء يرون أن إنحصار ممارسة الشعائر الدينية في معابدهم أو قراهم لم يكن منصب من الشعائر الدينية ذاتها ، وإنما يكون للمصلحة العامة

(١) زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ص٩٨-٩٩ .

(٢) سورة الحج آية : ٤٠ .

(٣) ابن القيم ، احكام اهل الذمة ، ص٦٩٨ .

(٤) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٧، ص١١٤ .

(٥) السرخسي ، شرح السير الكبير ، ج٣ ، ص٢٥٣ .

(٦) الرملي ، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج ، ج٧ ، ص٢٣٩ .

(٧) الكاساني،بدائع الصنائع ، ج٧، ص١١٣ ؛ السرخسي ، شرح السير الكبير ،ج٣ ، ص٢٥١-٢٥٢.

(٨) الخطيب ، مغني المحتاج الى معرفة معني اللفاظ المنهاج ، ج٤ ، ص٢٥٧ .

الإسلامية ، لئلا يحدث من إظهار شعائرهم في أمصار المسلمين شيء من الفتنة والإضطراب ، ولو كان المنع لذات الشعائر الدينية لمنعت في كل مكان ، ويعزز هذا الرأي ما جاء في عهد سعد بن أبي وقاص لأهل عانات الذي جاء فيه : ((**... وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا ليلاً أو نهاراً الا في أوقات الصلوات ، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم**))[1].

من ذلك نستخلص أن رهبان الديارات كانوا يمارسون عباداتهم دون التضييق عليهم،إذ أنهم عكفوا على العبادة في دياراتهم،وهو أبعد ما يكون في التعرض لهم سوء .

ومن الحقوق الأخرى التي أوجبها الإسلام للذميين ، وهي حرمة المسكن ، فلا يجوز لأحد أن يدخل عليهم الا بأذنهم ورضاهم . وبما أن الديارات كانت بمثابة بيوتٍ للرهبان ومكانٍ لسكنهم ، فمن الطبيعي أن تكون لها حرمتها ، ولا يحق لأحد أن يخرقها أو يعتدى عليها،لأن الأعتداء على حرمة المسكن إنما هي الأعتداء على الشخص نفسه[2] وهذا ما حرمته الشريعة الإسلامية السمحاء في تحريم الإعتداء على الذمي . وقد نص القرآن الكريم على المنع من دخول مساكن الغير دون علمهم،قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))[3]. وهذ نص شامل ، ويمكن أن يضمن الرهبان في دياراتهم ، لذا لا يجوز لأحد أن يدخلها دون أذن أهلها الرهبان ، وهذا مظهر اخر من مظاهر الحرية الدينيه للنصارى في الإسلام .

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص١٤٦ .

(٢) زيدان ، عبد الكريم ، احكام الذميين ، ص٩٤ .

(٣) سورة النور ، اية : ٢٧ – ٢٨ .

ج . موقف الامويين من الديارات النصرانية

أتبع بني أُمية سياسة تسامحية مع أهل الذمة وقربوهم إليهم ، فقد شهدت الدولة أيام معاوية بن أبي سفيان وحتى عصر عبد الملك بن مروان ازدهاراً كبيراً حيث تمتع الناس بحرية مطلقة ، وأقتصر المسلمون على أخذ الجزية من النصارى مقابل حرية العقيدة[1]. ويوضح ترتون ذلك قائلاً : ((**إن الكنائس كانت تبنى بحرية ، وكانت تُشَيد بموافقة السلطة وأصحاب الأمر والنهي وأحياناً بمساعدتهم**))[2] . ومن العهود التي أتصفت بالعدل والأحسان تجاه النصارى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه [3]، فينفي بارتولد منعه للنصارى من بناء كنائس جديدة أو أصلاح القديمة منها[4]، والحقيقة إن أهل الذمة تمتعوا بالكثير من عدل الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومنهم الرهبان ، فقد أمر عماله بالا يهدموا كنسية او بيعة ... صولح أهل الذمة عليه[5] . ويذكر أن الكثير من الديارات والكنائس قد أُعيد بناؤها في عهده[6].

وكانت الديارات النصرانية قد حظيت بمساعدة المسلمين في العصر الاموي ، فبعد أن أصبح الماء غير كافٍ لسد الحاجة في دير هند الصغرى الواقع في الحيرة ، أمر أمير الكوفة بشر بن مروان (ت٧٥هـ) بشق نهر له من الفرات[7].

وأوردت المصادر إستخدام الديارات النصرانية عصرئذ من قبل قواد الحروب كمأوى لهم أذ نزل عبد الرحمن بن الأشعث دير الجماجم ، بحكم قرب الدير من الماء ((**لتأتيه الأمداد والميرة كما كان عزم أن يقطع عن الحجاج وأصحابه مجرى الماء**

---

(١) الطبري ،تاريخ ،ج٦ ، ص٥٧٢ ؛ ابن القيم ، احكام اهل الذمة ، ق٢ ، ص٦٩٠ ؛ حتي ، تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٢٥٩ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٦٢ ؛ هل ، ي ، الحضارة العربية ، ترجمة : ابراهيم العدوي ، (مكتبة الانكلومصرية ،القاهرة ، ١٩٥٦) ، ص٥٣ ؛ اوليري ، الفكر العربي ومكانه في التاريخ ،ترجمة ، تمام حسن ، محمد مصطفى حلمي، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و النشر ، القاهرة ، ١٩٦٢م) ، ص٦٥ .

(٢) ترتون ، اهل الذمة في الاسلام ، ص٥١ .

(٣) الخربوطلي ، الاسلام واهل الذمة ، ص١٢٧ .

(٤) بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة:حمزة ظاهر ،(دار المعارف، مصر ، د.ت)، ص٧ .

(٥) الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص٣٣ .

(٦) اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة ، ص١٤٢ .

(٧) وربما يعود سبب هذا الى تحول مجرى النهر في دير هند ، او بسبب عملية الترسبات . العمري مسالك الابصار ، ج١ ، ص٣٢٣ .

فيقتلهم عطشاً)) [1]، الأمر الذي أضطر الحجاج الى النزول في دير قرة ليكون هو الاخر قريباً من الماء[2]. ويعتقد أن هذه الديارات كانت خالية من الرهبان ومتروكة لذا لم تتطرق المصادر الى ذكر لرهبانها ، وفي ذات الوقت تعكس هذه الديارات مواقعها المتميزة من حيث قربها من الماء ،فهي بذلك ملاذاً امناً لجند المسلمين . وكان لحصانتها ومناعتها أن أُتخِذَت كحصون للثوار ضد الحكومة ، فقد تحصن شبيب الخارجي [3]في بعض أديرة المدائن ، فلم يتمكن جيش الحجاج من فتح الحصن[4]، وعندما قامت ثورة ابن الأشعث في دير الجماجم ، تحصن الحجاج في دير قرة[5]. وقد نزل مصعب بن الزبير [6]عند حربه لعبد الملك بن مروان في دير الجاثليق في مسكن[7]، وعندما خرج سليمان بن صرد الخزاعي [8]من النخيلة[9]، دعا حكيم بن منقذ[10] في

---

(١) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٥٩٣ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٥٦ ؛ العلي ، معالم العراق العمرانية ، ص٦١ .

(٢) البكري ، نفسه ، ج٢ ، ص٥٩٣ .

(٣) شبيب الخارجي : هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني ابو الضحاك (ت٧٧هـ /٦٩٦م) من ابطال العلم و أحد كبار الثائرين على بني امية ،كان طموحاً للسيادة ، نادى بالخلافة فبايعه ١٢٠رجلاً ، خرج من الموصل يريد الكوفة ، فقصد الحجاج بنفسه ، فشبت بينهما معارك فشل فيها الحجاج ، فأنجده عبد الملك بجيش من الشام ،الا انه مات غرقاً بعد أن نفر من فرسه على جسر دجيل (في نواحي الاهواز) . ينظر : الزركلي ، الاعلام ، م٣ ، ص١٥٦ – ١٥٧ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ص٤٣٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج٩ ص ١٣.

(٥) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ، تاريخ اليعقوبي، (د. مط ، بيروت ،١٩٦٠م) م٢، ص٢٧٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص٣٤٧ ؛ ابن الاثير ، نفسه ، ج٤ ، ص٤٦٩ ؛ ابن كثير ، نفسه ، ج٩ ص٤١ .

(٦) هو مصعب بن الزبيربن العوام بن خويلد الأسدي القرشي ، أحد الولاة الابطال في صدر الاسلام نشأ على يدي أخيه عبدالله بن الزبير ، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق وولاه عبدالله البصرة (سنة ٦٧هـ) . ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ، ص١٤٨.١٤٩ .

(٧) مسكن : موضع قريب من اوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق ، ياقوت معجم ، م٥، ص١٢٧.

(٨) سليمان بن صرد (ت٦٥هـ – ٦٨٤م) صحابي من الزعماء والقادة شهد الجمل وصفين مع علي رضي الله عنه وسكن الكوفة ثم كان ممن كاتب الحسين وتخلف عنه ، وخرج بعد ذلك مطالباً بدمه . فترأس التوابين . ينظر : الزركلي ، الاعلام ، م٣ ، ص١٢٧ .

(٩) النخيلة : موقع قرب الكوفة على سَمْت الشام . ياقوت ، معجم ، م٥ ، ص ٢٧٨.

(١٠) لم أجد له ترجمة في كتب الاعلام .

الناس ((**الا لا يبيتن رجل منكم دون دير الأعور**)) [١] ، فبات الناس بدير الأعور[٢]. وفي هذا الدير وقعت معركة بين أنصار مصعب وبين عبد الله بن الحر الجعفي قائد جيش بني أُمية سنة ٦٨هـ ، وسميت تلك الليلة : ليلة دير الأعور[٣]. وهذه الأحداث تؤكد أن الديارات لا تزال قائمة في العصر الاموي ، وإتخذت كحصون ضد الأعداء في الحروب الدائرة بين المسلمين . وهنا يتبادر إلى الذهن سبب ترك تلك الديارات ، والواقع يشير الى أن التسامح الذي أبداه المسلمون تجاه الديارات و رهبانها قد أدى الى إنحسارعددالرهبان الملتحقين بالأديرة فتقلصت أعدادهم ولجأ بعضهم إلى ديارات أخرى.

وكانت الديارات قد أُستخدِمت في العصر الاموي كأماكن لأرتياد الخلفاء والأمراء الأمويين ، ومن هذه الديارات دير الرصافة (رصافة هشام بن عبد الملك)   وقيل فيــه :

ليالي هشامٍ بالرصافةِ قاطنُ   وفيكَ ابْنه ُ، يا ديرُ ،وَهْوَ أَميرُ[٤].

كذلك ورد ذكر إرتياد الأمراء في دير السوسي (على شاطئ دجلة) . ولابن المعتز فيه :

ياليالىَّ بالمطَيرةِ والكْرخِ   وديرَ السُّوسي بالله عودي[٥].

ودير عبدون (بسر من رأى) وفيه يقول ابن المعتز[٦] :

سقى الجزيرةَ ذاتَ الظِّلِ والشَجرِ   وديرَعبدون هطّ الٌ من المطرِ
ياطالماهَبَّتْ ني للصَّبوح بـه   في ظلمةِ الليلِ والعصفورُ لم يطرِ
أصواتُ رُهبانِ ديرٍفي صلاتِهِم   سودُ المدارِعِ نعَّارينَ [٧] في السَحَرِ

(١) وهو بظاهر الكوفة بناه رجل من اياد يقال له الاعور من بني خذاقة بن زهر بن أياد .ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص٥٨٩ .

(٣) الطبري ، نفسه ، ج٦ ، ص١٣٤ .

(٤) العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٣٣٦.

(٥) الشابشتي ، الديارات ، ص٦٤.

(٦) ابن المعتز : عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي يكنى بأبي العباس ولد في بغداد وبويع بالخلافة يوم وليلة،له تصانيف كثيرة مع ديوان شعر مطبوع من جزئين ، توفي عام ٢٩٦ هـ . ينظر:ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ج١، ص٢٥٨ ؛ الكتبي، فوات الوفيات ،ج١ص٢٤١. والشعر من ديوان أبن المعتز ، (د.مط ، باريس ، ٣٠٧٨) ، ص١٠٥ ؛ وفي معجم ياقوت سقى المطيرة بدلاً من الجزيرة ج٢ ، ص٥٢١.٥٢٢ .

(٧) مفردها نعر:أي صاح .ينظر:ابن منظور،لسان العرب،ج٧،ص٧٨ ؛ براورز ، المنجد في اللغة، ص٨١٩.

وتذكر بعض الروايات أن بعض الديارات قد أشتهرت بصناعة الخمر ومنها دير حنة الواقع جنوب الحيرة الذي ذاعت شهرته في هذه الصناعة وكان فيه خمار يدعى (مار عبدا) موصوف بجودة الخمر ،ونظافة الآنية ، وملاحة الحانة ، ويذكر (مار عبدا) أنه قد فتح حانته في أحد الأيام ، وجلس إلى جانب الهيكل ، فأقبل عليه ثلاثة فوارس كانوا قادمين من طريق السماوة ، فطلب أحدهم خمراً ، بعد أن سأله قائلاً : ((**أأنت مارعبدا وهذا دير حنه ؟**))[١]، فسقاه ثلاث مرات ثم طلب الرابعة فسقاه أيضاً [٢]. ورمى أحد الراكبين معه بكيس فقال له مار عبدا : ((**وَحَقّ ِالنصرانيةِ لا قبلْتهُ حتى أعرف الرجلَ ، فقال هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك وصفت له فأقبل من دمشق حتى شرب من شرابك ورأى ديرك والحيرة**))[٣]. فإذا صحت هذه الرواية فيمكن القول أن نظام الديرية بدأ يتحلل وأن مسلك بعض الرهبان لم يعد كما كان في عهوده الأولى.

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ص٣٢١ .

(٢) السقاف ، الاوراق ، ص١٤٧ .

(٣) العمري ، مسالك الأبصار ، ص٣٢٢ .

د . موقف العباسيين من الديارات النصرانية

يُعتَبر العصر العباسي من العصور التي شهدت تسامحاً كبيراً في معاملة أهل الذمة ومنهم النصارى ، فقد أعتمد الخلفاء العباسيون على النصارى بصورة واسعة في تسيير أمور الدولة وإدارتها وترتيب دواوينها، وذلك لخبرتهم الواسعة في مجال الكتابة والخراج والدواوين ، وفي بعض فنون العلم . لذا نالوا إهتماماً كبيراً من قِبلهم ، فأغدقوا عليهم الأموال والهبات ، ويتبين رغد العيش الذي كانوا فيه من خلال توافدهم على بغداد حاضرة الخلافة العباسية لخدمة الدولة الإسلامية بأقلامهم وعقولهم ، بعد أن وجدوا التسامح الكبير من العباسيين في التمتع بحريتهم لاسيما حريتهم في ممارستهم لعقائدهم(١). الأمر الذي ساعدهم على ممارسة حرياتهم الدينية بصورة واسعة ، فأقبلوا على بناء البيع والكنائس والديارات في العديد من المواضع ، كما قاموا بترميم البعض منها(٢). في حين أُضِيفَ إلى أشكال البناء في بعض الديارات الأخرى ، ومثال ذلك كنيسة دير مارفيثون (في الجنوب الغربي لبغداد) التي كانت تحتوي على رواق واحد في العصر السابق للإسلام ، فأُضيفَ إليها في العصر العباسي رواقان جانبيان(٣). وكان النصارى يُظهِرون أعيادهم الدينية بحرية تامة أمام المسلمين(٤). وهذا يشير إلى روح الأمن التي سادت قلوب النصارى من جانب المسلمين آنذاك .

ويؤيد ذلك ما اورده الشابشتي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨ م) في كتابه الديارات ، للأعداد الكثيرة من الديارات التي تم تشييدها في عصر الدولة العباسية ، وكيف أن مهمتها لم تقتصر على العبادة ، فلم تكن ملجأ للرهبان والمتدينين فقط ، بل كانت بمثابة متنزهات وأماكن للهو والراحة ويقصدها المسلمون لا سيما في أعياد النصارى التي كانوا يشاركونهم فيها للتمتع ، وشرب الخمور وأنشاد الشعر والطرب والأُنس(٥). ومن

(١) الصابئ ، أبي الحسين هلال بن المحسن ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ،(مط البابي الحلبي، مصر ، د.ت) ، ص٩٥ ؛ خودابخش ، الحضارة الاسلامية ،ترجمة وتعليق:علي حسني ، الخربوطلي (دار احياء الكتب العربية ، د.م ، ١٩٦٠ م) ، ص١٨٨ ، هامش (٢) .

(٢) دي طرازي ، خزائن الكتب ، م٢ ، ص٥١٣ ؛ الديوه جي ، بيت الحكمة ، ط٢ ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، (د.م ، ١٩٧٢ م) ، ص٣٨ .

(٣) حميد ، دير القصير ، ص٥٧ .

(٤) قاشا ، لمحات ، ص٥٧ .

(٥) للمزيد من الاطلاع ينظر الشابشتي ، الديارات . وقد ورد ان الخلفاء العباسيين كانوا يختارون المناطق المجاورة للديارات النصرانية لانشاء قصورهم فيها . حيث الموقع المتميز . سوسة ، فيضانات بغداد ، (مط الاديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٦٣ م) ، ص٣٨ .

الملاحظ أن الفترة الواقعة بين خلافة السفاح (١٣٢ـ١٣٦هـ/٧٤٩ـ٧٥٤م) ، وحتى نهاية عصر المعتصم(٢١٨ـ٢٢٧هـ/٨٣٣ـ٨٤٢ م) تُعد من العهود الزاهرة في تاريخ نصارى العراق ، لما لاقوه من التسامح في ممارسة شعائرهم الدينية ، وفي بناء الكنائس والديارات[١] . فكان الخليفة المنصور (١٣٦–١٥٨هـ/٧٥٤ـ٧٧٥م) قد أحسن الى الرهبان ورؤساء البيع[٢] . ومما يؤيد حُسن علاقته بالأديرة النصرانية ورهبانها ، أنه حل ضيفاً في دير مارفيثون يوم خروجه لأختيار موضعٍ يبني فيه عاصمته الجديدة ، ويذكر أن رهبانه قد أكرموه كل الأكرام ، وأحتفوا به أحتفاءً كبيراً[٣] .

أما في عهد الخليفة المهدي (١٥٩ـ١٦٩هـ/٧٧٥ـ٧٨٥م) فقد أزدهر بناء الكنائس والديارات ،وينقل لنا المستشرق لسترنج ذلك قائلاً : ((**إن النصارى في حكم الخلفاء كانوا يتمتعون بتسامح تام ، يملكون أديرة ، عديدة فكان في محلة الروم دير كبير شيد في عهد المهدي ، وفي الكرخ على الجانب الغربي من دجلة دير العذارى ، ودير درتاو، ودير القباب ، وفي شمالي المدينة دير شموني ، وفي غربيها ديران أحدهما دير حدياب الواقع على ضفة نهر كرخايا ، وكان يعرف بدير سرجيوس ، وثانيهما دير الثعالب ، وفي شرقيها ما عدا دير الروم خمسة أديرة منها ديران خارج باب الشماسية وهما دير درمالس ، وفي شمال هذا الموضع دير سابور،وعلى مسافة أربعة فراسخ من بغداد دير مارجرجس ، وقرب المحلات الجنوبية التي تحت قصور خلفاء الدير القديم أو دير الزندورد ...**))[٤].

كذلك الحال في عهد الخليفة الهادي (١٦٩ـ١٧٠هـ /٧٨٥ـ٧٨٦م) فقد أتسم عهده بالتسامح مع النصارى ، حيث سمح لهم بأحداث الكنائس والأحتفال بأعيادهم[٥]. وكانت مراسيم هذه الأعياد غالباً ما تقام في الديارات[٦].

---

(١) ديورانت ، قصة الحضارة ، ج١٣ ، ص١٣٢ .

(٢) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٦٩ .

(٣) الطبري،تاريخ،ج٩، ص٢٤١ ؛ ابن الاثير ،الكامل، ج٥،ص٢٠٧ ؛اسحق،مدارس العراق،ص٨٤ .

(٤) لسترنج ، كي ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، تعريب : بشير يوسف فرنسيس ، (د.مط،بغداد،١٩٣٦) ، ص١٠٨ ، ١٨٤،١٨٠؛ اسحق ، احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، (مط شفيق ، بغداد ،١٩٦٠)، ص٧٧ ؛ مصطفى ، المدن في الاسلام ،(د.مط ، د.م ، ١٩٨٨م) ، ج٢، ص٣١٣ ؛ قاشا ، لمحات ، ص٥٩ .

(٥) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٥٦) ، ج٢ ، ص١١٥ .

(٦) الطريحي ، الديارات والامكنة ، ص٥١ .

كما مثلت الديارات بدورها موقعاً يرتاده بعض الخلفاء العباسيين في مناسباتهم وأعيادهم فقد نزل الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩ م)يوماً بدير زكى ، على ضفة نهر البليخ ، فأستطابه ، وبر أهله من الرهبان(١) .ومثل عهده جانباً أخر من الجوانب الأيجابية في بناء أماكن العبادة النصرانية ، فيذكر فتال (**Fattal**) : **((أن الرشيدسمح ببناء الكنائس والأديرة،وكانت زوجته زبيدة(أم الأمين)قدساعدت سرجوس أُسقف البصرة ليبني كنائس فيها،وقد حصلت من زوجها على هذا في السماح للنساطرة ليعيدوا بناء صوامعهم الماثلة للأنهدام،وأنها كانت تعطي للنساطرة والكاثوليك،الهدايا من الصلبان والذهب والفضة،وكذلك الراهبات في أعياد الغفران))**(٢)

ومما يذكر أيضاً أن زبيدة كانت تقرب النصارى وتكرمهم وتستخدمهم ، وكانت تشاركهم في أعيادهم فيذكر أنها شاركت في (أعمال الشعانين)(٣)، وحصلت كذلك على الأذن بترميم أحد الأديرة – لم يرد أسمه – وسمح لها الرشيد بتوسيع هذا الدير ، وجدد طيماثاوس بناء دير كليلشوع الذي سمي بدير الجاثليق بعد أنتقاله اليه(٤).

وكان الرشيد غالباً ما ينزل في دير العذارى بسر من رأى وقيل إنه كان يستفسر عن أسباب تسميته(٥). كما نزل في أديرة أخرى كدير يقال له الُعمر(٦).وهذا يوضح أن الرشيد وزوجته كاناعلى جانب كبير من التعاطف والتسامح تجاه الرهبان ودياراتهم .

وفي عهد الخليفة الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٩-٨١٣ م) نال النصارى الحرية الواسعة في ممارسة عقائدهم الدينية وشعائرهم فيقول فتال (**Fatta**) : ((**ويعتبر عصر الأمين إزدهاراً بالنسبة إلى بناء الكنائس والصوامع المسيحية**))(٧). أما عهد المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ/٨١٣-٨٣٣م) فيعتبر عهد إصلاح بالنسبة للكنائس القديمة(٨). وكانت

---

(١) برصوم ، اللؤلؤ المشور ، ص٥١٠ ؛ قاشا ، لمحات ، ص٥٧ .

(٢) قاشا ، لمحات ، ص٥٧.

(٣) وهو من أعياد النصارى الذي احتفل به المسلمون مع النصارى ، وكانوا يحتفلون به سوية . الطريحي ، الديارات والأمكنة ، ص٧١ .

(٤) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٧٣ ؛ فييه ، احوال النصارى في خلافة بني العباس ، نقله الى العربية : حسني زينة ، (دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٠) ، ص٩٦ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات ، الاعيان ، ص٤٥٦ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، م٢، ص٤٢١ .(ويذكر فييه ان هذا الدير هو دير يونان الراهب تلميذ أوجين) احوال النصارى في خلافة بني العباس ، ص٩٢ .

(٧)نقلاً عن قاشا ، لمحات ، ص٦١ .

(٨)قاشا ، نفسه ، ص٦١.

سياسته تشير الى التساهل الكبير في حرية العقيدة ومنها النصرانية ، فيذكر أن الكنائس التي شُيِدَت أثناء فترة خلافته كانت أحدى عشر ألف كنيسة ، فعلى الرغم من المبالغة في هذا الخبر ، الا أنه يشير الى مدى تسامحه في بناء الكنائس والديارات . ((**وكان البطاركة والأساقفه والكهان يتمتعون بأمتيازات وحصانات كاملة ، كالتي يتمتع بها أمثالهم في الدولة المسيحية التي تدين بدينهم**))[١].

وكان الخليفة المأمون من رواد الأديرة النصرانية ، فنزل في دير ميخائيل (الأعلى) جوار الموصل ، أثناء مروره بالموصل – في خروجه للشام – لطيبه ونزهته ، وصادف أثناء ذلك عيد الشعانين ، وكان مجلسه في موضع غاية الجمال مشرف على دجلة ، ومحاط بالبساتين ، وكان الدير قد زين بأحسن زينة ، فخرج رهبان الدير وقساوسة إلى المذبح وحولهم فتياتهم حاملين بأيديهم المجامر ، متقلدين الصلبان ، وتوشحوا بالمناديل المنقوشة ، فراق إلى المأمون ذلك وأستحسنه وعطف إلى المأمون من كان معهم من الجواري ، والغلمان وفي يد كل منهم تحفة من رياحين ، وحمل جماعة منهم الكؤوس التي أحتوت على أنواع الشراب ، وكان يأخذ من هذا ومن هذا تحية ،وكان شغوفاً بهم ولم ينقطع الغناء في أرجاء الدير ، ثم أمر من معه وصائفه المزنرات[٢] فأُخرج إليه عشرون وصيفة ، يضاهي حسنهن البدور ، يلبسن الديباج ، وقد علقن في أعناقهن صلبان الذهب وفي أيديهن الخوص والزيتون ... فطرب لذلك[٣].

وكان الخليفة المأمون قد تسامح مع النصارى في تجديدهم للديارات ، حيث أمر بتجديد دير مارفيثون في الجنوب الغربي لبغداد [٤] .

كذلك مثلت الديارات النصرانية في العصر العباسي أماكن لإيواء المسافرين و المجتازين ومحطات لأستراحة المارة من الخلفاء وغيرهم ، ومنها دير مار ماري بسرمن رأى ويذكر أن الفضل بن العباس بن المأمون قد مر به مع الخليفة المعتز ويونس بن بغا بعد أن أنقطعوا عن موكب الصيد ، وشكا المعتز العطش ، فأخرج لهم

(١) علي ، سيد امير ،مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي،نقله الى العربية:رياض رأفت، (مط لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ،١٩٣٨) ،ص٢٣٦؛ديورانت،قصة الحضارة،ج١٣،ص١٣٢ .

(٢) الزنار : وهو ما يشد على وسط المجوسي والنصراني ، وفي التهذيب ما يلبسه الذمي يشده على وسطه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ٤١٩ .

(٣) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص١١٣-١١٤ ؛ فييه ، الآثار المسيحية ، ص١٦٣ ؛ الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ج١ ، ص ٢٣٦-٢٣٧ .

(٤) فييه ، احوال النصارى ، ٣٣٦ .

الديراني ماءً بلرداً وألذ أنواع الطعام ، وجاء اليهم بأطيب أشنان[١]، وأحسن آلة ، وكان لهم في مجالسة الديراني ساعة من الفرح والمرح،فأمر له بخمس مائة ألف درهم ، وقيل إنه قبلها شريطة أن يجيب أمير المؤمنين دعوته مع من أراد ، فوعده بذلك وعند ذهابهم إليه أنفق عليهم المال كله ، فوصله المعتز بمثله وانصرفوا[٢].

ومن الديارات الأخرى عمر مار يونان بالأنبار ، وقيل فيه : ((**من أجتاز بالأنبار من الخلفاء ومن دونهم ينزله مدة مقامه**))[٣] .ومثله دير باعربا بين الموصل والحديثة .نزل فيه سيف الدولة الحمداني[٤]، والدير الأعلى بالموصل ((**من أجتاز بالموصل من الولاة نزله**))[٥].

يتبين من خلال هذا البحث أن العصر العباسي قد شهد تطوراً كبيراً في طبيعة المعاملة الطيبة مع الديارات وأهلها ، فعكست جوانب أثرت إيجاباً على المجتمع الديري حيث حصل الرهبان على الأمان من الدولة العربية الأسلامية، فلم تعد الديارات تشيد في المناطق النائية بل كانت في مراكز المدن وبين زحمة السكان،ونتج عن ذلك ما أثر سلباً على الرهبان وبعض أبناء المجتمع الأسلامي، فكيف يمكن أن نتصور عبادة الرهبان في دياراتهم بعد أن صار الدير ملاذاً للهو والطرب وشرب الخمر ، ويقول الزيات: ((**وندر أن ديراً في الإسلام من الديارات المشهورة لم يعرج عليه الخلفاء والملوك في غزواتهم وتنقلاتهم ولا سيما في أسفارهم إلى الشام ورجوعهم منه إلى العراق**))[٦]. ويعلق على أقبال الخلفاء المسلمين إلى الديارات في صفحات لاحقة قائلاً : ((**فهل كان كل هؤلاء الخلفاء يشربون تحت أيدي النصارى . أم هل كان النصارى مسؤولين عن شهوات ملوكهم**)) [٧] .

وعلى الرغم من ذلك الوصف في إقبال بعض الخلفاء المسلمين الى ديارات النصارى وتمتعهم بمجالس اللهو وشرب الخمر هناك،الا أن هذه الصورة تعد صورة مشوهة وقد انتبه أبن خلدون الى ذلك حيث برأهم من معاقرة الخمر والأقتصاربهم على شرب نبيذ

(١) عيدان نباتية للاغتسال .

(٢) الخطيب البغدادي،ابو بكراحمد بن علي ،تاريخ بغداد مدينة السلام،(مط السعادة ،القاهرة ،١٩٣١م) ص١٤١ ؛الاصفهاني ،الاغاني ، ج٨ ، ص١٨٥ ؛ زيات،الديارات النصرانية ، ص٣٠، ٤٤، ٥٤ .

(٣) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص ١١٣ .

(٤) العمري ، مسالك الابصار ، ص٣٠١ .

(٥) الشابشتي ، الديارات ، ص٧٥ .

(٦) زيات ، الديارات النصرانية ، ص٣١.

(٧) زيات ، نفسه ، ص ٣٨ .

التمر[١] كما صرح المؤرخون والأُدباء في مناسبات مختلفة إلى أن الشراب الذي كان يتناوله الخلفاء في مجالسهم لاسيما في أسفارهم وزياراتهم لتلك الأديارالنصرانية كان عصيرالكرم.والذي أطلق عليه أبن المعتز في شعره((شراب القربان))،ولعل ذلك لايحتمل تاويلاً غيرذلك لأن إبن المعتز كان أدرى من إبن خلدون بما كان يشربه أهل بيته[٢].

وُيعتقَد أن الخلفاء كانوا يتناولون هذا الشراب في المناسبات فقط وليس للأنغماس والتلذذ به . ومن الملاحظ لِضاً أن هذه الديارات كانت أماكن لإلقاء الشعر واللهو ولو تصفحنا كتاب الديارات للشابشتي (ت ٣٨٨هـ /٩٩٨ م) ومسالك الأبصار لأبن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ /١٣٤٨م) لوجدنا حالة الديارات في العراق خاصة في العصر العباسي ، كانت تعج بالشعراء والظرفاء ، وكثرة ماقيل فيها من الأشعار ، فيروي الشابشتي عن دير درمالس مثلاً : ((**إنه كان يجتمع فيه نصارى بغداد ، ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم ، ويقيم الناس فيه الأيام ، ويطرقونه في غير الأعياد**)) ولأبي عبدالله بن النديم فيه[٣]:

يا ديَر درمالسَ ما أحْسَنَك   ويا غزالَ الديرِ ما أفتنك

كذلك عن دير الخوات (دير الراهبات) بعكبرا الذي كان يسكنه مترهبات متبتلات وعيده الأحد الاول من الصوم الكبير ، يجتمع إليه النصارى والمسلمون ، وهذا العيد يكون ليلة الماشوش[٤]. وهو من معادن الشراب ، ومنازل القصف ، ومواطن اللهو وللناجم[٥] أبي عثمان فيه[٦].

أحَّ قَلبي من الصبابة أحِ   من جوارٍ مُزَيَّناتٍ مِلاح
وفتاةٍ كأنَّها غصنُ بانٍ   ذاتِ وجهٍ كمثلِ نورِ الصباحِ

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٥-١٦ .

(٢) زيات ، الديارات النصرانية ، ص٣٩ .

(٣) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٤ .

(٤) وهي ليلة تختلط النساء بالرجال ، فلا يرد أحد يده عن شيء ، ولا يرد عن شي . الشابشتي ، نفسه ، ص٩٣-٩٤ .

(٥) الناجم : سعد بن الحسن ابن شداد السمعي يكنى عثمان ويعرف بالناجم ، شاعر كان من رواة شعر ابن الرومي . الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ، ص١٣٣ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج١، ص١٧٠ .

(٦) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٩٣-٩٤ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص٣٧١ ؛ ابن ابي اصيبعة، ابو العباس موفق الدين أحمد بن قاسم الخزرجي ،عيون الانباء في طبقات الأطباء ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٦م) ، ج٤ ، ص١١٥ .

أهلَ ديرِ الخوات بالله ومى   هل على عاشقٍ فضّ ٍمن جُناح

ويذكر في وصف الديارات أنذاك : ((**وهكذا كانت الأديرة مصدراً لنغمتين كان الناس يسمعونها في ذلك العصر– العباسي– نغمةٍ حزينةٍ زاهدة تدعوا إلى الفرار من الحياة وأرتقاب الموت ، ونغمة مرحة لاهية تدعوا الى أحتساء الكأس الى أخر قطرة من قطراته**))(١).

ويعلق البعض سبب تسرب عوامل الضعف الى بعض الديارات الى سعة أنتشارِها وبالتالي أزدياد ثرواتها وأتساع أملاكها بفضل الهدايا والأوقاف ، حيث انشغل رؤساء الديارات بإدارة الأملاك دون العبادة ، كما دخلها الكثير من الرعاع والجهال والكسالى والمجان(٢).

ولعل المطالعِ لما جاء في كتب الأدب من شعر يصف أحوال الديارات أو رهبانها ، ولا سيما أشعار الغزل بالرهبان والراهبات وفي منادمة هؤلاء الشعراء الذين كانوا يحضرون صلواتهم ويتلذذون بمجالستهم لأجل التقرب منهم ، أذ يتبادر الى الذهن بأن تلك الديارات كانت عرضة للأنتهاك لمن شاء ذلك ، وفقدت بذلك أماكن العبادة قدسيتها . وهذا بعيد عن التصديق خاصة اذا ماعرفنا أن أغلب الشعراء الذين جاءوا على تلك الاوصاف هم من شعراء الخلاعة والمجون والتهتك ، وإن شعرهم هذا لا يخلوا من الطرافة والتلذذ والتطريب للسامعين .

ومهما يكن من أمر فإن أعداد الديارات قد ازداد بشكل ملحوظ في فترة الخلافة العباسية ، ويتبين ذلك من خلال عقد مقارنة بين ما ذُكِر من ديارات في كتاب الديارات للشابشتي(ت٣٨٨هـ) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)،وللمزيد ينظر: الملحق رقم (٢) و(٣) .

---

(١) امين ، ضحى الاسلام ، ط١٠ ، (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٣٥١ .

(٢) شيخو ، النصرانية وآدابها ، ق٢ ، ص٧٩ .

التطورات التي شهدتها أديرة العراق خلال العصر العباسي

بعد أن كانت الديارات أماكن خالصة للعبادة ، أصبح بعضها بمرور الزمن أماكن للمجون ومن يهوى اللهو والطرب ومقاماً لأهل البطالة والخلاعة ،والقادمين طلباً لصاحبات الوجوه الحسنة[١] . فقد أصبحت الديارات أماكن لأحتساء كؤوس الخمر ، ففيها الخمر المعتق. ومنها ما أشتهرت بجودة خمرها . لذا باتت مقصد لمحبي الخمر وتجارها ، وبحكم وقوعها كمحطة للقوافل حيث ينقل منها زقاق[٢] الشراب الى مختلف الأنحاء ،ومن هذه الديارات،دير العذارى الواقع بجانب العلث بين سامراء وبغداد ، ودير زرارة الواقع بين حمام أُعين[٣] والكوفة، ولايوجد في حاناته شراب يماثل شرابها[٤]. ودير أشموني في قطربل[٥]، ودير قوطا بالبردان[٦] ، على شاطىء دجلة ، ودير حنا في الحيرة [٧].

ومن الأديرة ما أشتهرت بحاناتها ، منها دير سابر الواقع الى الجانب الغربي من دجلة في بقعة ذات بساتين كثيرة ، وفيه حانات وخمارون[٨]، ودير جرجس الواقع بالمزرفة[٩]، ودير سرجيس الواقع بطيزناباذ[١٠] ((**الذي كانت أرضه محفوفة بالنخل**

---

(١) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٤١ .

(٢) الزقاق : اناء من جلد يتخذ لحفظ الخمرة وحمل الماء . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ص ، مادة (زق) ؛ السقاف ، الاوراق ، ص٦٣ .

(٣) الشابشتي ، نفسه ، ط٢ ، اماكن متفرقة ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج١، ص٢٥٩، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ؛ الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ج١ ، ص٢٣٦ .

(٤) علي يمين من قصد الكوفة من بغداد . السقاف ، الاوراق ، ص ١٥١ .

(٥) قُطْرُّبل : بالضم ثم السكون ثم الفتح ثم الضم مع التشديد ،قرية بين بغداد وعكبرا بالجانب الغر بي من دجلة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٤ ، ص٦٨ .٦٩ ؛ السقاف ، الأوراق ، ص ٦٥ .

(٦) البَردان ، بفتح الباء والراء ، قرية من قرى بغداد ، وهي من نواحي دجيل . ياقوت الحموي ، نفسه ، م٢ ، ص٦٤٥ ؛ السقاف ، نفسه ، ص١٠ .

(٧) البكري ، معجم ماستعجم ، ج٢ ، ص٥٧٨ .

(٨) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٥٤ ؛ العمري ، المصدر السابق ، ص٢٧٩ ؛ وهو من اماكن القصف والنزف ، والقصف : الأكل والشرب و اللهو . والنزف : السكر . السقاف ، نفسه ، ص٣٧ .

(٩) المزرفة : قرية جميلة ذات بساتين وكروم فوق بغداد وعلى دجلة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٤ ، ص٢٦٠ ؛ السقاف ، نفسه ، ص٦٨ .

(١٠) طيزناباذ : بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق . ياقوت ، نفسه ، م٣ ،ص٢٧٦.٢٧٧ ؛ السقاف ، نفسه ، ص١٣١ .

والكروم والشجر والحانات والمعاصر))[١]،ودير أشموني الذي وصف بأنه ((**لايبقى أحد من أهل التطرب واللعب الاخرج إليه ... ويغمرون شطه... وأكنافه وديره وحاناته**))[٢]، وكان الشعراء أكثر الناس ترددا ً عليه ، ولاسيما في المواسم والأعياد ، و قال فيه جحظة البرمكي[٣]:

سَقْياً لأشموني ولذاتِ ها والعيشِ فيما بين خَلِتِ ها
سَقياً لأيامٍ مَضَتْ لي بها ما بينَ شَطيها وحاناتِ ها[٤].

ودير قوطا الذي ذكر عنه : ((**أن الشراب هناك مبذول والحانات كثيرة**))[٥]، ودير زرارة الذي وصف بأنه ((**كثير الحانات والشراب**))[٦]، ومن ديارات النساء الذي أشتهر بحاناته دير العذارى[٧].

ويشار إلى تخصيص الديارات بأنواع الشراب : ((**ندر أن يكون دير من الأديار غير مختص بنوع من الأشربة يتجر بها. ومنها في الغالب كان أكثر أنتقاع الرهبان، في ماخلا الرياحين والأزهار**))[٨].وهذا يفسر أن بعض رهبان الديارات كان همُّهم الوحيد المردودَ المادي ، ومقدار الدخل الوارد إلى الديارات ، بغض النظر عن إخلالهم بالناحية الدينية والمكانة التي كانت تحتلها الديارات العراقية سابقاً .

أما إدارة الحانات فيظهرأن بعضها كان بيد رجال الدين كالقسس والرهبان ، مثل دير حنا الذي كان يديره (مارعبدا)كما اسلفنا سابقاً ، ودير كعب الذي دخله الشاعر المخضرم مطيع بن اياس وأكل فيه ((**ودعا الراهب فوهب له دينارين...فاخرج له– الراهب – شراباً فجلس يشرب ويحدث الراهب ...**))[٩]وقد ترك شعراء العصر العباسي وصفاً دقيقاً ً لهولاء الرهبان الذين كانوا يقومون بمهمة إدارة الحانات ، وللَحَسنِ أ بن هانىء

---

(١) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٢٣٣ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ص٢٤٨ .

(٢) الشابشتي ، نفسه ، ط٢ ، ص٤٦ .

(٣) جحظه : شاعر رقيق واسمه احمد وابوه جعفر بن موسى يحيى بن خالد البرمكي ، ولد سنة ٢٢٤ هـ ونشأ ميالاً للغة والأدب والفلك والطرب فأجادها وألف فيها وكان كثير النوادر ظريف العشرة ، حسن الصوت نادم الخلفاء . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، م١ ، ص١٢٣-١٣٣ .

(٤) السقاف ، الاوراق ، ص٦٦ .

(٥) الشابشتي ، الديارات ، ط٢ ، ص٦٢ .

(٦) الشابشتي ، نفسه ، ص٢٤٧ .

(٧) العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص ٢٥٨ .

(٨) زيات ، الديارات النصرانية ، ص٤٣ .

(٩) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٣ ، ص ٣٠٧ .

(أبو نؤاس) في ذكره لدير الأكيراح ، وكان ساقي الخمر في حانتهراهباً يلبس مدرعة صوف فوق مسح الرهبانية ، فيقول[1]:

ياطَيبة ، وعتيقَ الراحِ تُحفتهُم   بكلِ نوعٍ من الطّاساتِ رَحْراحِ
يُسْقيكَها مُدَمَّجُ الخِصرَينِ ذو هَيَفٍ   أخو مدارِعِ صوفٍ فوق أمساحِ

وقد ورد أيضاً بيع بنات القساوسة للخمر في الديارات[2]، ويُذكر أيضاً أن الأخطر من ذلك هو بيع الراهبات للخمر، ويكون ذلك احياناً في ظلمات الليل وهو أشد قبحاً من بيع بنات القساوسة . ومن الأبيات التي وردت شاهدة بمثل هذا التجاوز والتسامح قول الشاعر[3]:

وراهبةٍ طرقناها بليلٍ،   ودون من ارها أرجٌ يفوحُ
فهَبَّتْ في الظلامِ الى مُدامٍ   كأن شعاعَها قَبسٌ يلوحُ
وحَيَّتْنا بصافيةٍ شَمولٍ،   كما يَترقرقُ الدمعُ السَفوحُ
كأَنا قد سلَبنا الديكَ عَيْناً   فقَام من الكَرى فَزِعاً يصيحُ

وبالرغم من ذلك فقد كانت أكثر حانات الديارات تضمن لبعض الخمارين من عامة النصارى[4] فهم ((**أسلس مقاداً وأقل عناداً في الدفاع عن حوزة الأدب والعفة . فكانوا لايرون بأساً في التوسل بكل وسيلة لأجتذاب الشبان والمجان وعشاق بنت**))[5]، فأختاروا السقاة والمغنّين من أحسن الناس وجهاً وقداً سواءً كانوا غلماناً أو جواري ،وغالباً ما كانت توكل إدارة الحانة إلى أجمل الفتيان وأحذقهم في الشراب ، أو من الذين برعوا في الحث على التلذذ والطرب ومثال ذلك ما كان في حانة دير اللج في الحيرة ، وقد ورد في ذلك : [6].

بتنا بَديرِ اللّجِ في حانةٍ   شرابُها في الكَأْسِ مَكْبوبُ
يدُيرها ظَبْيٌ هضيم الحَشَا   يحُبه الشُبَّانُ والشيبُ
حتى إذ ماالخَمرمالَتْ بِنا   جَرتْ أمورٌ وأَعاجيبُ .

---

(١) ابو نؤاس ، الديوان ، ص١١٠ ؛ وانظر : العمري ، مسالك الابصار ، ص٣١٨ .

(٢) زيات ، الديارات النصرانية ، ص٦٦؛ ومما يذكر أيضاً أن سكب الراهبات للخمر كان مصدراً من مصادر الالهام للشعراء . فييه ، احوال النصارى ، ص١٦٩ .

(٣) زيات ، نفسه ، ص٦٧ .

(٤) امين ، ضحى الاسلام ، ط٢، ص٣٥٠ .

(٥) زيات ، الديارات النصرانية ، ص٦٧ .

(٦) العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٣٢٦ ؛ زيات ، نفسه ، ص٦٧ .

ومما سبق يتضح أن أديرة العراق كانت ولا تزال مأوى للعباد من النصارى ،ومنبعاً من منابع الزهد والتقوى ، ولكن بمرور الزمن أصبحت بالأضافة الى ذلك أماكن للنزهة ومأوى للشعراء والمجان ، حيث أصبحت أماكن لأحتساء الخمر ، ومنتديات لتنظيم الشعر الجميل ، نظراً لعذوبة هوائها ، وإحاطتها بالبساتين والحدائق ، التي توحي للشعراء والمجان أسباب الراحة والمتعة والمرح[(١)].

كما أصبحت ملجأ لبعض الهاربين من سوء الأوضاع السياسية ، والخارجين عن السلطة [(٢)]،وملاذاً لقطاع الطرق فروى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ /٨٦٨ م) : ((**أن قوماً من بني تغلب أرادوا قطع الطريق على مال السلطان ولما علموا تتبع السلطان لهم أختفوا في دير العذارى**)) [(٣)].

ولم تخل الديارات من اللصوص والفُسَّاق ، الذين عاثوا فيها الفساد ، بأرتكابهم المحرمات والكبائر[(٤)].ومع هذا فلم يكن اللهو والأُنس هو الباعث الوحيد لزيارة الأديرة ، إنما كانت من أماكن للأستشفاء من الأمراض على أيدي الرهبان ، أو للنقاهة ، أو لإعتقادهم بالبركة والبر الذي يضعه الراهب على المريض ليشفيه مما يعانيه من الأمراض[(٥)].ومن هذه الديارات، دير يونس ، ودير الكلب ، ودير القيارة ،ودير باطا[(٦)].

غير أن الديارات النصرانية لم تبق على حال واحد ، فقد تعرض بعضها للخراب والإندثار ،بسبب ما تعرضت له من ظروف طبيعية أو سياسية ، فدير قنُّى خُرِبَ بخراب النهروان[(٧)]. ومما يذكر أن هذا الدير قد تعرض في فترات سابقة للتخريب – أيام الملك الفارسي فيروز (٤٥٩هـ/٤٨٤ م) الذي رام محق النصرانية ، فصار يهدم البيع والديارات ، وقد أصابت شظايا هذه النكبة دير قنُّى ، فأبادت قسماً من معالمه[(٨)]، وأتلفت

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٢١٤ ؛ العمري ،مسالك الأبصار ،ج١ ، ص٢٦٠ ؛ أبن أبي اصيبعة ، ابو العباس موفق الدين أحمد بن قاسم الخزرجي عيون الانباء في طبقات الأطباء ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٦م) ، ج٢ ، ص١٧٠ ؛ امين ، فجر الاسلام ، ج١ ، ص٣٥ ؛ فييه ، الآثار المسيحية ، ص١٦٣.

(٢) العمري ، نفسه ، ص٣١٢.

(٣) الشابشتي ، الديارات ، ص١١٧ .

(٤) زيات ، الديارات النصرانية ، ص٦٠ ؛ مصطفى ، المدن في الاسلام ، ج٢ ، ص١٥٧ .

(٥) أبن أبي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص١٧٣ .

(٦) وجميع هذه الديارات في الموصل . ينظر : السقاف ، الاوراق ، ص١٢١ ، هامش(٢).

(٧) ياقوت ، معجم البلدان، ج٢، ص٦٨٧ ؛ عواد دير قنى ، ص١٩٧؛ سوسة،ري سامراء،ص٤١٣ .

(٨) ابن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٤٢ ؛ عواد ، نفسه ، ص١٩٧ .

مكتباته وحدائقه[١]. أما دير العاقول الذي أشار اليه الُعَمري في كتابه مسالك الأبصار ، في الثلث الأول من القرن الثامن الهجري (الرابع العشر الميلادي)قائلاً : إنه كان إلى جانبه قرية كبيرة ، وإنه يبعد عن المدائن بمسافة ١٢ فرسخاً . وقال أيضاً : إنه لم يعد يسمع أحد خبراً عن هذا الدير ومدينته ، وأغلب الظن أن المدينة سارت في طريقها الى الزوال ، كغيرها من المدن القريبة أو المجاورة لها ، لذا يعتقد أن الدير زال بزوال مدينته لا سيما بعد أن تعرضت المنطقة لفيضانات نهر دجلة المتتابعة التي كانت سبباً في محو معظم معالم العمران هناك . وأهم هذه المواقع دير العاقول[٢].فلم يبق له ذكراً الا في كتب التاريخ[٣].

ومن الديارات ما أندثرت بسبب تغير مجرى النهر.كما هو الحال في دير درتا ، ودير القباب ، اللذين تعرضا للإنجراف من جراء ذلك ولم يبق لهما اثر[٤].

اما دير الخوات فقد تعرض للزوال بعد أن((**دالت دولة سامراء فسمه قانون الحياة بالوهن وطفق نجمه يأفل ثم رَوَّعَهُ معاولُ التخريب زمن التفكك والأضمحلال**))[٥].

ومن الديارات ما تعرضت الى الخراب بسبب فيضانات الأنهار ، كما هو الحال في دير العذارى الذي أتت عليه دجلة بمدودها فأهلكته[٦].

ومن الجدير بالذكر أن أديرة واسط قد أندثرت بسبب تحول مجرى دجلة من مجراه الغربي المار بمدينة واسط الى مجراه الحالي المار بمدينة العمارة[٧].

(١) حبي ، المراكز السريانية الثقافية ، نشر في مجله المجمع العلمي العراقي العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، م٩ ، ص٤٧ . الا ان النساطرة قاموا بترميم الدير في العهد العباسي وظل عامرا بالرهبان الى عهد الفطريك ايليا الثالث (١١٧٦ – ١١٩٠ م) الذي جدده سوره ، وبعدا هذا التاريخ انطمس ذكره واضمحل ما كان فيه . ينظر : دي طرازي ، خزائن الكتب العربية في الخافقين ، م٢ ، ص٥١٣ .

(٢) سوسة ، ري سامراء ، ج٢ ، ص٤١٣ .

(٣)رؤوف ، دير العاقول ، ص٤٨ .

(٤) سوسة ، فيضانات بغداد ، ص٢٢٠.

(٥) السقاف ، الاوراق ، ص٨٣ .

(٦) العمري ، مسالك الابصار ، ص ٢٥٩ ؛ السقاف ، نفسه ، ص٨٥ .

(٧) الراجح ان هذا التحول حدث بصورة تدريجية في ق ١٠هـ / ١٦م . المعاضيدي ، واسط في العصر الاموي ، ص٧٠ .

ويرجع أحدهم أسباب تقليص الديارات في العراق لا سيما بعد أن أزدهرت في العصر العباسي ، إلى الفتن والحروب ، أو بسبب قلة الدعوات الرهبانية ، التي أثرت على تقليص هذه الديارات وأنحصرت بأعداد ضئيلة في شمالي العراق حتى أخذت بالزوال بمرور الزمن ويقول حداد : ((**وبقيت أديرة عديدة قائمة لا رهبان فيها**))[١].

اما لسترنج فيرجع أسباب أندثار الأديرة العراقية لاسيما الواقعة منها في مدينة بغداد الى الغزو المغولي الذي حدث سنة ١٢٥٨ م ، إذ لم يبق أثر لأي دير بعد هذا الغزو[٢].

(١) حداد ، كنائس بغداد ودياراتها ، (شركة الديوان للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٤) ، ص٢٦٨ .

(٢) لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ١٠٨ ، ١٨٠ ، ١٨٤ .

الفصل الرابع

الحركة العلمية والفكرية في الديارات النصرانية العراقية

الحركة العلمية والفكرية في الديارات النصرانية العراقية

مدارس الاديرة النصرانية

تعتبر الأديرة النصرانية من المراكز الثقافية المهمة بالنسبة للنصارى ، إذ لم تقتصر الرهبنة على المسائل الدينية فحسب ، بل أضحت الديارات منبراً للعلم والثقافة ، فقد صاحبت المدارس النصرانية العراقية الكنائس والديارات ، وكانت بمثابة ملاحق لابد من توفرها، فهي تمثل أماكن لتعليم القراءة والكتابة والواجبات الدينية والعديد من العلوم المعروفة آنذاك . ويطلق على المدارس الملحقة بالأديرة (أسكول) وهو أسم سرياني مأخوذ عن اللفظة اليونانية[١]، ومنه أخذ العرب اللفظ (أسكول) فكان للدلالة على المدارس النصرانية أوالمدارس الملحقة بالأديرة[٢]، وكانت أغلب هذه المدارس لاهوتية دينية[٣].

وقد أخذ الأساقفة العراقيون على عاتقهم مهمة تشييد الكنائس والديارات في المدن والقرى التي كانت المدارس أحد مؤسساتها المهمة لتعليم رعاياها أصول القراءة والكتابة وسائرالعلوم،حيث أُعتبرت الأشغال العقلية في الديارات أعظم حماية للنصارى إذ توفر لرهبانها أسباب السكينة بين مختلف الكتب والمدرسين الأفذاذ[٤]ويُ ذكَر أن أبناء القبائل العربية كانوا يذهبون إلى صوامع الرهبان ودياراتهم ليتعلموا القراءة والكتابة[٥].

وتعتبر مدارس المدائن وكسكر والحيرة من أهم المدارس النصرانية التي أُسست في العراق لنشر العلوم الدينية والدنيوية وتعتبر نموذجاً لبقية المدارس النصرانية كمدارس عين التمر[٦]والأنباروعاقولا،وقد أُسست مدارس المدائن في الفترة السابقة للإسلام،ويعود الفضل في تأسيسها إلى الجاثليق(إبراهيم الكسكري ت٥٨٦م)،والجاثليق أحاد ابوية(ت٢٢٠م) والجاثليق شلحوفا (ت٢٤٤م) الذي بذل جهداً في بنائها وتوسيع صفوفها[٧]،وصب

---

(١) اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٦٤ ، هامش (٥).

(٢) مايرهوف ، ماكس ، من الاسكندرية الى بغداد ، ترجمة :عبد الرحمن بدوي ، ط٢ ، نشر: دار النهضة العربية ، (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص٥٣-٥٤ ؛ بدوي ، التراث اليوناني ، ص٥٤ .

(٣) بدوي ، نفسه ، ص٥٣ .

(٤) تسران ،خلاصة تاريخية ، ص١٥٦-١٧٥ ؛ جيبون،اضمحلال الامبراطورية الرومانية،ص٣٣٤.

(٥) تاريخ نصارى العراق ، ص٥٢ .

(٦) عين التمر: بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٤ ،ص١٧٦.

(٧) اسحق ، مدارس العراق قبل الاسلام ، ص٥٧ ؛ العلي ، معالم العراق العمرانية ، ص١٠ .

اهتمامه بها[١]، لتكون مكاناً للعلم إلى جانب الدين . والمعروف أن المدارس والأديرة تُعد مراكز التعليم والتدريب الأساسية التي تُخرج قادة للكنيسة ولا سيما النسطورية أواخر القرن السادس الميلادي[٢].

وكانت هذه المدارس في وضع متقلب بين الأهتمام، والإهمال، حتى تفطرك (ايشو عياب الثالث ٦٥٠-٦٦١م/)، أذ قام ببناء العديد من المدارس ، فكان بدوره ينشد الى تعليم جميع الطلبة ، وأن يكون الكتاب أنيساً للرهبان للتعرف على العديد من العلوم والمعارف[٣] .

وشهدت المدارس مزيداً من الأهتمام في أيام الفطريك (حنا نيشوع) الذي كتب مقالتين في المدارس وأهميتها[٤]، تخص أحدى هاتين المقالتين دور المدرسة في التعليم ودورها في التربية[٥]، كما لقيت مدارس المدائن أهتماماً كبيراً في أيام (الفطريك بيثون) الرامية الى تشجيع العلم والعلماء ، إذ كانت سياسته دافعاً لبعض الأساقفة ((في عمارة البيع والاسكولات))[٦].

وكانت مدرسة (سلوقية)أهم مدارس المدائن ، فهي بمثابة كلية دُرِسَت فيها العديد من العلوم[٧]. أما مدارس كسكر فهي تأتي بالمرتبة الثانية بعد مدارس المدائن ، ومن الذين أهتموا بها (ثيودور الكسكري) وهو من أهل كسكر أخذ طريقتة في الرهبنة من باباي في مدينة نصيبين الا أنه بعد عودته من هناك بنى ديراً ومدرسة[٨]، وكان قد أشتغل مفسراً بها[٩]، وكان قد ألف كتاباً أطلقَ عليه أسم (اسكوليون) وهو يضم العديد من المعلومات الفلسفية واللاهوتية والجدلية[١٠].

---

(١) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص١٢ ؛ نصري ، دخيرة الاذهان ،ج١، ص٥٦ ؛ ادي شير كلدو واثور ، ج٢ ، ص٨ .

(٢) G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest , p. 363 .

(٣) المرجي ، الرؤساء ، ص٧١ .

(٤) ادي شير ، كلدو واثور ، ج٢ ، ص٢٩٧ .

(٥) البيرابونا ، اداب اللغة الارامية ، ص٣٠٠ .

(٦) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٦٦ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٦٤ .

(٧) اسسها الجاثليق مار آبا الكبير (٥٤٠-٥٢٢م) . ينظر : ادي شير ، كلدو وآثور ، ج٢ ، ص١٧٥-١٧٦ .

(٨) G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest , p. 361

(٩) البير ابونا ، اداب اللغة الارامية ، ص٣٠٥ .

(١٠) ادي شير ، كلدو وآثور، ج٢ ، ص٢٩٤ .

ومما أمتازت به مدارس كسكر هو أن المسؤولين فيها يمارسون نفوذاً على سائر أساقفة المشرق ، حيث يكون أسقفها هو النائب بعد وفاة (الجاثليق) الى أن يتم أنتخاب (جاثليق) اخر، وهذا يدل على أهمية كسكر[١] . وكان لنصيبين دورها في تعزيز العلم في مدارس كسكر، فبعد أن أُجبِرَ جريجوري (gregorey)الكسكري الى مغادرة نصيبين، أنشأ مدرسة التحق بها ٣٠٠ طالب في كسكر[٢].

أما الحيرة فقد أحتوت على العديد من المدارس وكانت كبقية مدارس النصارى لأنها أُنشئت في الاديرة وقد لعبت دوراً مهماً في خدمة الثقافة العربية قبل الإسلام وبعده فكانت قبل الإسلام تُدرس العلوم العربية والموسيقى الى جنب العلوم الدينية ، وكان (بهرام جور بن يزدجر)ـ الملك الفارسي ٢٧٦ـ ٢٩٣م . من الذين تلقوا العلم فيها[٣]. وتعلم عدي بن زيد العبادي (٦٠٤م) شاعر الحيرة النصراني العربية فيها حتى غدا من أكتب الناس فيها ، ويذكر أنه قرأ العديد من الكتب العربية والفارسية[٤].

وكان إبراهيم الذي دعاه ايشوعياب الثاني (ت٦٤٥ م) لمساعدته في بعض الامور وأصبح فيما بعد مطراناً من المتخرجين من هذه المدرسة ، إذ عُرِفَ بذكائه وقابليته على حل المشاكل[٥]. مما يبين أن مدارس الديارات قد حفلت بالشخصيات البارزة التي كانت أعلاماً نصرانية يفخرون بها. ومن المدارس الديرية التي حصلت على شهرة واسعة مدرسة دير مارفيثون التي أنشأها الرهبان ، وهي من المدارس الكبيرة ، وعُدت بمثابة معهد من المعاهد العلمية الراقية حيث أنجبت العديد من الأطباء والمدرسين ، ويذكر ماري بن سليمان : ((لما بنى المنصور مدينته . في الكرخ . ونزلها الناس هدم سبريشوع . جاثليق النصارىـ ت ٨٣٩م/٢٢٥هـ تلك الأبنيةـ (أبنية دير مارفيثون) لاجل من تغلب عليها... ونصب اسكولا. مدرسة . وجمع المتعلمين))[٦].

أما مدرسة دير كليليشوع فهي أيضاً من المدارس التي تقدمت تقدماً كبيراً وحصلت على مكانة متميزة لا سيما في أيام الجاثليق سبر يشوع الثاني الذي اصدر سنة (٨٣٥م/٢٢١هـ) بيانين حرض بهما أبناء طائفته وعلى الأخص الرهبان على الجد في

---

(١) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص ٥، ٧ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ١٢٠ .

(٢)G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest. p . 360 .

(٣) البير ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ص ٢٩ ؛ مجلة النجم ، م٤ ، ص ٣٥٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٩٣ .

(٥) ادي شير ، كلدو و آثور ، ج١ ، ص٢٥٤ .

(٦) ماري ابن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٧٦-٧٧ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٧٨.

الدرس والمطالعة في الكتب والمحافظة على العلوم الكنسية ، وكان يتعلم في هذه المدرسة الرهبان ، وبعد الأنتهاء من دروسهم في مكاتب الكنائس يتقلدون منصباً دينياً ، أو يتمرسون في القضايا اللاهوتية لأن لتلاميذها الحق والنفوذ في إنتخاب الجثالقة والقيام بأحتفالاتهم الدينية(١).

ومن المدارس الواسعة الأخرى التي حصلت على شهرة واسعة مدرسة مار ماري الواقعة في دير قنُّى ومدرسة مارعبدا في نفس الدير ، وهي مدرسة جامعة عظيمة الشأن ، تولى مهمة التعليم فيها ستون مدرساً (٢). ويمكن أن تسمى بإصطلاح اليوم كلية جامعة(٣) ، فقد نبغ فيها العديد من العلماء والعظماء ومشاهير النصارى ، أشهرهم الجاثليق مار آحي(ت٤١٥م) والجاثليق مار يابالاها(ت٤٢٠م)(٤). وكانوا قد انتشروا في أصقاع البلاد ليبشروا بما تلقوه في مدرستهم الأولى(٥).وهذا يدل على أن المدارس لم تكن دينية خالصة بل شملت مختلف العلوم ، وإنها كانت مراكز ثقافية حتى بعد الفتح الاسلامي .

أما المدارس الديرية التي أشتهرت في الموصل ، فمنها مدرسة دير مار جبرائيل المعروف بالدير الأعلى الواقع على نهر دجلة جوار الطابية العليا المعروفة حالياً (باشطابية)(٦)، وتدعى هذه المدرسة (أم الفضائل)(٧). ومن المدارس الديرية الأخرى مدرسة ديرمار ميخائيل التي أقام دعائمها مار ميخائيل التي أخذت تتقدم في معارج العلوم حتى بلغت على شهرة واسعة ((واقام لها الرؤساء والمدبرين والمدرسين والقارئين والشمامسة والبوابين والطباخين والخبازين والخدم وعُيِنَ قارئان أحدهما يقرأ في النهار والأخر في الليل . وقد نبغ فيها العديد من الفلاسفة واللاهوتيون والفقهاء واللغويون والشعراء والأُدباء ممن حصلوا على شهرة واسعة))(٨).

---

(١) نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١ ، ص٣٩١ ؛اسحق ، مدارس العراق ، ص٨٠ .

(٢) ادي شير ، كلدو وآثور ، ج٢ ، ص٣٠ ؛ نصري ، نفسه ، ج١ ، ص٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٧ .

(٣) عواد ، دير قنى ، ص١٨٥ .

(٤) حبي ، كنيسة المشرق ، ص٢٥٨ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص١٥ ؛ قاشا، لمحات ، ص٨٧ ؛ دي طرازي ، خزائن الكتب ، م٢ ، ص٥١٣ .

(٥) عواد ، دير قنى ، ص١٨٥ ؛ اسحق مدارس العراق ، ص٦٣ .

(٦) نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١ ، ص١٩١ .

(٧) حبي ، الدير الاعلى وكنيسة الطاهرة ، ص١٢ .

(٨) الصائغ ، تاريخ الموصل ، ج١ ، ص١٣، ج٢ ، ص٤٤ ؛ اسحق مدارس العراق ، ص٦٧ ؛ الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ج١ ، ص٢٤٠ .

ومدرسة دير مارمتي التي أخذت تسير سيراً مطرداً حتى صارت من المراكز العلمية المهمة و أنتشرت فيها العلوم في العقد الثالث من القرن السابع الميلادي وأستمرت على هذا الحال حتى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، وتخرج منها بطريركان ، وستة مفارنة ، وثلاثون اسقفاً [١]. كما حازت مدرسة مار ايليا الحيري في الغرب من مدينة الموصل على شهرة كبيرة[٢]. أما مدرسة دير بيت عابي[٣]التي كانت من المدارس الدينية فَخُصِصَت للرهبان فقط فقد نبغ فيها العظماء والعلماء ولحرزت تقدماً كبيراً في تدريس الألحان والأناشيد الكنسية[٤].

ويذكر أن أغلب الديارات كانت مقتصرةقديماً على لغة واحدة وهي اللغة الكلدانية ، وعلى دراسة الكتب المقدسة والتاريخ الكنسي والفلسفة ، وقليل منها أهتمت بدراسة اللغة اليونانية والعربية وبعض العلوم المدنية الأخرى ، ولكن ما أن سمت النهضة الفكرية في عهد الدولة العباسية[٥]حتى تغيرت أحوال الديارات وأخذت تشتمل على العديد من اللغات كالارامية[٦] والسريانية[٧] والفارسية[٨] والعربية وكان في دير قنُّى مدرسة تُدَرس اللغة العربية[٩].

---

(١) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٢٠ ، ٥١٤ .

(٢) الصائغ ، تاريخ الموصل ، ج١ ، ص١٣ ؛ ج٢ ، ص٤٤ .

(٣) شاد هذا الدير الراهب يعقوب اللاشومي سنة ٥٩٥ م (وهو من تلاميذ مار ابراهيم الكبير ، وقد تهذب في مدرسة الرستاق في ارض المرج) ارض المرج في جوار قرية بامازي في موضع يقال له بيت عابي فسمي باسمه دير بيت عابي (بيت الغاب) . واثاره لاتزال الى اليوم باقية وراء جبل العقر على مسافة ساعات قليلة قرب قرية تدعى خربة . نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١، ص٢٦٣ .

(٤) نصري ، نفسه ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ اسحق ، مدارس العراق ، ص٧٤.

(٥) رسام،افرام،تاريخ دير مار ميخائيل رفيق الملائكة،(مط الشرقية الحديثة،الموصل،١٩٦١)،ص٢٥.

(٦) ادي شير ، كلدو واثور ، ح٢ ، ص٧ ؛ شيخو ، النصرانية وادابها ، ق٢ ، ص٣٨٩ .

(٧) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، (مط لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د.ت) ، ص١٦ .

(٨) اسحق ، مدارس العراق ، ص٣٧ .

(٩) دي طرازي ، خزائن الكتب ، م٢ ، ص٥١٢ ؛ اسحق ، نفسه ، ص٣٧ . ويعلل لوبون اقبال اهل الذمة ومنهم النصارى على تعلم اللغة العربية كان نتيجة لتسامح العرب معهم . حضارة العرب ، ص٢٧٠ . ويذكر ان اللغة العربية كانت احدى اللغات التي تدرس في المدارس الديرية ، ولم يكن تعليمها مقتصراً على القراءة والكتابة بل كان يُعلم الى جانبها اصول الكتابة ورسم الحروف وانواع الخطوط اضافة الى االامثال والحكم ، وقواعد اللغة وادابها . ينظر:علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، (دار النهضة ، بغداد ، ١٩٧٣) ، ج٨ ، ص٢٩٨ .

أما في مجال العلوم فقد توسعت وأشتملت على العديد منها : علم النجوم والمنطق والشعر والهندسة والفلك[١] والطب والمحاسبة[٢] والموسيقى[٣] . أما الفلسفة فقد أقتصر تعليمها على بعض المنطق الأرسطو طالي[٤]، وكذلك الحال بالنسبة للتعليم الطبي الذي اقتصر على أمهات المؤلفات لكل من أبقْراط[٥] وجالينوس[٦]، وكان علم الأخلاق والتاريخ الديني والمدني والجغرافية والقصص من بين العلوم التي دُرِست أيضاً في تلك المدارس[٧].

هيئة التدريس في المدارس الديرية

(١) ماريوهوف ، من الاسكندرية الى بغداد ، ص٥٣ .

(٢) ابن العبري ، الاثيقون ، ص٢٨٩ .

(٣) ابن العبري ، نفسه ، ص٢٩١ .

(٤) مايرهوف ، من الاسكندرية الى بغداد ، ص٥٣ . واطلق هذا الاسم عليه نسبة الى ارسطو طاليس وهو الاسم الذي اطلقه العرب على الفيلسوف اليوناني (أرسطو)، ولد عام ٣٨٤ ق. م وتوفي ٣٢٢ق.م تتلمذ على يد افلاطون ، وتتلمذ على يديه الاسكندر الاكبر المقدوني ، ثم انصرف الى التعليم والتأليف في شتى فنون المعرفة وسمي تلاميذه بالرواقيين او المشائين . وعرف المسلمون العرب ارسطو طاليس منذ أن اتصل المسلمون بالروم ، وفي رواية أن مؤلفات ارسطو طاليس ، كانت محفوظة في الاسكندرية وانها نقلت فيما نقل من المؤلفات اليونانية الى انطاكية في عهد الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز . ينظر : عطية الله ، احمد ، القاموس الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية (د.مط ، القاهرة ، ١٩٦٣) ، م١ ، ص٦٦-٦٧ .

(٥) ابقراط(hippocrates): ويعرف بأبي الطب ، طبيب وعالم طبيعي يوناني ، ولد بجزرة (كورس) عام ٤٦٠ق.م ، نقلت مؤلفاته الى اللغة العربية ، ووضعت التراجم حياته وحياة تلاميذه ، وترجم حنين بن اسحق كتابه (عهد بقراط) بتفسير جالينوس، وممن اشتغل بترجمة مؤلفات ابقراط:عيسى بن يحيى، ومحمد بن مرسي واحمد بن موسى ، وحبيش بن الحسن . ينظر:عطية الله ، نفسه م١، ص١٥ .

(٦) جالينوس (Jalenos) (نحو ١٣١ـ٢٠١م) : طبيب يوناني أشتهر بأكتشافاته في التشريح ، أخذ عنه الأطبَّاء العرب . ينظر: براورز ، المنجد في الاعلام ، ص ١٩٥ .

(٧) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص١٧ .

كان لابد من توفر كادر تدريسي في مدارس الأديرة ،وذلك بحكم كونها مكاناً للتعليم والأستفادة من الكتب التي تتوفر فيها ،وغالباً ما يكون رؤساء الأديرة هم القائمين بأدارة مدرسة الدير، وأبرز أساتذتها ويُ شتَرَط أن يكون أكثرهم ديناً ، كحفظهم للعهدين القديم والجديد وأتقانها وتدريسها لطلاب الدير، فكانوا مُدَرِسين ومرشدين حيث تربعوا على منابر التدريس ليقوموا بمهامهم على أكمل وجه، كتثقيف الطلبة وتعليمهم العلوم الدينية والدنيوية(١). وكانت المدرسة الديرية بمثابة جمعية منظمة تقيدها القوانين ويرأسها(الربان)أي المعلم، ويطلق عليه أيضاً (مفسر) و يقع على عاتقه شرح معنى الكتاب المقدس ،و يكون هذا الشرح حرفياً وتأريخياً ، ومن واجباته الأخرى إدارة شؤون المدرسة ومراقبة ما يدور فيها ويكون تحت إمرته العديد من الأساتذة ممن عُرِفوا بالعلم (٢). أما القارىءفيقوم بتدريس طريقة الكتاب المقدس بدقة ، ويدرس الأصول الصحيحة للترتيل والنحو(٣).

أما المدقق فيقوم بتدريس الفلسفة ، والمهجيء يقوم بتدريس التهجئة أو التأمل أو البلاغة لاتقان القراءة بصورة صحيحة ، وكذلك يقوم بوضع الأسس ، وتفسير الكلمات لوجود أختلاف ما بين اللغة الأرامية العامة والفصحى(٤). لأن عدم التفرقة بينهما ربما يوقع القارىء في أخطاء كبيرة .

بينما تقع مهمة الأهتمام بالأمور المالية والأنضباط والعناية بمكتبة المدرسة على المدبر(٥). الذي يكون بمثابة المسؤول الأول عن العناية بشوؤن المدرسة.

وهناك شخصيات لم تعن بالتعليم الا أنها تُعد من الشخصيات التي لابد من توفرها في تلك المدارس كالمدبر الذي يقوم بتنظيم أمور البيمارستان . المستشفى .التي كانت غالباً ما تلحق بمدارس الأديرة وأهم واجباته مراعاة المرضى والوقوف على راحتهم وتوفير كافة مستلزماتهم(٦)، ومن صفاته الصدق والألتزام بأوامر معلم الاسكول وعدم التصرف دون أذن منه(٧)

الفصل الرابع

وخصص لكل مدرسة خازن(١) ، يبدل كل سنة ، ويكون للمدرسة بواب يتحلى بالتواضع والكلام الطيب عند أستقباله الغرباء ، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء، ولا يخاصم

---

(١) فييه،الآثار المسيحية في الموصل ،ص١٦٤ –١٦٧ ؛اسحق ، تاريخ نصارى العراق،ص٢٠-٢٢.

(٢) ادي شير ، كلدو واثور ، ج٢ ، ص٢٧٣ ؛ اسحق ، مدارس العراق ، ص٥٣ .

(٣)نقلاً عن الربيعي ، نصارى العراق ، ص٣٩٨ .

(٤) الربيعي ، نفسه ، ص١٩٩ .

(٥) الربيعي نفسه ، ص٣٦٨ ، هامش (٢) .

(٦) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، م١٨ ، ج٣ ، ص١٧٠ .

(٧) ابن الطيب ، نفسه ، م١٨ ، ج٣ ، ص١٧٢.١٧١ .

(١) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص١٦٢ .

(٢) ابن الطيب ، نفسه ، ج٢ ، ص١٧٠-١٧١ .

ولا يشاتم ، ولايحقر أي أنسان ، وعليه مراقبة الداخلين الى الدير فلا يجوز له أن يُدخل من يأكل ويشرب في القلاية التي برسم الباب ، ولا يأخذوا من أحد الاخوة (الرهبان) وديعة ، ولا يسمح للاخوة أن يجتمعوا عند الباب لتداول الأحاديث غير المهمة أي ما لا يحتاج إليه الحديث ، ويجب عليهم الحفاظ على أمانة الغرباء كأغراضهم الشخصية من ثياب وغيرها ، فلا يجوز العبث بها أو تفتيشها[٢]. وربما يفسر هذا الخرق الذي بدأ يدخل على نظام الرهبنة ، فقد بدأ الرهبان يُراقَبون في دخولهم الى الأديرة وتراقب كافة تصرفاتهم .

انـظمة المدارس الديـرية

نظراً لضرورة تحديد العلاقة وتنظيمها بين المدارس الديرية والمحيط الخارجي كان لابد من وضع الأنظمة والقوانين التي تحافظ على نوع هذه العلاقة ، ويعتبر الدير الأعلى ـ في الموصل . من أهم الديارات التي وضعت فيها هذه القوانين وكان ذلك في القرن السادس والسابع الميلاديين[١].

(١) اخر هذه القوانين قانون حنانا الحديابي معاصر ايشوعياب الثاني (ت٦٤٥م) . ينظر: اوليري ، علوم اليونان ، ص٦٧ .

ومن القوانين ما كان يخص المعلمين ، وبما أن العملية التعليمية في الأديرة كانت عملية تربوية إنسانية ، لذا أوجبت هذه القوانين على المعلم أن يراعي التلاميذ كما يراعي أبنائه ، وأن يبذل قصارى جهده من أجل إيصال المعلومات إليهم. وإن أراد توبيخ أحدهم يجب عليه أن يستخدم الأسلوب اللطيف . ومن المفضل أن يسبق العقوبة والتوبيخ إشارة غير مباشرة من المعلم إلى التلميذ ، لعل التلميذ يحاول أن يردع نفسه وينتبه الى أخطائه ويقومها بنفسه لأن التوبيخ العلني في نظرية أهل الديارات ربما يمزق قانون الوقار أو يشجع التلميذ الموبخ على التمرد(٢).أي إن العملية التربوية التعليمية في الأديرة تشبه العملية التربوية المتبعة حديثاً ، التي ينصح بها علماء النفس .

ومن واجبات المعلم الأخرى هي احترامه لبقية العلوم الأخرى التي يقوم بتدريسها غيره من المعلمين، ولا يجوز له إحتقار بقية العلوم والأستهانة بها(٣).

كما يقع على المعلم واجب الإرشاد والنصح للقضاء على الشهوات الجسمانية والقضاء على الأهواء التي تحاول أن تجرفهم إلى الخطيئة ، وبالتالي تعميق الأيمان في نفوسهم وترسيخه(٤). وجعلهم رهباناً مخلصين في حبهم لله وممتثلين لأوامره.

أما داخل الدرس فعليه طرح الأسئلة السهلة البعيدة عن التعقيد لتمكن التلاميذ من الإجابة عليها دون وجل أو خوف(٥).وعلى المعلم أن لا يعتبر نفسه عالماً في كل شيء ، لأنه بذلك يعرض نفسه إلى الإحراج في حالة عدم قدرته على جواب بعض التلاميذ(٦) ، وبالتالي يصغر المعلم في نظرهم ويعتبرونه غير قادر على هضم المواد التي يقوم بتدريسها .

ويُ مَنع المعلم من تعليم راهبة سواء كان في المدينة أو خارجها ، ولا يسكن مع إمرأة وإن فعل ذلك يُطَرد من الجماعة(١). إذ يعتبر قد أخل بقوانين الأديرة.

ويتميز المعلم الصالح بالأبتعاد عن التباهي بنفسه ، وببساطة مأكله وملبسه ، وعدم ميله إلى البذخ ، ويقتصر في أثاثه على الضروريات منها فقط ، و يبتعد عن الحكام السياسيين قدر الإمكان ، لأنهم بإعتقاده ظَ مة والإختلاط بهم يؤدي الى التخلق

---

(٢) ابن العبري ، الاثيقون ، ص٢٩١ .

(٣) ابن العبري ، نفسه ، ص ٢٩١ .

(٤) ابن العبري ، نفسه ، ص٢٩٣ .

(٥)ابن العبري ، نفسه ، ص٢٩١ .

(٦)ابن العبري ، نفسه ، ص٢٩١ .

(١) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص١٦٨ .

بأخلاقهم[٢]. ولا يجوزله فتح مكتب في المدينة ليلاً لأن ذلك يعيق أعماله داخل الدير ويسبب التقصير في أداء واجباته[٣]. وأن تكون غايته تعليم التلاميذ وتثبيت الإيمان في نفوسهم[٤] أي أن تكون المدرسة الديرية بمثابة مصنع للصالحين ، فيكون المعلم ممن كرس حياته لخدمة الدين ، من خلال تنشئة جيل مؤمن صالح .

وكانت أغلب المدارس الديرية تعهد إلى أحد الرهبان الأكفاء ، وتخضع إلى زيارتين في السنة من قبل رئيس الرهبان ، لئلا يتفشى فيها الفساد الإداري والقوانين التي وضعت لإدارة الدير[٥]. أما القوانين التي طُبِقَت على الطلاب فهي طاعة التلاميذ للمعلمين طاعة عمياء ، كطاعة الأبناء لآبائهم[٦].

وخاصة إذا كان المعلم رئيس الدير ، فعلى التلميذ أن يدرك أن خدمة الأب الروحاني تكون أشرف من خدمة الأب الجسداني[٧]، وأن يكون له مزيداً من الإحترام والتقدير، وأن لا يرفع يده على رئيس الدير ، وإذا ما حصل ذلك من أحد التلاميذ يؤدب وينقل إلى دير أخر ،وعليه أن يكون صائماً ناسكاً ولا يخالطه أحد في هذه الفترة ثم يعود بعد ذلك إلى ديره[٨]، ويؤدب من يضبط سكراناً ثلاث مرات ، أما من يزني[٩]

فيمهل سنة لكي يتوب ومن لم يتب يطرد من الدير، كما يطرد من ثلب رفيقه[١]. وأن يتصرف مع أقرانه بكل إحترام فلا يتعجرف في سلوكه ، ولا يغتر بمواهبه ، وأن يتسامح مع مَن أخطأ منهم إذ طلبوا منه السماح وذلك لأن الإنجيل يحث على المغفرة إذ جاء فيه:((إذا غفرتم للناس زلاتهم فأبوكم السموي يغفر لكم))[٢].

---

(٢) ابن العبري ، الاثيقون ، ص٢٩٢ .

(٣) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص١٦٧ .

(٤) المرجي ، الرؤساء ، ص١٢٦-١٢٨ .

(٥) المرجي ، نفسه ، ص١٢٨ .

(٦) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ج٢ ، ص١٨٦ .

(٧) ابن الطيب ، نفسه ، ص١٧٢ .

(٨) ابن الطيب ، نفسه ، ص١٧٢ .

(٩)وتنقل الاخبار اليهم – رؤساء الاديرة – عن طريق السماح لزميلين بالخروج من الدير سوية ، على ان يكون احدهم رقيباً على اعمال رفيقه بدافع الغيرة المتبادلة ، وعليهم تجاوز اخطاء بعضهم البعض لا سيما بعد عودتهم الى الدير . جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية ، ص٣٣٣ . ويبدو ان الامر مختلف فقد ترد هذه الاخبار الى الدير لخطورتها فلا يجوز السكوت عنها .

(١) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص١٧٢-١٧٣ .

(٢) ابن الطيب ، نفسه ، ص١٧٢-١٧٣ .

ويكون سكن الطلاب في المدارس الملحقة بالأديرة ، وتُخصَص لهم الأرزاق(٣)، وتوفر لهم الملابس ، ولا يسمح لهم مغادرة مدرسة الدير أو الدير نفسه أكثر من ثلاثة أيام ،على أن لا يشرب فيها شراباً (٤).

أي أن المدرسة تتكفل بكافة مستلزمات الطلبة ، وربما يكون خروج الطلبة من الدير لغرض رؤية عوائلهم أو للوعظ الديني .ولا يسمح لهم بالزواج ، فهم التزموا بيمين على العزوبة (٥)، لأنهم سلكوا طريق الرهبنة ، واحد شروطها عدم الزواج . أما الطعام فيجب أن يتناوله الطلبة سوية(٦). كما مر ذكره في فصل سابق . وكانت المدارس الديرية تُخرج العديد من الرهبان(٧).

الفصل الرابع

مكتبات المدارس الديرية

غالباً ما كانت الأديرة النصرانية تحتوي على خزائن للكتب ، إذ أنها لم تكن أماكن عبادة فحسب بل هي بمثابة مراكز ومعاهد علمية ، ففيها يتلقي الرهبان أفانين العلوم ، وكلما تقتضيه الأديرة من نظم ، لذا كان من الواجب توفر خزانة للكتب ،

(٣) ابن الطيب ، نفسه ، ج٢ ، ص١٩٦ .

(٤) ابن الطيب ، نفسه ، ص١٧٥ .

(٥) آدي شير ، كلدو وآثور ، ج٢ ، ص١٧٥-١٧٦ ؛ اوليري ، مسالك الثقافة الاغريقية ، ص٩٨ .

(٦) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص١٩٦ .

(٧) المرجي ، الرؤساء ، ص٨٧ .

توضع في مكان خاص من الدير ، ويقع على عاتق رهبان الدير المحافظة عليها وتوسيع نطاقها(١).

وكانت أهم الكتب الواردة إلى مكتبة الأديرة تأتي عن طريق : مؤلفات الرهبان أنفسهم أو ما يستنسخونه ، إذ كان بعضهم ممن برع في مجال التأليف أو النسخ ، أو مما يهدى إلى المكتبة من كتب ، ويكون من ضمنها النذور والوقوف والهدايا التي تأتي من مختلف الجهات ، بالإضافة إلى ما يقتنيه الدير من كتب ، فلا يخلوا الدير من خزانة للكتب سواء أكانت صغيرة أم كبيرة(٢).

وكان النظام في المدارس يشجع المتبرعين بالكتب ، من خلال تثبيت أسمائهم على الكتب التي يهدونها للمكتبة ، وفرضت هذه القوانين عقوبات قاسية على من يتهاون في تثبيت أسماء المتبرعين للكتب كالمدير أو الاخوة من الرهبان ، ويكون ذلك من خلال طردهم من الاسكول(٣). ويعتقد أن ذلك يشجع الناس في إقبالهم على التبرع بالكتب.

وتعتبر مكتبات الأديرة هي المكان الرئيسي الذي يمارس فيه الرهبان والقسس نشاطاتهم العلمية ، كالتأليف والترجمة والإستنساخ(٤)،وغالباً ما يقع على عاتق العجزة من الرهبان أو الذين يعانون من علة ، أو الذين يجيدون الكتابة مهمة الاستنساخ(٥) ومن الكتب التي تقع في أدراج هذه المكتبات الأسفار النفيسة والمصاحف الثمينة(٦)،وكانت

---

(١) عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق ، ط٢ ، (دار الرائد العربي ، بيروت ،١٩٨٦م) ، ص٧٩ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ،ص٦٣ ؛ مراد ، موسى يونان ، حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي ، (د. مط ، د.م ، ١٩٧٣) ، ص٤٩ .

(٢) عواد ، نفسه ، ص٧٩.

(٣) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص١٦٦ .

(٤) الشابشتي ، الديارات ، ط٢، مقدمة المحقق ، ص٣١ .

(٥) ابن الطيب ، فقه النصرانية ، ص١٧٣ ؛ البيرابونا ، اداب اللغة الارامية ، ص١٨٤ .

(٦) الاسفار ومفردها سفر ، وهي تسمية يهودية للكتاب ، اما المصاحف ومفردها مصحف فهي كلمة حبشية للكتاب المجلد . وأشار الجاحظ في احدى رسائله الثلاث الى ان المصحف هو الذي يحفظ الكتاب ويُسَهل استعماله ويصونه في تماسك وجمال ، وقد نقله العرب عن الاحباش. ينظر: الجاحظ = = ابوعثمان عمرو بن بحر ، رسائل الجاحظ ، (مط بريل ، ليدن ، ١٩٠٧ م) ، ص٧١ ؛ السيوطي الاتقان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية ، (د. مط ، بيروت ، ١٩٧٣) ، ص٥٨ .

أغلبها قد جُرِت بخط جميل تخالها سبائك من الفضة أو سلاسل من العقيان، وقد ورد أن شابو(المستشرق الفرنسي)قد أحصى نيفاً [١] وثلاثة آلاف من كتب النصارى في مختلف العلوم سواء أكانت دينية أم علمية أم أدبية ، كانت في البيع والأديرة النصرانية ، وكانت قد نقلت إلى سبع خزائن ووضعت في المكتبات الأوربية[٢].

وأحتوت مكتبات الأديرة على المخطوطات لا سيما مخطوطات الكتب المقدسة التي أشتهرت بنقوشها المحبرة وزخارفها الجميلة الملونة ، التي غدت بمثابة تحف ثمينة تتباهى بها المتاحف والمكاتب سواء أكان شرقاً أم غرباً ، وكانت بصمات المصورين واضحة فيها فجعلوها بأحلى صورة ، وكانت الأقلام البديعة للخطاطين قد أودعت على أوراقها أروع الخطوط[٣].

وكانت الخطوط المستخدمة في هذه المؤلفات هي العربية والآرامية المختلفة ، فقد احتوت خزانة دير يونس (دير يونان) على العديد من المؤلفات[٤]. وأقدم هذه المخطوطات هو إنجيل آرامي كُتِبَ على الرق عُثِرَ عليه في خزانة دير الربان هرمزد يرقى تاريخه الى المئة العاشرة للميلاد ، وإنجيل آرامي اخر كُتِبَ على لرق أيضاً لخزانة دير الربان هرمزد سنة ١٢٠٠م/٥٩٧هـ كذلك كتب (المحاورات) المكتوبة بالآرامية التي كتبت سنة١٢٥٥م (ومقاله في السكوت) كتبت لخزانة هذا الدير أيضاً سنة ١٢٨٩م ، وكان المتحف البريطاني قد احتوى على مخطوطة آرامية كتبت على الرق سنة ١٣٨٥م من دير الربان هرمزد . كما كان في خزانة أبريشة الكلدان في اسعرد نسخة من الإنجيل الآرامي الذي كتب في الدير ذاته ، ويذكر أن نفائس هذه المخطوطات كان يحتفظ بها في غرفة صخرية داخل الدير[٥].

أما فيما يتعلق بموضوع تغليف(تجليد) الكتب فإنه ظهر أول مرة في أديرة الكنائس القبطية[٦]، وهو من الفنون التي أهتم بها رهبان الأديرة المصرية قبل الفتح

الفصل الرابع

الإسلامي ثم انتقل من هناك إلى باقي أنحاء العالم[١].وقد انتشرت أساليب التجليد على أيدي النساطرة فهم الذين ساهموا في نقله إلى العراق وبلاد فارس قبل الإسلام[٢].

---

(١)النيف:كل ما زاد على العقد فنيف الى ان يبلغ العقد الثاني.ينظر:المنجد ،براورز،المنجد ،ص٨٤٧.

(٢) اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٢٦ .

(٣) المرجي ، الرؤساء ، ص٣٦-٣٧ ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٤١١ .

(٤) عواد ، خزائن الكتب ، ص٨٨ .

(٥)عواد ، نفسه، ص٩٤ ؛ اثر قديم في العراق(نفس المؤلف)،(مط النجم ،الموصل،١٩٣٤) ، ص٥٠.

(٦)القصيري ،اعتماد يوسف، فن التجليد عند المسلمين،(دار الحرية للطباعة ،بغداد ،١٩٧٩)،ص٤-٥.

(١) القيصري ، اعتماد ، فن التجليد ، ص٥ .

(٢) القيصري ، نفسه ، ص٧ .

أنواع الكتب التي احتوتها المكتبة الديرية

من البديهي أن تكون المكتبات الديرية تحتوي على العديد من الكتب المتنوعة، فقد تخرج منهاالعديد من العلماء والمؤلفين ، فلا غرابة من احتواء الديارات على نفائس الأسفار وأمهات الكتب[١]، وسبق أن وضحنا أن هذه الأديرة لم تكن تمارس المجال الديني فحسب بل كانت بمثابة موسوعة لمختلف العلوم .

لذا صار من المعروف أن هذه المكتبات تحتوي على العديد من نوادر الكتب الدينية،فمثلاً كانت خزانة دير بيت عابي قد ضمت جملة صالحة من نسخ للكتاب المقدس (العهدين العتيق والجديد) ، و كتب بعضها على الرق[٢]، كما أحتوت خزانة هذا الدير على نسخة مذهبة للإنجيل[٣]. أما مكتبة دير متي فقد تضمنت على نسخة نفيسة مصورة من الإنجيل كتبت بالآرامية[٤]. وعثر على نسخة أخرى للكتاب المقدس في خزانة باريس الوطنية كانت قد أُخِذَت من خزانة دير مار ميخائيل[٥]. وهوأمر مسلم به إذ لابد من أن تكون مكونات الديارات تحتوي على النسخ الثمينة للكتاب المقدس للمكانة الدينية التي تحتلها.

أما العلوم الأخرى التي لُحتلت حيزاً كبيراً من خزائن الأديرة ومنها الكتب الطبية، إذ كان الأطباء الرهبان طبقة مهمة في الديارات العراقية ، كذلك أهتم الرهبان بالعلوم الطبيعية لأنهم كانوا يسعون إلى توسيع مداركهم وثقافتهم ، كما أستعانوا بالعلوم الفلسفية في شرح العقائد النصرانية والدعوة إليها[٦].

واحتوت خزائن الديارات العراقية على الكتب المترجمة إذ لم تقتصر هذه الكتب على الآداب النصرانية حسب ، بل شملت مؤلفات أرسطو وجالينوس وبقراط[٧]. وكان

---

(١) المرجي ، الرؤساء ، ج١ ص٩٠ .

(٢) المرجي ، نفسه ، ص ٥٩-٦٤ .

(٣) المرجي ، نفسه ، ص ٩٥ .

(٤) كتبه الراهب مبارك البرطلي سنة ١٢٢٠م بحروف سطرنجيلة بديعة وزينه بأربع وخمسين صورة جميلة ملونة في غاية الاتقان ،نقل هذا الانجيل وقتاً ما من موطنه الاصلي الى كنيسة السريان الكاثوليك في قره قوش فحفظ فيها مدة طويلة ثم نقل الى خزانة المطرانية السريانية في الموصل ، وفي سنة ١٩٣٨ حمله المطران جرجس دلال الى رومه واهداه الى خزانة الفاتيكان . عواد ، خزائن الكتب ، ص ٨١ .

(٥) الصائغ ، سليمان ، تاريخ الموصل ، ج١ ، ص٩٣ ؛ عواد ، خزائن الكتب ، ص٨٤ .

(٦) نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١ ، ص٩٦ ؛ البيرابونا ، آداب اللغة الارامية ، ص٣٢-٣٣ ؛ اسحق تاريخ نصارى العراق ، ص٣٣ .

(٧) أمين ، فجر الاسلام ، ج٢ ، ص٦٠ .

تلاميذ حنين بن أسحق الذي عُدَ زعيم المترجمين العرب والسريان ممن قام بترجمة هذه الكتب إلى العربية وخاصة أبنه سلحق الذي تَرجَم بقية كتب ارسطو وأهم الكتب في المجالات الرياضية والبصرية لا قلديس ، وقد لعبت مدارس الأديرة آنذك دوراً كبيراً في تعليم المترجمين اليونانيين الذين قاموا بترجمة ما بقي من كتب الأطباء والرياضيين والفلكيين والفلاسفةاليونانيين القدماء تحت أشراف حنين بن أسحق أو استقلوا بمفردهم[١].

ومما هو جدير بالذكر إهتمام نصارى العراق بالموسيقى الكنسية التي وضعها أُدباؤهم كالأناشيد البيعية والأدعية الخشوعية والموشحات التقوية التي تكون محكمة الوزن ، مضبوطة القياس ، حيث برع الرهبان في تأليفها كالراهب الموسيقي عنا نيشوع والراهب داود بن بولس (ت٧٨٠م/١٦٤هـ)[٢]. أما الراهب باباي فقد ذاع صيته بما أغدق من كتب إلى خزانة دير بيت عابي وقد إشتهر بوقوفه و اهتمامه بالموسيقى[٣]، فلابد أن تكون أغلب كتبه التي وضعت في مكتبات الأديرة تخص هذا الشان .

ويقول ألا بشيهي في ذلك : ((لاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة))[٤]. وهذا يشير إلى أن المكتبات الديرية قد تضمنت الكتب التي تدرس الموسيقى الكنسية التمجيدية.

كما ضمت أغلب خزانات الديارات على الكتب التي تبحث في الفلك والتنجيم، ككتاب (الخاصة) الذي قُرِ عليه في دير نينوى ، وهو من تأليف الراهب (نسيب) أحد رهبان هذا الدير[٥].

أما كتب التاريخ فهي الكتب التي دونت من قبل بعض رهبان الأديرة والتي أستهوتهم عملية البحث التاريخي، لا سيما في تدوين سِير القديسين والصالحين ، سواء أكان إستجواباً ، أم عن طريق ما روي عنهم[٦].

أما كتب اللغة فقد حظيت بأهتمام كبير من رؤساء الأديرة وتنعكس هذه الصورة فيما قام به رئيس دير مار متي في توفير القلالي للراهبين راميشوع وجبرائيل حيث وفر

---

(١) بدوي ، التراث اليوناني ، ص٥٨ .

(٢) المرجي ، الرؤساء ، ص٩١-٩٢ ؛ اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٢٧ .

(٣) المرجي ، نفسه ، ص ١٢٥،١٢٦ .

(٤) الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، (د. مط ، القاهرة ، ١٣١٤ هـ) ، ج٢ ، ص١٣١ .

(٥) عواد ، خزائن الكتب ، ص٨٩ .

(٦) المرجي ، الرؤساء ، ص١٧ .

لهما الأجواء المناسبة لتنقيط وضبط وتصحيح بعض الكتب التي كانت بحاجة إلى ذلك وكان هذاسبباً في إغناء مكتبة الدير بهذِه الكتب المنقحة والمحققة[١].

---

(١) لما رأى رئيس دير متي انهما افصح من معاصيرها ، اعطاهما قلالي يقيمان فيها وشرع كل منهما بتناول كتاباً (من نسخة واحدة) خلياً من نقاط الضبط وعلامات التصحيح فيدخلا قلاليهم وبعد وضع العلامات ، ومعارضة الكتابين ، لم ير لاحدهما زيادة على صاحبه ،وعلى هذه الطريقة شكلا كتباً عديدة . برصوم ، اللؤلؤ المنثور، ص٣١٣ ؛ عواد ،خزائن الكتب ، ص٨١-٨٢ ؛ افرام الثاني، دير مار متي ، ص٨ .

مؤلفات الرهبان

أشتهر العديد من رهبان الديارات العراقية بالتأليف في المجالات المختلفة ، ففي مجال الأدب عُرِفَ الراهب يوحنا الموصلي(ت ١٢٧٠م/٦٦٩هـ) وهو من رهبان دير مار ميخائيل بإبداعِه في مجال الشعر ، وله ديوان شعر آرامي عنوانه (حُسن السلوك) وقيل أن نسخته الأصلية كانت من مكنونات خزانة هذا الدير[١]. ويعتبر الشاعر المعروف بابن الشعارة من جملة رهبان هذا الدير أيضاً ، وله قصيدة آرامية مطولة[٢].

كذلك برز من رهبان هذا الدير ، مطران نصيبين مار إ يليا ، الذي كان من العلماء البارزين والأدباء المتقدمين، فقد صنف تاريخ الأزمنة ، وهو من أنفس الكتب التاريخية التي وضعت في زمانه لاسيما لمطالعي تواريخ المشرق ، وتوجد نسخته القديمة في خزانة الكتب السريانية في لندن ، وله العديد من المقالات التي تتضمن الأدعية الخشوعية ، وله كتاب في أصول النحو الآرامي ، وأربعة مصنفات في الأحكام البيعية والميراث. وقام بوضع كتاب (البرهان في تصحيح الإيمان) وهو يشتمل على أربعة أجزاء وعشرة فصول ، من أشهر مؤلفاته في العربية : الرسائل التي حبرها في الفقه والتوحيد والتثليث[٣]. وأبدع الراهب اصطفن في مجال الكيمياء ، فقال عنه ابن النديم: ((هذا الرجل – اصطفن (اسطيفانيوس)–كان بالموصل في عُمر يقال له ميخائيل وكان يحكى عنه أنه عمل الكيمياء . فلما مات ظهرت كتبهبالموصل فرأيت منها شيئاً وهو كتاب الرشد ، وكتاب ما حدثناه ، وكتاب الباب الأعظم ، وكتاب الأدعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء ، وكتاب الاختيار النجومي للصناعة ، وكتاب التعليقات ، وكتاب الأوقات والأزمنة))[٤].

ونبغ في هذا الدير أيضاً عبد يشوع بر[٥] شهاري (ت٤٧١م) الذي أُعتبِر من أبرز أساتذته . فكان أُستاذاً فاضلاً وشاعراً مجيداً وعالماً قديراً . فله العديد من القصائد التي تجمع في أبياتها رقة الإنسجام وجزاله الألفاظ[٦].

---

(١) نشر هذا الديوان المطران ايليا ملوس في رومية سنة ١٨٦٨م . عواد خزائن الكتب ، ص٨٥ .

(٢) عواد ، نفسه ، ص٨٥ .

(٣) نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١ ، ص٤٦٣–٤٦٤ ؛ مجلة النجم ، ح٧ ، ص١٦٣ .

(٤) ابن النديم ،ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحق الوراق ، الفهرست ، تحقيق : رضا حداد ، (مط دانشكاه ، د. م ، ١٩١١ م) ، ص٥٠٥ ، ٥٠٦ ؛ عواد خزائن الكتب ، ص٨٥ .

(٥) بر : كلمة آرامية معناها الأبن . اسحق ، مدارس العراق ، ص٦٧ .

(٦) اسحق ، نفسه ، ص٦٧ .

أما رهبان دير قنَّى فقد أشتهر منهم أبو بشر متي بن يونس(ت٩٤٠م/٣٢٩هـ) ، وهو ممن نشأ في أسكول مار ماري في هذا الدير ، وكان قد تلقى تربيته الاولى كمعظم علماء النصارى في أحد المدارس الملحقة بالاديرة ، ودرس في صفوفها زهاء أربعين عاماً العلم المنطقي ، وقرأ عليه الناس المنطق فكان يجمع في حلقته كل يوم عدداً من الذين اشتغلوا بهذا العلم ،وممن عني بالفلسفة ومن جملتهم الفيلسوف الأكبر الفارابي[١]. ويقول عنه القفطي : ((متي بن يونس النصراني المنطقي أبو بشر نزل بغداد ،عالم بالمنطق ، شارح له ، مكثر، مطيل للكلام ، قصده التعليم والتفهيم ، وعلى كتبه وشروحه إعتماد أهل هذا الشأن في عصره ومصره))[٢]. وله مؤلفات كثيرة معظمها في شروح كتب أرسطو فكتب عنه سبعين سفراً وعَرَبَ غيرها من اللغة اليونانية والآرامية[٣]. وبالتالي صار حجة في المنطق إذ أنتهت اليه رياسة المنطقيين عصرئذ[٤] ويعول الناس على شرحه لكتب أرسطو المنطقية في وقتنا الحالي[٥]. ومن جملة أعماله الأخرى مناظرته الكبرى في المفاضلة بين النحو والمنطق مع أبي سعيد السيرافي[٦].

كما أشتهر في هذا الدير وهذا الأسكول (مار ماري) الجاثليق إسرائيل (ت٩٦٢م/٣٥١هـ) الذي ترهب في دير سبر يشوع في واسط ثم نُصِبَ جاثليقاً ، فهو ممن ذاع صيتهم في الأدب فكان من أُدباء عصره و خطباء زمانه ، عُرِفَ بقوة حجته وفصاحة لسانه[٧]، والراهب عبد يشوع الذي ألف العديد من الكتب[٨].

---

(١) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج١ ، ص٢٣٥ ؛ اسحق ، مدارس العراق ، ص٥٩ .

(٢) القفطي ، اخبار الحكماء ، ص٢١٢ .

(٣) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج١ ، ص٢٣٥ ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور،ص٣٠٦ ؛ نصري ، ذخيرة الاذهان ، ح١ ، ص٤٣١ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص١٣٢ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٦٨ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص٢٨٥ ؛ القفطي ، اخبار الحكماء ، ص٢٨ ؛ بدوي ، تراث اليونان ، ص٧٦ ؛ الشحات ، السريان والحضارة الاسلامية ص٢٠٣ ، قاشا ، لمحات ، ص ١٠٣ .

(٥) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص١٠٥ .

(٦) التوحيدي ، ابو حيان ، الامتاع والمؤانسه ، (د. مط ، مصر ، ١٩٣٩) ، ج١، ص١٠٧-١٢٠.

(٧) ماري ابن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٩٨-٩٩ ؛ نصري ، ذخيرة الاذهان ، ص٤٢٦-٤٢٧ .

(٨) نصري ، نفسه ، ج١ ، ص٤٣١ .

أما المفريان ماروثا التكريتي (ت٦٤٩م)[١] فهو من رهبان دير مار متي ، وقد عرف بمؤلفاته الدينية فقدد صنف العديد من خطب الأعياد ، ويعتبر تفسير الإنجيل من خيرة مؤلفاته فضلاً عما كتبه من رسائل دينية[٢]. ويذكر أن له ليتورجية[٣] وحساية[٤]، كما نسبت إليه سيرة مار أحودامة مطران تكريت[٥].

كذلك أشتهر من رهبان دير مارمتي المطران سويريوس يعقوب بن عيسى بن مرقس شككو البرطلي[٦](ت١٢٤١م/٦٣٩هـ) ، الذي صنف العديد من الكتب ونظم قصائد جمعت بين جزالة الألفاظ ورقة المعاني ، أشهرها كتاب الرتب الكنسية ، وكتاب الدياغالو الذي أدرج في صفحاته أصول اللغة والبيان والرياضيات والموسيقى وهو يقع في مجلدين ، وله كتاب الموسيقى الذي يتناول الألحان البيعية وأساليبها وناظميها وزمن

---

(١) هو من الجيل الثاني لليعاقبة (المنوفست) ولد قبل سنة ٥٦٥م لأبوين يعقوبيين ، درس في احدى المدارس الجديدة لقريته (دير نارد **nard**)،وكانت قد أُسِسَت على النموذج النسطوري.عُيّن كاهناً مدة ٢٠ عاماً . وفي سنة ٥٩٣ م ذهب الى المنقطة العراقية الخاضعة للحكم البيزنطي (شمال بلاد وادي الرافدين) للاستزادة من الدراسة ، ودرس في دير مار زكي (قرب كالينكوس) من اعمال الآباء الأغريق وعاش في صومعة قريبة من الرها (أديسا) حيث تعلم فن الخط من الكتابة الديرية . ثم عاد واستقر في دير مار متي بين سنتي ٦٠٣–٦٠٥ م ، وصار زعيما لليعاقبة ، واصبح مسؤلاً في سنة ٦١٥ م عن دير للنساطرة في المدائن ، وتحول ذلك الى اليعاقبة ، ولم يدم الحال على ماهو عليه خلال حكم كسرى ابرويز (٦٢٨ م) فقد تعرضت اديرتهم القريبة من القصر الملكي في المدائن الى التهديم ، الامر الذي دعا ماروثا وأحد اتباعه من الرهبان (مار آحا) للفرار الى تكريت ليقيما في صوامع ربن شابور قرب عاقولا (قرب الكوفة) ، وبقيا هناك حتى وفاة الملك كسرى ابرويز . كان لماروثا اثره الواضح في تكريت أذ اصبحت مدينة يعقوبية تدعى (ام الكنائس الشرقية)وقام ببناء ديراً محلياً مهماً قرب عين گاگا على الطريق الرئيسي بين تكريت وعاقولا هو دير مارسيرجيوس ، وكان لرهبان هذا الدير الأثر الكبير على نشر اليعقوبية هناك . ينظر :

G .Morony , IRAQ after the Muslim Conquest , P . 373 , 377 , 378 .

(٢) نصري ، ذخيرة الاذهان ،ج١ ، ص٣٢٩–٣٣٢ ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٢٨٠–٢٨١ .

(٣) الليتورجية أو النافورة (آنافورا) : كلمتان يونانيتان معناهما خدمة او صلاة القداس . اسحق ، مدارس العراق ، ص٧١ .

(٤) حساية : كلمة ارامية يراد بها صلاة الاستغفار او الدعاء . اسحق مدارس العراق ، ص٧٢ ؛ تاريخ نصارى العراق ، ص٢٧ ، هامش (٢) .

(٥) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٢٨٦ ؛ يعقوب الثالث ، دفقات الطيب ، ص٢٢٢ .

(٦) البرطلي نسبة الى برطلى وهي قرية كبيرة من اعمال نينوى شرقي الموصل . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٦٧ ؛ والكلمة آرامية مركبة من (بر طلا) أي أبن الظل لكثرة أشجارها . اسحق ، مدارس العراق ، ص٧١ ، هامش (١) .

دخولها في المعابد ، وكتاب الكنوز الذي يُعد من أنفس مؤلفاته في علم اللاهوت ، وقد قسمه على أربعة أجزاء ، فأبدع بالفلسفة الدينية (١).

أما المطران غر يغوريوس يوحنا البرطلي فهو أيضاً ممن ترهب في هذا الدير، وكان قد حبر ليتورجيه ابدع في انشائها تدل عن مدى إلمامه بالعلوم الكنسية(٢).

ووضع الكاهن أبو نصر البرطلي (ت١٢٩٠م/٦٨٩هـ) أربعاً وتسعين حساية تدل على تضلعه في الآداب الكنسية ، كما نظم قصيدة سباعية الوزن بلا قافية تقع في ست وثلاثين صفحة ، تتضمن سيرة مارمتي الناسك ، والمطران جبرائيل ابن القس يوحنا البرطلي (ت١٣٠٠م/٧٠٠هـ) نظم سيرتي العلامة ابن العبري وأخيه برصوم الصفي في قصيدتين مطولتين أذاع فيهما محاسنهما ومناقبهما . وفي سنة (١٢٩١م/٦٩١هـ) حبر ليتورجيه مسهبة بليغة وتسع حسايات حسنة الأسلوب رقيقة المعاني . كما حَبَر بطريرك إنطاكية أسحق(ت١٧٢٤م/١١٣٧هـ)كتيباً في الصرف السرياني والإشتقاق في خمسة عشر فصلاً (٣).

أمـا المطـران طيمثـاوس سـوجدي(ت١١٢٠م/٥١٤هـ) ، والمطـران بركوتلا(ت١١٥٠م/٥٤٥هـ) ، والمطران صليبا(ت١٢١٢م/٦٠٩هـ)،والمفريان غر يغوريوس متي الأول(ت١٣٤٥م/٧٤٦هـ)، والمفريان باسيل الياس الثاني (ت١٨٣٧/١٢٥٣هـ). فكانوا من جملة رهبان دير مارمتي ممن تتلمذوا على أيدي شيوخ الدير ، فأضحوا من الكُتاب المعدودين والأُدباء الذين وقفوا أساس البلاغة ، وحُسن التعابير (٤). كما بـ ع الراهبان راميشيوع وجبرائيل بتحقيق وتنقيح الكتب في قلالي ذلك الدير (٥).

أما مؤلفو دير بيت عابي فقد أشتهر منهم الراهب عنا نيشوع(ق السابع الميلادي) الذي نُدبَ من قبل الجاثليق يشوعياب الثالث المعروف بالحديابي(ت ٦٦٠م) ليقوم بتنظيم الصلوات الطقسية وترتيب الألحان البيعية ، فكانت مصنفاته مطرزة الفصول وفريدة في فنها ، وكان أروع مؤلفاته سفره المعروف بـ(فردوس الآباء)وقد أدمج فيه

---

(١) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٤٠٤-٤٠٧ ؛ نصري ذخيرة الاذهان ، ج٢، ص٧٣ .

(٢) برصوم ، نفسه ، ص٢٩١ ، ٤٠٨ .

(٣) يعقوب الثالث ، دفقات الطيب ، ص٢٢٤ .

(٤) اسحق ، مدارس العراق ، ص٧٣ .

(٥)لقد مر ذكرهما سابقاً ، راجع ص من الفصل . برصوم اللؤلؤ المنثور ، ص٣١٣ ؛ يعقوب الثالث دفقات الطيب ، ص٢٢٣ .

سير الرهبان ومآثرهم وأعمالهم،ورتبه ونظمه على أكمل وجه،وأضاف إليه أشياء كثيرة، ومن مؤلفاته الأخرى كتاب القوانين ورسالة في ألفاظ الكتاب المقدس الغامضة وكُنّاشِه[1]

ويُعَد المرجي ممن نبغ في هذا الدير و ألف العديد من الكتب أبرزها كتاب الرؤساء الذي وضعه سنة(٨٤٠م/٢٢٦هـ) وهو سفر جليل أثنى عليه المؤرخون الشرقيون ، وهو يتضمن الحياة النسكية في نواحي دجلة في القرون الثلاثة الأولى وتاريخ مابين النهرين في ثلاثة قرون وما تضمنه من أعمال خطيرة بأسلوب منقطع النظير ، لذا كان هذا الكتاب بمثابة منهلٍ لمن يهوى التاريخ الشرقي النصراني[2].

واشتهر أيضاً من رهبان هذا الدير يوحنا الجرمقي(ق٧م) الذي كتب فصولاً علمية مفادها تهذيب الطلبة والرهبان ، ويُعَد كتاب التاريخ الكنسي من أنفس كتبه وقد وضعه في أربعة مجلدات[3].أما الراهب ابنيماران (أواخر ق٧م) فألف عدة رسائل وخطب أشهرها سفره المعروف (رؤوس المعرفة)[4]. ونظم الراهب جيورجيس الأول (ت٦٨١م) العديد من الأناشيد وحَبَرَ مقالات شتى في العديد من المواضيع الدينية[5]. أما مؤلفات أسحق أسقف نينوى فكثيرة وأروعها سبعة مجلدات ضخمة في تدبير الروح والأسرار الإلهية أجاد فيها وأبدع،طبع مجلده الأول الأب بولس بيجان سنة(١٩٠٩م/١٣٢٧هـ)[6] وله العديد من المؤلفات المحفوظة ، وهي عبارة عن مجموعة ميامر في السيرة النسكية وكتاب الطب الروحي والعديد من الرسائل[7].

وكان للمؤلفات الطبية حيزٌ في الديارات العراقية إذ يُعتبَر أبن بطلان وهو من رهبان دير مارفثيون من أبرز المبدعين في هذا المجال فله العديد من المؤلفات الطبية ،

---

(١)نصري ذخيرة الأذهان ، ج١، ص٢٦٥,٢٦٢,٢٥٠ ؛ ادي شير ، كلدو وآثور ، ج٢ ؛ تسران، خلاصة تاريخية ، ص ١٥٩ ؛ اسحق ، مدارس العراق ، ص ٧٤ . الكناش :هي اوراق تجعل كالدفتر تقيد فيها الفوائد والشوارد،اصلها كلمة ارامية .ينظر:ابن منظور،لسان العرب،ح٣، ص٣٠٢ .

(٢) نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١، ص٣٩٩ ؛ اسحق ، مدارس العراق ، ص٧٧ ؛ تاريخ نصارى العراق ، ص٩١.

(٣) عدناح ، الديورة ، عدد ١١١ ؛ نصري ، نفسه ، ج١، ص٢٧٧ .

(٤) ادي شير ، كلدو وآثور ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

(٥) نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١ ، ص٢٦٦ ؛ اسحق ، مدارس العراق ، ص٧٦ .

(٦) نصري ، نفسه ، ج١ ، ص٢٧٩-٢٨٠ ؛ تسران ، خلاصة تاريخية ، ص١٦١ ؛ عدناح ، الديورة ، عدد ١٢٥.

(٧) اسحق ، مدارس العراق ، ص٧٦ .

فكتب عن(الأمراض العارضة للرهبان)[1]، وله كتاب (الأديرة والرهبان)[2]، ويطلق عليه أيضاً كُنّاش الأديرة تناول فيه ابن بطلان التدابير الواجب إستخدامها في الأديرة من قبل الرهبان الذين يقيمون في تلك الأديرة ، كأنواع الأغذية والأدوية المألوفة والمتوفرة لمن يبعد في سكنه[3] أي إنه يرشد الرهبان الذين أبتعدوا عن المدن والتجأوا إلى الأديرة البعيدة عن أماكن توفر الأدوية ووجودها[4]. وعني أبن بطلان بالشعر إلى جانب الطب فله أشعار كثيرة ونوادر ظريفة ، وأورد منها أشياء في رسالته الموسومة بـ (دعوة الأطباء) وغيرها من كتبه[5].

وأشتهر سرجيس الرسعني[6] كراهب وطبيب عراقي أحاط بجميع العلوم الإسكندرية ، ومن المحتمل أن يكون قد حصل على هذه العلوم من الإسكندرية ، فقام بترجمة العديد من الكتب ولم تقتصر ترجمته على كتب الإلهيات والأخلاق والتصوف بل ترجم إلى جانبها كتب الطبيعة والطب والفلسفة[7]، وهذا يدلل على التمازج والتنقيح الحضاري من خلال سعي الرهبان العراقيين وراء طلب العلم إلى مختلف البلدان.

ومما لاشك فيه أن هناك فئة من الرهبان العلماء الذين نبغوا في الديارات العراقية وأبدعوا في العديد من المجالات اللاهوتية والفلسفية واللغوية ، غير انه لا تتوفر معلومات تفصيلية عنهم . ومهما يكن من أمر فقد حاولت حسب المستطاع أن أوضح صورة الديارات العراقية، وعناية الرهبان بالعلوم ونشرها آنذاك.

---

(١) اسحق ، احوال نصارى العراق ، ص٢١٨-٢١٩ .

(٢) ابن ابي اصيبعه ، عيون الانباء ، ص٣٢٨ ؛ العلوچي ، عبد الحميد ، تاريخ الطب العراقي ،(مط أسعد ، بغداد ، ١٩٦٧) ، ص٤٦٩ ؛ السامرائي ، كمال ، مختصر تاريخ الطب العربي ،(منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٤) ، ج١ ، ص٥٧٦ .

(٣) حمارنة ، سامي خلف ، تاريخ العلوم الطبية عند العرب المسلمين ، منشورات جامعة اليرموك (مط الوطنية ، عمان ، ١٩٨٦) ، ص٣٠٢ .

(٤) الراوي ، عاصم مراد ظاهر ابراهيم ، ابن بطلان البغدادي وكتابه دعوة الاطباء ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢ م ، ص٣٥ .

(٥) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص١٧٠ .

(٦) نسبة الى مدنية رأس عين وأسمها عين الوردة ، وهي من كور الجزيرة وبمقربة من نصيبين ، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ ، وهي كلها بين الجزيرة والشام ، وهي مدينة كبيرة عليها سوران ، سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى فجر أرضها عيوناً واجراها ماءً معيناً فتقسمت مذانب وانسابت جداول للمزيد ينظر : الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، ط٢ ، (مط دار السراج ، بيروت ، ١٩٨٠ م) ، ص٢٦٤-٢٦٥ .

(٧) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ص ١٩ .

العلوم الديرية في ظل الدولة العربية الإسلامية

لم يكن التسامح الإسلامي تجاه النصارى مقتصراً على الجوانب الدينية فحسب، بل شمل الجوانب العلمية والثقافية ، فيذكر أن الفتوحات الإسلامية للعراق التي جرت عام١٤هـ/ ٦٣٢م لم توقف الحياة العقلية او الدينية في المجتمع النصراني ، بل ((تركت المجتمعات تتبع قوانينها وعاداتها وتسلك طريقها الثقافي الخاص))[١]طالما أنها أطاعت وأحترمت الشرع الإسلامي الحنيف .

لذا كان للفتح العربي الإسلامي وقدوم العرب إلى بلاد الرافدين الأثر الكبير في تغير الحياة الفكرية لدى النصارى ، نتيجة للتمازج الثقافي والحضاري، الأمر الذي جعل نصارى العراق يقبلون تعلم اللغة العربية ودراسة آدابها ، وبعد أن قطعواشوطاً كبيراً في ذلك ، أخذوا ينقلون علومهم إلى العربية ، فأضافوا بذلك علومهم وأفكارهم إلى ما عند العرب المسلمين من علوم . فتكَوَنَ بذلك تمازج ثقافي يختلف عن غيره مما كانت عليه الحضارات السابقة فصيغت بالطابع العربي والأسلوبين الإسلامي والنصراني[٢]. لذا باتت الديارات النصرانية تؤدي دورها على أحسن وجه كونها من المراكز الثقافية والعلمية المهمة لدى النصارى[٣].

وبقي النصارى في عهد الدولة الأموية لا سيما الرهبان منهم يتمتعون بالحرية الفكرية واستمروا على متابعة نشاطاتهم العلمية والفلسفية[٤] دون انقطاع.وما أن انتقلت الخلافة إلى بني العباس حتى تكاتف نصارى العراق وإخوانهم العرب وأختلطوا بهم ، وكانوا يتسابقون في ممارسات نشاطاتهم العلمية والثقافية . فاقبلوا على ترجمة الكتب اليونانية وكانوا قد نقلوا علومها إلى لغتهم وحفظوها ودَرسوها في مدارسهم. وكانت ديارات رهبانهم حافلة بخزائن الكتب النفيسة المنقولة عن عدة لغات . فهب النقلة يعربون هذه الأسفار ولم يتركواسفراً معروفاً آنذاك ألا عربوه ونشروا نُسَخَه في البلاد[٥]. فكان لذلك الأثر الأكبر في تطور العلوم والمعارف عصرئذ.

---

(١) اوليري ، مسالك الثقافة الاغريقية ، ص١٣٧ .

(٢) قاشا ، لمحات ، ص٧٦-٧٧ .

(٣) اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٨٦ .

(٤) الفاخوري ، حنا ، والجر ، خليل ، حركة النقل بعد الفتح الاسلامي ، بحث منشور في مجلة المسرة ، السنة ٤٤ ، ١٩٥٨ ، ص١٠٠ .

(٥) قاشا ، لمحات ، ص٩ .

وبعد أن نشطت الهمم وانتشرت مختلف العلوم والفنون والآداب ، غادر أُدباء الآرامية مدارس الديارات وبرحوا مكاتب الكنائس ، يدرسون اللغة العربية فتضلعوا فيها وأجاد عدد منهم في تعريب الكتب ، وتأسيس معاهد التهذيب والمستشفيات ، وحفلت خزائن الكتب بمصنفاتهم النفيسة[١].

وكان لبعض الخلفاء العباسيين اليد الطولى في تكريم رهبان الديارات الذين كانوا قد نبغوا في العلوم فقد أكرم الخليفة المطيع بالله(٣٦٣- ٣٧٤هـ/٩٤٦-٩٧٤م) أحد رهبان دير قنَّى وهو الجاثليق إسرائيل (ت٩٦٢ م/٣٥١هـ) لعلمه ومناقبه الجمة[٢].

وكان للخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م) دور في تنصيب الجاثليق سبريشوع الثالث (ت١٠٧٢م/٤٦٥هـ)وهو أيضاً من رهبان دير قنُّى ،وكان عالماً متضلعاً في الآداب الكنسية ، ومنحه البراءة التي أيد فيها حقوقه وجاء فيها : ((**أقامك سلطان المؤمنين جاثليقاً للنصارى القاطنين في بغداد مدينة السلام أو في كل البلاد والأقاليم ويعلن انك رئيسهم ورئيس الساكنين في بلاد المسلمين والذين يأتون أليها ويأمر بأن يطيع الجميع أقوالك**))[٣]. وهذا يبين مدى التسامح والمحبة التي تغلغلت في قلوب المسلمين تجاه العلماء من رهبان النصارى . وتأييدهم على بذل المزيد من الجهود في سبيل الإرتقاء في مجال العلم فباتت الديارات منبعاً لازدهار العلوم.

---

(١) قاشا ، لمحات ، ص٩ .

(٢) ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٩٨ ،٩٩ ؛ نصري ، ذخيرة الاذهان ، ج١ ، ص٤٢٦ ،٤٢٧ .

(٣) ماري بن سليمان ، نفسه ، ص١٢١.١٢٦ ، ؛ نصري ، نفسه ، ج١ ، ص٤٥٨ .٤٥٩ .

الخاتمة

الخاتـــمة

بعد أن تم إنجاز هذه الأطروحة العلمية بعون الله تعالى لابد لي من إبراز أهم النتائج التـي توصلت إليها ، ويمكن أجمالها على النحو الآتي :

١. لم تكن حياة العزلة والتأمل والتفكير وليدة العصر المسيحي ، بل عرفتها الأمم السابقة منذ القدم ، ولكن بصور مختلفة حيث وجدنا أن السومريين في العراق وبعض الأمم الأخرى التي تلتهم ، ومنهم البوذيون والمنانويون قد مارسوا أساليب مختلفة من العبادة الروحية المتمثلة بالعزلة والتأمل مع النفس ، ثم جاء دور النصارى بعد ذلك وكانت الرهبنة نابعةً من جوهر دينهم النصراني ، وهكذا لأن حياة الترهيب في جوهرها لم تكن جديدة بشكل كامل على المجتمع الإنساني ، بل رافقت وجود الإنسان منذ اقدم الأزمان .

٢. أن جوهر الديانة النصرانية يؤكد بوضوح على التعامل مع الروح وتهذيب النفس خلاف ما أكد عليه اليهود في تطبيقاتهم الدينية وذلك من خلال انصرافهم إلى المادة وكل ما يتطلب من تصرفات وسلوك للحصول على المزيد منها ، فكانت النصرانية على ما يبدو رد فعل انعكاسي على ممارسات اليهود . وهكذا كانت السبب الأول لظهور الرهبنة وجوهر وحقيقة الديانة النصرانية التي تحث على سمو النفس وصفائها من خلال العبادة المنفردة التي لا يشغلها ولا يقاطعها الاختلاط مع المجتمعات وهذا ما نلمسه بشكل واضح من الأناجيل الأربع.

٣. من خلال هذه الدراسة تبين لنا اضطهاد النصارى في بلاد الشام من قبل الرومان الوثنيين أو اليهود وكان سبباً ثانياً في زيادة عدد النصارى المنقطعين إلى النسك والهاربين بعيداً عن المدن إلى الصحاري والجبال .

٤. لم تكن حياة الرهبنة الأولى منظمة كما صارت عليه في القرن السادس الميلادي ، بل كانت حركة الرهبنة بدائية وغير منظمة وليست هناك صورة واضحة لأشكال الديارات التي سكنها أولئك الرهبان ، بل استغلوا وجود المغاوروالآبار والكهوف والخرائب المنعزلة للسكن فيها والانقطاع للعبادة .

٥. قد توصلت في هذه الأطروحة إلى أن مصر موطن الرهبنة الأول ولاسيما في الأراضي القفراء ،مرتفعات المنطقة الشرقية ، ومن هناك برزت التنظيمات الديرية الأولى ومن هناك انتقلت الرهبنة ونظام الأديرة عبر الشام إلى شمال العراق والجزيرة الفراتية أولاً ، ثم انتشرت في مناطق معينة من العراق كالمدائن وتكريت وكسكر والحيرة .

ويمكن القول أن ديارات العراق التي شاعت في القرنين السادس والسابع كانت أفضل النماذج للأديرة النصرانية في المنطقة العربية .

٦. أن وجود الأديرة الأولى في العراق في أماكن منعزلة وفي بيئات طبيعة مختلفة من الناحية الجغرافية كانتسبباً رئيسياً في تحديد شكل الدير ، وتخطيطه وطبيعة تحصينه أضف على ذلك أن سعته وكثرة ملاحقه تعتمد على الرهبان الذين يشغلونه .

٧.اعتمد الرهبان نساءاً ورجالاً في حياتهم اليومية للحصول على كسب أرزاقهم من خلال الحرف والصناعات التي كانوا يزاولونها ، إضافة إلى واجباتهم الدينية .

٨. على الرغم من الأنظمة والقوانين الديرية الصارمة التي حددت طبيعة الحياة النسكية في الأديرة رجالاً ونساءً، لكن مع ذلك كان هناك خروقات لهذه الأنظمة في بعض الأحيان إذ حصل أن اختلط الرهبان الرجال مع النساء بشكل يخالف الأنظمة الرهبانية .

٩. لقد خرجت الأديرة العراقية ومن خلال النظم النسكية والتعليمية قيادات دينية نصرانية تبوأت مناصب أساسية في السلك الديني النصراني.

١٠. لم يكن هدف الأديرة وخاصة بعد القرن السادس الميلادي هو العبادة المجردة بل أصبحت الأديرة مراكز علمية مرموقة نشطت في مجال التعليم والتأليف والبحث إذ أن الأديرة تكاد لاتخلوا من مدرسة للتعليم إلى جوار كنيسة الدير .

١١. رغم الفتح الإسلامي للعراق فإن الرهبان وأديرتهم لم يتعرضوا إلى أي نوع من الاضطهاد ، بل أن تعاليم الإسلام السمحاء تركت لهم حرية العبادة وممارسة شعائرهم والاحتفال بأعيادهم دون إزعاج وإن الأهم من ذلك أن المسلمين كانوا يشاركوهم في مثل تلك الاحتفالات والأعياد بكل حرية . وهذا مما أدى على ما يبدو إلى تبدل رسالة الدير الأساسي حيث صارت الأديرة في العصر العباسي تبنى قريبة من مراكز المدن وخاصة بغداد وفي المناطق الريفية الجميلة ، بالإضافة لممارسة الرهبان لصناعة وبيع الخمور مما جعل الرهبان على ما يبدو يفرضون بشكل أساسي إلى جعل الدير مؤسسة علمية واقتصادية بالدرجة الأولى علاوة على رسالته الدينية .

١٢. على ما يبدو أن هناك مغالاة من قبل بعض الكتاب والمؤرخين بوصف أحوال الأديرة ورهبانها في العراق وخاصة ما تطرقت إليه كتب الأدب التي أوردت بعض الأشعار لثلة من الشعراء المتهتكين ، وهذا فيه الكثير من التجني على الرهبان أو من يزورهم من المسلمين .

١٣. إن روح الدين الإسلامي وتعامل الكثير من الخلفاء العباسيين مع الرهبان وديارا تهم أدى إلى ضعف في الانتساب إلى الأديرة ، وربما تكون الحروب سبباً آخر

في هجر بعض الأديرة لأشغالها من قبل الجيوش ، أو لظروف بيئية كتغير مجاري الأنهر عن الأديرة وضعف الزراعة. كل ذلك أدى إلى تقلص عدد الأديرة وبالتالي تناقص أعداد الرهبان الملتحقين بها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

الكتب المقدسة

*القرآن الكريم

*الكتاب المقدس العهد الجديد ، الطبعة الرابعة ، مطبعة أطلس ، بغداد ، ١٩٩٣م .

المصادر والمراجع

الأبشيهي : شهاب الدين محمد احمد (ت ٨٥٠ هـ)

١. المستطرف في كل مستظرف ، القاهرة ، ١٨٩٦ م

ابن الأثير ، أبي الحسن علي بن مكرم بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بالجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

٢. الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

احمد بن يحيى ، المهدي لدين الله بن المرتضى

٣. البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، ١٩٤٩ م .

المنصور ، بغداد ، ١٩٤٨م .

الاخطل ، غياث بن غوث

٤. شعر الاخطل ، رواية : أبي عبد الله محمد بن العباس ، تحقيق : انطوان صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعين ، بيروت ، ١٨٩١ م .

الإدريسي ،

٥. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

ابن ادم ، يحيى

٦. الخراج ، تحقيق : محمد شاكر ، المطبعة الإسلامية بالأزهر ، مصر ، ١٩٣٤.

ادي شير

٧. تاريخ كلدو وآثور، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٣ .

آرثر ، كرستنسن

٨. إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحيى الخشاب ، مراجعة : عبد الوهاب عزام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٧ .

اسحق ، روفائيل

٩. تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا ، مطبعة المنصور بغداد ، ١٩٤٨ .

١٠. مدارس العراق قبل الإسلام ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٥٥ م .

١١. اسحق ، احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة شفيق ، بغداد ،١٩٦٠.

الاصطخري ، أبو اسحق إبراهيم بن محمد

١٢. المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، دار العلم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، ١٩٦١م.

الأصفهاني ، أبو الفرج

١٣. الأغاني ، طبعة دار الكتب ، ١٩٦١ م .

١٤. الديارات ، تحقيق : خليل العطية ، مطبعة لندن ، ١٩٩٥م .

افرام الثاني ، مار اغناطيوس

١٥. دير مار متي الشيخ ودير مار بهنام السيد ، المطبعة السريانية ، بيروت ، ١٩٢٨م.

١٦. في ذكر الأب الكر ملي الراهب العلامة ، المؤسسة العامة للثقافة والطباعة ، مطبعة الجمهورية بغداد ، ١٩٧٠م.

الآلوسي ، محمود شكري البغدادي

١٧. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرح وتصحيح : محمد بهجت الاتربي، مطبعة الرحمانية ، مصر .

البير ابونا

١٨. تاريخ الكنيسة الشرقية ، المطبعة العصرية ، الموصل ، ١٩٧٣ م .

١٩. آداب اللغة الآرامية ، بيروت ، ١٩٧٠م .

أمين ، أحمد

٢٠. ضحى الإسلام ، الطبعة العاشرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

٢١. فجر الإسلام ، مصر ١٩٤٥م .

اوليري ، د. لاسي

٢٢. علوم اليونان وسبل انتقالها للعرب ، ترجمة : وهيب كامل ، مراجعة : زكي علي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٦٢م.

٢٣.الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، ترجمة : تمام حسن ؛ محمد مصطفى حلمي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢م.

٢٤. مسالك الثقافة الإغريقية الى العرب ، ترجمة : تمام حسن ، مطبعة الرسالة ، نشر مطبعة الانكلو المصرية ، ١٩٥٧ .

أيمار ، اندرية ؛ أوبواية جانين

٢٥.روما وامبراطوريتها ، إشراف : موريس كر وزيه ، ترجمة : يوسف اسعد داغر؛ فريدم داغر ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٤ م.

البابرتي ، كمال الدين المعروف بأبن همام (ت ٨٦١ هـ)

٢٦. فتح القدير وتكملة شرح على الهداية ، مطبوع مع الهداية .

بار تولد ، و

٢٧. تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة : حمزة ظاهر ، دار المعارف ، مصر

بتلر ، د. الفردچ

٢٨. فتح العرب لمصر ، تعريب: محمد فريد أبو حديد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٣ م .

بدوي ، عبد الرحمن

٢٩.التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠م.

براورز ، بولس وآخرون

٣٠.المنجد في اللغة والأعلام طبعة١٦١ ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٨م.

بر صوم ، اغناطيوس افرام الأول

٣١. رسالة في الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، نشرت في مجلة المجتمع العلمي السوري دمشق ، ١٩٥١ م .

٣٢. اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، الطبعة الخامسة ، قدم له ونشره : يوحنا إبراهيم ، متر بوليت حلب ، ١٩٨٧.

بروي ، ادوارد ؛ أو بوايه جانين وآخرون

٣٣. القرون الوسطى ، ترجمة : يوسف اسعد داغر ؛ فريدم داغر ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٥م .

البستاني ، بطرس

٣٤. دائرة المعارف ، بيروت ، ١٨٨٤م.

البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ)

٣٥. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

البلاذري ، أبي الحسن احمد بن محي بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)

٣٦. فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق : رضوان محمد ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٧٨م .

البهنسي ، عفيف

٣٧. الفنون القديمة ، دار الرائد ، لبنان ، ١٩٨٢م .

البهوتي ، منصور بن يونس بن إدريس الحنبلي (١٠٥١هـ)

٣٨. كشاف القناع على من الامتناع ، المطبعة الشرقية ، مصر ، ١٩٠١ م .

البيروني ، أبو الريحان محمد بن احمد

٣٩. الآثار الباقية من القرون الخالية ، لايبزك ، ١٩٢٣م .

ترتون ، أ . س

٤٠. أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة وتعليق:حسن حبشي ،الطبعة الثانية،دار المعارف، ١٩٦٧م.

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م)

٤١. الجامع الصحيح لسنن الترمذي ، المكتبة الإسلامية

تسران ، نيافة الكردنيال

٤٢. خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ، نقلها إلى العربية :سلمان الصائغ ، الموصل ،١٩٣٩م.

التوحيدي ، أبو حسان علي بن محمد

٤٣.الامتناع والمؤانسة ، مصر ١٩٣٩م .

٤٤.البصائر والذخائر ، تحقيق : إبراهيم الگيلاني ، مطبعة أطلس والإنشاء ، دمشق ، ١٩٦٤م .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)

٤٥. رسائل الجاحظ ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٧ م

جمعية مار مينا العجايبتي

٤٦. الرهبنة القبطية ، الرسالة الثالثة ، الإسكندرية ، ١٩٤٧ م .

الجنابي ، كاظم

٤٧. تخطيط مدينة الكوفة ، تقديم : احمد فكر ، ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٧ م.

الجواليقي ، موهوب بن احمد (١٠٧٧-١١٤٥م)

٤٨.المعرب من الكلام الأعجمي ، تحقيق : احمد بن محمد شاكر ، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٩م .

ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج

٤٩. الصفوة ، طبعه واخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه : عبد الرحمن اللادمي ؛ حياة شيحا اللادمي الطبعة الرابعة ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠١م .

جونز ، أ . هـ . م

٥٠. مدن بلاد الشام ، ترجمة : إحسان عباس ، دار الشرق ، عمان ، ١٩٨٧م .

الجوهري ، إسماعيل بن حماد

٥١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

جيبون ، ادورد

٥٢. اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، نقله إلى العربية : محمد أبو درة ، راجعه وقدم له : احمد نجيب هاشم ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

حبي ، يوسف

٥٣. الدير الأعلى وكنيسة الطاهرة ، المطبعة العصرية ، الموصل ، ١٩٦٩ م .

٥٤. كنيسة المشرق الفجر الأصيل ، بغداد ، ١٩٨٨ م .

٥٥. المراكز السريانية الثقافية ، نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي في العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية ، المجلد التاسع ، بغداد ١٩٨٥م .

٥٦. دير مارا يليا ، بحث منشور في مجلة بين النهرين ، السنة الثانية،العدد (٧) .

حتي ، فيليب

٥٧. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد ؛عبد الكريم رافق ، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٨ م .

٥٨. تاريخ العرب ، ترجمة : المؤلف وزميله أ. جرجي ؛ جبور ، بيروت ،١٩٤٩ م.

حداد ، بطرس

٥٩. الرهبانيات النسائية في الكنيسة الكلدانية ، مطبعة الأديب ، بغداد ، ١٩٧٢م .

٦٠. كنائس بغداد ودياراتها ، شركة الديوان للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٤ م .

ابن حزم ، أبي محمد علي بن احمد الظاهري (١٠٦٣م)

٦١. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

حسين ، محمد عواد

٦٢. تاريخ الإسكندرية منذ اقدم العصور ، تقديم : محمد حمدي عاشور ، مراجعة : احمد فكر وآخرون ، مطبعة الإسكندرية ، ١٩٦٣م .

الحلبي ، جبرائيل القرد احي

٦٣. اللباب (كتاب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية) ، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩١م .

حما رنة ، سامي خلف

٦٤. تاريخ العلوم الطبية عند العرب المسلمين ، منشورات جامعة اليرموك ، المطبعة الوطنية ، عمان ، ١٩٨٦ م .

حميد الله ، محمد الحيدري آبادي

٦٥. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

حميد ، عبد العزيز

٦٦. دير القصير ، بحث منشور في مجلة بين النهرين ، العدد (٦٨) ، لسنة ١٩٨٩ م .

الحميري ، محمد بن عبد المنعم

٦٧. الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مطبعة السراج ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

ابن حوقل ، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي

٦٨. صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

الخربوطلي ، علي حسني

٦٩. الإسلام وأهل الذمة ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، ١٩٦٩ م .

الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

٧٠. تاريخ بغداد مدينة السلام ، مطبعة السعادة ، القاهرة ،١٩٣١م .

ابن خلدون ، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٥م)

٧١. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

٧٢. تاريخ أبن خلدون ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٥٦ .١٩٥٩م .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم (٦٨١هـ ـ١٢٨٢م)

٧٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

خودابخش

٧٤. الحضارة الإسلامية ، ترجمة وتعليق : علي حسني الخربوطلي ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٠م.

أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي

٧٥. سنن أبي داود ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٨ م .

داوني ، جلانفيل

٧٦. انطا كيا القديمة ، ترجمة وإشراف : إبراهيم نصحي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، القاهرة – نيويورك ، ١٩٦٧ م.

دراور ، ليدي

٧٧. في بلاد الرافدين صور وخواطر ، ترجمة وتعليق : فؤاد جميل ، مطبعة الشفيق ، بغداد ، ١٩٦١م .

الدليمي ، محمد نايف

٧٨. جمهرة وصايا العرب وصايا صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار النضال ، بيروت ، ١٩٩١ م.

دنيث ، دانيال

٧٩. الجزية والإسلام ، ترجمه وقدم له : فوزي فهيم جاد الله ، مراجعة : إحسان عباس ؛ حسين قاسم ، منشورات دار مكتبة الحياة بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، نيويورك ، ١٩٦٠م .

الدوري ، عبد العزيز

٨٠. مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩م .

٨١. تاريخ العرب الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٨ م .

دوزي ، رينهات

٨٢. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : اكرم فاضل ، وزارة الإعلام ، مديرية الثقافة العامة ، سلسلة المعاجم ، بغداد ١٩٧١ م .

دوماس ، فرانسوا

٨٣. آلهة مصر ، ترجمة : زكي سوسة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، مصر ، ١٩٨٦ م .

دي بـور

٨٤. تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

ديسو ، رينيه

٨٥. العرب في سوريا قبل الإسلام ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، مراجعة : محمد مصطفى زيادة نشر لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٩ م .

دي طرازي ، فيليب

٨٦. خزائن الكتب العربية في الخافقين ، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، بيروت ١٩٤٨ م .

ديورانت ، ول

٨٧. قصة الحضارة ، ترجمة : الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ ترجمة : محمد بدران ، بيروت .

الدينوري ، أبو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ/٨٩٥م)

٨٨. النبات ، شرح وتحقيق : برنهار و لفين ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

الديوه جي ، سعيد

٨٩. تاريخ الموصل ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٢ م .

٩٠. بيت الحكمة ، الطبعة الثانية ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، د.م ، ١٩٧٢ م .

الرافعي ، احمد المغربي (ت ٧٧٠هـ /١٣٦٨م)

٩١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،الطبعة السابعة ،المطبعة الأميرية ،القاهرة ، ١٩٢٨ م

رسام ، افرام

٩٢. تاريخ مار ميخائيل رفيق الملائكة ، المطبعة الشرقية الحديثة ، الموصل ، ١٩٦١ م .

ابن رستة ، أبي علي احمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)

٩٣. الأعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩٧ م .

رشاد ، عبد المنعم ؛ عبو ، عادل نجم

٩٤. تاريخ اليونان والرومان ، مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٩٣ م .

ابن رشيق القيرواني ، أبي علي الحسن

٩٥. العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق: محمد بدر الدين ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٠٧ م

الرملي ، شمس الدين محمد بن العباس احمد بن حمزة (١٠٠٤ هـ/١٥٩٥م)

٩٦. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج وهو على شرح المنهاج للنووي ، مطبعة بولاق ، مصر .

رؤوف ، صبيح محمد ؛ العبيدي ، صلاح حسين

٩٧. المظاهر العسكرية لحصن الاخيضر،بحث منشور في مجلة سومر،العدد(٣٢) ، لسنة ١٩٧٦ م.

رؤوف ، عبد السلام

٩٨. دير العاقول دراسة تاريخية طبوغرافية ، بحث منشور في مجلة الأقلام ، العدد الرابع ، كانون الثاني ، السنة ١٣ ، بغداد ، ١٩٧٨ م.

الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م)

٩٩. تاج العروس على جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوي .

الزركلي ، خير الدين

١٠٠. الأعلام ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت .

الزمخشري ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ/١١٤٣م)

١٠١. أساس البلاغة ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

ابن زنجويه ، حميد

١٠٢. كتاب الأموال ، تحقيق : شاكر ذيب فياض ، ١٩٨٦ م .

زيات ، حبيب

١٠٣. الديارات النصرانية في الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٨ م .

١٠٤. الجوالي أو جزية النصارى في الإسلام ، مجلة المشرق، السنة الحادية والأربعون، نيسان- حزيران ، ١٩٤٧م .

زيدان ، جرجي

١٠٥. تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة وتعليق : حسين مؤنس ، طبعة دار الهلال ، القاهرة .

زيدان ، عبد الكريم

١٠٦.أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة القدس ، بغداد ، ١٩٧٦ م .

ساكا ، اسحق

١٠٧. السريان إيمان وحضارة ، مطبعة السريان الأرثوذكس ، حلب ، ١٩٨٣ م.

ساكز ، هادي

١٠٨. قوة اشور ، ترجمة : عامر سلمان ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٤م .

السامر ، فيصل

١٠٩. الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، مطبعة الإيمان ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

السامرائي ، كمال

١١٠. مختصر تاريخ الطب العربي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٤ م .

السرخسي ، الحنفي (ت ١٨٩ هـ/٨٠٤م)

١١١. شرح السير الكبير ، مط دار المعارف النظامية ، حيدر آباد ، ١٣٣٥ هـ/١٩١٦م .

ابن سعد ، محمد

١١٢. الطبقات الكبرى ، دار صادر و دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٧م .

سعيد ، حبيب

١١٣. في موكب التاريخ عشرون قرناً ، مطبعة الكاتب المصري ، القاهرة .

السقاف ، احمد محمد زين

١١٤. الأوراق ، دون مطبعة ، ١٩٥٤ م .

سوسة ، احمد

١١٥. العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الاعتدال ، دمشق .

١١٦. ري سامراء ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٨ م .

١١٧. فيضانات بغداد ، مطبعة الأديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٦٣ م .

ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٥م)

١١٨. المخصص ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ م.

سيد سابق

١١٩. فقه السنة ، طبعة جديدة منقحة ومخرجة الأحاديث ومذيلة بأحكام الأحاديث للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١ هـ/١٥٠٥م)

١٢٠. الجامع الصغير في حديث البشير النذير ، الطبعة الرابعة ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٣ م .

١٢١.تفسير الجلالين،قدم له وعلق عليه:محمد كريم بن سعيد راجح ،الدرار العربية للطباعة ، بغداد.

١٢٢. الإتقان في علوم القران ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ/٩٩٨م)

١٢٣. الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥١ م ؛ الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

الشافعي ، أبى عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ/٨١٩م)

١٢٤. ألام ، برواية الربيع بن سليمان المرادي ، مطبعة بولاق ، مصر ، ١٩٠٧ م .

شتريك ، مكسيمان

١٢٥. خطط بغداد وانهار العراق القديمة ، ترجمة : خالد إسماعيل علي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦ .

أبن شداد ، عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم

١٢٦. الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : سامي الدهان ، المطبعة الكاثوليكية بيروت .

الشربيني ، محمد الخطيب (ت ٩٧٧ هـ/١٥٦٩م)

١٢٧. مغني المحتاج إلى معني ألفاظ المنهاج ، شرح على متن المنهاج للنووي.

شعراوي ، محمد متولي

١٢٨. خواطر فضيلة الشيخ حول القران الكريم ، القاهرة .

شكري ، منير

١٢٩.أديرة وادي النطرون ، ١٩٦٢ م .

شلبي ، احمد

١٣٠. مقارنة الأديان ، اليهودية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م.

الشنشتاوي ، احمد وآخرون

١٣١. دائرة المعارف الإسلامية،أشراف : الشنشتاوي ؛ عبد الحميد يونس، مراجعة وزارة المعارف.

شوريز ، الفونس جميل

١٣٢. الكنيسة الكلدانية في التاريخ ، المطبعة الكلدانية ، الموصل .

شيخو ، لويس اليسوعي

١٣٣. النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٩ م .

الصائغ ، سليمان

١٣٤. تاريخ الموصل ، مطبعة الكريم ، لبنان ، ١٩٥٦ م .

الصابئ ، أبى الحسين هلال بن المحسن (٤٤٨هـ ـ١٠٥٦م)

١٣٥. تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر .

الصابوني ، محمد علي

١٣٦. صفوة التفاسير ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٩٨ م.

الصاوي ، محمد إسماعيل عبد الله

١٣٧. شرح ديوان جرير (مضاف إليه تفسيرات العالم اللغوي أبي جعفر محمد بن حبيب) ، الكتاب الكامل ، الشركة اللبنانية للكاتب ، لبنان .

صفوت ، احمد زكي

١٣٨. جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة ، تصنيف وتبويب : عبد الجبار ناجي واخرون ، إشراف : عبد الأمير الاعسم ، مراجعة وتقديم : محمد جاسم الحديثي ، الطبعة الرابعة ، بغداد ، ٢٠٠٠ م .

صليب ، جميل

١٣٩. المعجم الفلسفي ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

طاهر ، خليل

١٤٠. الأديان والإنسان منذ مهبط آدم حتى اليهودية المسيحية الإسلام ، تقديم ومراجعة : عبد الحليم محمود ، دار مأمون للطباعة .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م)

١٤١. تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

١٤٢. جامع البيان في تفسير القرآن ، ضبط وتعليق : محمود شاكر ، تصحيح : علي عاشور ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١ م .

الطريحي ، محمد سعيد

١٤٣. الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

الطوني ، يوسف جرجيس

١٤٤. تكريت في العصور الإسلامية دراسة في مظاهرها الحضارية ، وزارة الثقافة والأعلام ، سلسلة موسوعات مدن العراق ، موسوعة مدينة تكريت ، بغداد ، ١٩٩٧م ، الجزء الثالث .

ابن الطيب ، أبو الفرج عبد الله (ت ١٠٤٣ م)

١٤٥. فقه النصرانية ، سلسلة مجموعة الكتاب النصارى الشرقيين (الكتاب العربي) ، المجلد ١٧٦ ، لوفا ، ١٩٥٧ م .

عاشور ، سعيد عبد الفتاح

١٤٦. أوربا الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٨م)

١٤٧. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : علي محمد البيجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٤ م .

عبد الحميد ، عرفان

١٤٨. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، مطبعة اسعد ، بغداد .

ابن عبد ربه ، أبو عمر احمد بن محمد (٣٢٨هـ. ٩٣٩م)

١٤٩. العقد الفريد ، تحقيق : احمد أمين وآخرون ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٨-١٩٥٣ م .

ابن العبري ، مار غريغوريوس يوحنا الملطي (٦٨٥هـ. ١٢٨٦م)

١٥٠. تاريخ مختصر الدول ، تصحيح وفهرست : انطوان صالحاني اليسوعي ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

١٥١. الاثيقون ، (فلسفةالاداب الخلقية)، ترجمة: مار غر يغوريوس بهنام ، مطبعة الشباب القامشلي ١٩٦٧.،

١٥٢. تاريخ الزمان ، ترجمة : اسحق أرملة ، دار المشرق ، بيروت ١٩٩١ م .

١٥٣. الحمامة ، ترجمة وتحقيق : زكا عيواص ، مطبوعات مجمع اللغة السريانية ، بغداد ، ١٩٧٤ والآخر ، منشور في مجلة المشرق ، السنة الخمسون لعام ١٩٥٦ .

عبو ، عادل نجم

١٥٤. القباب الوترية ، بحث منشور في موسوعة الموصل الحضارية ،دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٩٢ م .

أبو عبيدة ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ/٨٣٨م)

١٥٥. كتاب الأموال ، تحقيق وتعليق : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٦ م .

عد ناح ، يشو (ت نهاية القرن الثامن الميلادي)

١٥٦. الديورة في مملكتي الفرس والعرب، ترجمة :بولس شيخو، مطبعة النجم ،الموصل ،١٩٣٩م .

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن علي الشافعي(ت٥٧١ هـ/١١٧٥م)

١٥٧. تهذيب تاريخ ابن عساكر ، هذبه ورتبه : عبد القادر مصطفى ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩١١ م.

عطية الله ، احمد

١٥٨. القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

العلايلي ، عبد الله

١٥٩. تجديد صحاح الجوهري ، أعداد وتصنيف : نديم مرعشلي ؛ أسامة مرعشلي ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

العلوچي ، عبد الحميد

١٦٠. تاريخ الطب العراقي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٧ م .

علي ، جواد

١٦١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النهضة ، بغداد ، ١٩٧٣ م .

علي ، سيد أمير

١٦٢. مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي ، نقله إلى العربية : رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٨م .

العلي ، صالح احمد

١٦٣. معالم العراق العمرانية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ م .

١٦٤. خطط البصرة ومنطقتها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٦٨ م .

ابن عماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي

١٦٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨م .

العمري ، أبن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م)

١٦٦. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق ، احمد زكي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤ م .

عواد ، كوركيس

١٦٧. اثر قديم في العراق دير الربان هرمزد ، مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٣٤ م .

١٦٨. خزائن الكتب القديمة في العراق (منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ هـ) ، الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٦ م.

عواد ، ميخائيل

١٦٩.دير قُنَّى موطن الوزراء ومعقل المسيحية في العراق ، مطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،١٩٣٩م .

الغساني ، الملك الأشراف

١٧٠. العسجد المبسوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم ، دار لبنان ، بغداد ، ١٩٧٥ م ، دار التراث الإسلامي ، بيروت .

غني ، قاسم

١٧١. تاريخ التصوف في الإسلام ، ترجمه عن الفارسية : صادق نشأت ، مراجعة : احمد ناجي القيسي ؛ محمد مصطفى حلمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

غنيمة ، يوسف رزق الله

١٧٢. الحيرة المدينة والمملكة العربية ، مطبعة دانكو ، بغداد ، ١٩٣٦ م .

الفاخوري ، حنا ؛ الجر ، خليل

١٧٣. حركة النقل بعد الفتح الإسلامي ، بحث منشور في مجلة المسرة ، السنة ٤٤ ، ١٩٥٨ .

ابن فارس ، أبي الحسن احمد بن زكريا (٣٩٥ هـ/١٠٠٤م)

١٧٤. معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط : عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٧٠م .

الفراهيدي ، الخليل ابن احمد

١٧٥. كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، عمان ، ١٩٨٢ م .

فشر ، هـ . أ . ل

١٧٦. تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، الطبعة السادسة ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة ؛ الباز العريني ، دار المعارف ، القاهرة .

الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م)

١٧٧. القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

فييه ، جان موريس الدومنيكي

١٧٨. الآثار المسيحية في الموصل ، ترجمة : نجيب قاقو ، راجعه ونقحه وصححه : البيرابونا ، بغداد ، ٢٠٠٠ م .

١٧٩. أضواء على انتشار الرهبنة في بلاد النهرين ، تعريف : نجيب قاقو ، مجلة بين النهرين ، عدد خاص ، مطبعة الأديب

١٨٠. أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، نقله إلى العربية : حسني زينة ،دار المشرق ش م م، ساهم في إصدار هذا الكتاب مجلس كنائس الشرق الأوسط ، بيروت ، ١٩٩٠ ، .

قاشا ، سهيل

١٨١. لمحات من تاريخ نصارى العراق ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٨٢م.

قب ، متوديوس زهيراني

١٨٢. لوحات من تاريخ الكنيسة حلب ، ١٩٦٣ م.

ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ. ٨٨٩ م)

١٨٣. المعارف ، حققه وقدم له : ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية المنقحة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ م .

ابن قدامة المقدسي ، أبي عبد الله بن احمد (ت ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م)

١٨٤. المغني ، الطبعة الثالثة ، طبع إدارة المنار ، ١٩٤٧ م .

القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري

١٨٥. الجامع لأحكام القران ، تحقيق : سالم مصطفى البدري،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠ م

القرماني ، أبو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت ١٠١٩ هـ/١٦١٠م)

١٨٦. أخبار الدول وآثار الأوَّل في التاريخ ، طبعة عالم الكتب ، بيروت .

القفطي ، جمال الدين أبي الحسن علي يوسف

١٨٧. تاريخ الحكماء ، تحقيق محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٢٦ م .

القلقشندي ، ابن أبي العباس أحمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

١٨٨. صبح الأعشى في صناعة الانشا ، الطبعة العاشرة ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

قنواتي ، جورج شحاتة

١٨٩. المسيحية والحضارة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

القيصري ، اعتماد يوسف

١٩٠. فن التجليد عند المسلمين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ م .

القيصري ، يوسابيوس

١٩١.تاريخ الكنيسة ، ترجمة مرقس داود ، نشر : دار الكرنك للطبع للطبع والتوزيع ، مطبعة الوحدة ، القاهرة .

ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م)

١٩٢. أحكام أهل الذمة ، تحقيق : صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦١ م .

١٩٣. بدائع التفسير الجامع ، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه : يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، ١٩٩٣ م .

الكاساني ، علاء الدين أبي بكر بن مسعود الحنفي (٥٨٧ هـ/١١٩١م) .١٩٢

١٩٤. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، المطبعة الجمالية ، مصر ، ١٣٢٨ هـ

الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

١٩٥. فوات الوفيات ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،١٩٧٣ .

أبن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

١٩٦. البداية والنهاية ، الطبعة السادسة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

١٩٧. تفسير القرآن العظيم ، دار احياء الكتب العربية المصرية ، مصر .

كرد علي ، محمد

١٩٨. خطط الشام ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠م .

ابن كلدون ، يوحنا

١٩٩. تاريخ يوسف بوسنايا ، ترجمة : يوحنان جلاغ ، مطبعة المشرق ، بغداد ، ١٩٨٤ م .

كوساقب ، اكاكيرس

٢٠٠. إرادة رسوليه (في الرهبان و أموال الكنيسة ومعنى الكلمات للكنائس الشرقية ، المطبعة البوليسية ، لبنان ، ١٩٥٢ م .

لسترنج ، كي

٢٠١. بغداد في عهد الخلافة العباسية ، تعريب : بشير يوسف فرنسيس ، بغداد ، ١٩٣٦ م .

لومون

٢٠٢. خلاصة تاريخ الكنيسة ،ترجمة: يوسف البستاني، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت ، ١٨٨١م.

٢٠٣. مختصر تواريخ الكنيسة ، استخرجه حديثا من اللغة الفرنسية إلى العربية : خوري يوسف داود ، مطبعة الأباء الدومنيكيين ، الموصل ، ١٩٧٣ م .

ماجد ، عبد المنعم

٢٠٤.التاريخ السياسي للدولة العربية وعصر الخلفاء الأمويين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

ماري بن سليمان (ت القرن الثامن الميلادي)

٢٠٥. أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متي ، طبعة رومية الكبرى ، ١٨٩٩ م .

المالكي ، ابن فرحون

٢٠٦. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق : محمد الاحمدي ؛ أبو النوار ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري البغدادي

٢٠٧.الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الطبعة الثانية ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٦م .

ماير هوف ، ماكس

٢٠٨.من الإسكندرية إلى بغداد ،ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، الطبعة الثانية ، نشر : دار النهضة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

المبرد ، أبي العباس محمد بن يزيد (ت١٧٣هـ/٧٨٩م)

٢٠٩. الكامل ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ السيد شحاته ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .

متز ، آدم

٢١٠. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (أو عصر النهضة في الإسلام) ، نقلة إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الكتب العربي ، بيروت .

مجهول

٢١١. التاريخ السعردي ، نشر : ادي شر ، باريس ، ١٩١٨ م.

مراد ، موسى يونان

٢١٢. حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي ، ١٩٧٣ م.

المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)

٢١٣. التنبيه والأشراف ، تصحيح ومراجعة:عبد الله إسماعيل الصاوي،مكتبة المثنى، بغداد،١٩٣٨ .

مصطفى ، شاكر

٢١٤. التاريخ العربي والمؤرخون ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٢١٥. المدن في الإسلام ، ١٩٨٨م .

المعاضيدي ، عبد القادر سلمان

٢١٦. واسط في العصر الأموي (٨١ هـ .١٣٢هـ/٧٠٠م . ٧٤٩م) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٦م.

٢١٧. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند احمد بن حنبل ، ترتيب وتنظيم : لفيف من المستشرقين، نشر : ونسنك ومنسبخ ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٤٣ م، (خب . سنر) .

ابن المعتز ، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي

٢١٨. ديوانـه ، باريس ، ٣٠٧٨ .

معلوف ، لويس اليسوعي

٢١٩. المنجد ، الطبعة التاسعة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧ م .

المقدسي ، شمس الدين أبي عبد الله بن احمد البشاري (٣٧٥هـ)

٢٢٠. احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، مطبعة ليدن ، بريل ، ١٩٠٦م .

المقريزي ، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م)

٢٢١. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعرفة بالخطط المقريزية)،طبعة جديدة بالأوفست ، بغداد ، ١٩٧٠م .

٢٢٢. السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م.

المكي ، محمد عبد الله بن اسعد بن علي سليمان اليافعي اليمني (٧٦٨هـ)

٢٢٣. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، منشورات الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

الملاح ، هاشم يحيى

٢٢٤. الحركة الفكرية في تكريت في العصر العباسي ، سلسلة موسوعات مدن العراق ، موسوعة مدينة تكريت ، ١٩٩٧م ، الجزء الثالث .

منا الكلداني ، يعقوب أوجين

٢٢٥. دليل الراغبين في لغة الآراميين ، مطبعة الاباء الدومنكيين ، الموصل ، ١٩٠٠ م .

المنجد ، صلاح الدين

٢٢٦. بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ، الطبعة الثانية ، مزيدة ، دار الكتب الجديد ، بيروت ، ١٩٤٧ م.

المنذري والخطابي وابن القيم

٢٢٧. مختصر وشرح وتهذيب سنن أبي داود ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ/١٣١١م)

٢٢٨. لسان العرب ، دار لسان العرب ، بيروت .

ميناس ، روفائيل

٢٢٩. رهبان من كركوك ، بحث منشور في مجلة المجمع العملي العراقي ، هيئة اللغة السريانية ، شركة التايمس للطبع والنشر ، ١٩٨١-١٩٨٢ م .

نخلة ، روفائيل اليسوعي

٢٣٠. غرائب اللغة العربية ، طبعة ٢، مطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

الندوي ، أبو الحسن علي الحسني

٢٣١. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة العاشرة ، دار الأنصار ، مطبعة التقدم ،١٩٧٧م.

ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق الوراق

٢٣٢. الفهرست ، تحقيق : رضا حداد ، مطبعة دانشكاه ، ١٩٩١ م .

نصري ، الكلداني ، بطرس

٢٣٣. ذخيرة الأذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان ، مطبعة الاباء الدومنيكيين ، الموصل ، ١٩٠٥ م .

أبو نؤاس ، الحسن بن هانئ أبي عبد الله الأول ابن صباح الحكمي

٢٣٤. الديوان ، تحقيق : احمد عبد المجيد الغزالي ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

النينوي ، اسحق

٢٣٥. سيرة الرهبنة ، بحث منشور في مجلة المشرق ، مجلد (٥٩) .

هل . ي

٢٣٦. الحضارة العربية ، ترجمة : إبراهيم العدوي ، مكتبة الانكلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

هندية ، حنة عجيمي

٢٣٧. سيرة الرهبان ، تقديم : ميشال حايك ، مجلة المشرق ، الجزء الرابع ، ١٩٦٥م .

وجدي ، محمد فريد

٢٣٨. دائرة معارف القرن العشرون (الرابع عشر – العشرون) ، دار الفكر ، بيروت .

وردة ، ابلحد

٢٣٩. رسالة ايشو عياب الحديابي إلى الرهبان ، بحث منشور في مجلة بين النهرين ، مطبعة الأديب البغدادية ، العدد ١٤ – ١٥ (عدد خاص) ، ١٩٧٦ م .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م)

٢٤٠. معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت

يتيم ميشل ؛ ديك ، اغناطيوس

٢٤١. تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية ، طبعة٢ منقحة ، مطبعة الإحسان ، حلب

يعقوب الثالث ، اغناطيوس

٢٤٢. دفقات الطيب في تاريخ مار متي العجيب ، مطبعة الراسي ، زحلة ، ١٩٦١ م ٣٠ م.

اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ١٩٢ هـ/٨٠٧م)

٢٤٣. تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

٢٤٤. البلدان ، طبعة برل ، لايدن ، ١٨٩٢ م .

أبو يعلي ، محمد بن الحسن الفراء

٢٤٥. الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي ، الطبعة الثانية ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٦ م .

اليوزبكي ، توفيق سلطان

٢٤٦.تاريخ أهل الذمة في العراق ، (١٠ – ٢٤٧ هـ) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٣ م .

اليوسف ، عبد القادر احمد

٢٤٧. الإمبراطورية البيزنطية ، دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦م .

أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري

٢٤٨. الخراج ، الطبعة الثالثة ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

الرسائل والاطاريح الجامعية

١. **الراوي** ، **عاصم مراد ظاهر إبراهيم** ، ابن بطلان البغدادي وكتابه دعوة الأطباء ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢ م .

٢. **الربيعي** ، **جاسم صكبان علي** ، نصارى العراق في العصر الأموي (٤٠-١٣٢هـ /٦٦٠-٧٥٠م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،١٩٧٤ .

٣. **عقراوي** ، **ثلما سنتيان** ، المرأة ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، أطروحة ماجستير مطبوعة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ م .

٤. **محمود** ، **فتحي احمد** ، قبيلة أياد في التاريخ حتى مطلع العصر الراشدي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٧ م .

المصادر الاجنبية

1. G. Morony , IRaQ After the Muslim Conquest .

الملاحق

١. أبرشية : كلمة يونانية يقصد بها ولاية الأسقف الكنسية ، وجمعها أبرشيات .

٢. أسقف : كلمة يونانية وهي رقيب أو ناظر وهو الرئيس للكهنة الذي يتولى تدبير أمور الأبرشية ، وهو الذي يراقب رعيته في أمور دينهم . والأسقف لقب ديني لأحبار النصارى وهو فوق القسيس ودون المطران . أما الأسقفية فهي درجة الأسقف ورعيته و موضع ممارسة سلطته . وقيل أن الأسقفية هي درجة وليست لقب .

٣. بطريرك : وهي كلمة يونانية تطلق على رئيس الآباء (أبو الآباء) ومقدم النصارى وهو الرئيس الأعلى للأساقفة ، وبقصد التخفيف يلفظ بطرك وتجمع بطارك ، ولفظة البطريق معناها قائد في المملكة البيزنطية ، والبطرك هو العالم عند اليهود .

٤.الجاثليق : وهو دون البطرك أُستعمل هذا اللفظ لرؤساء النساطرة و الآرمن ، ويقابله عند اليعاقبة المفريان وهو دون رتبة البطرك وفوق درجة الأسقف ، والجاثليق هو رئيس النصارى في بلاد الإسلام . وجمع كلمة جاثليق جثالقة ، والاسم منها يكون الجثلقة .

٥.المطران : وهو بين الأسقف والبطريرك ، ومعناه رئيس الأساقفة المقيم في مدينة كبيرة وكلمة مطران يونانية الأصل (متروبوليت) ومعناها رئيس العاصمة .

٦. القسيس : وهي كلمة آرامية معناها كاهن أو شيخ وهو دون الأسقف وفوق الشماس والقسيسية درجة لارتبة ، فإن بعض الرتب تتقدم القس كرتبة (الخور أسقف) ورأس الدير ومقدم الكهنة . وهو خادم الكهنوت عندهم أي خادم دينهم وإمامهم في أمور عبادتهم .

ملحق رقم (١) بعض المصطلحات المفيدة في دراسة البحث

٧.الشماس : اصل هذه الكلمة سرياني ومعناها الخادم وهو دون القسيس وجمع كلمة شماس ، شمامسة ، والشماس معاون القسيس في أثناء المراسيم الدينية ، والشماس ليس خادم الكنيسة بل هو من يقوم بالخدمة الكنسية .

٨.الأنبا : كلمة يونانية وتطلق بشكل خاص على رئيس الدير ، ويطلقها الأقباط على البطارقة و الأساقفة .

٩.مفريان : كلمة سريانية الأصل معناها المثمر ، وهذا الأسم يطلق على رتبة كنسية خاصة بالكنيسة السريانية ، ويكون مرادف لكلمة الجاثليق .

١٠. عماد ، معمودية : وهو ماء مقدس يغمس فيه المتعمد بأسم الأب والابن وروح القدس فيصبح المتعمد مسيحياً ، وفي بعض النحل يستعمل ماء المعمودية رشاً وهو أول أسرار النصرانية .

ينظر بشأن أعداد هذه الشروح : ابن سيدة ، المخصص ،سفر ١٣، ص٩٩ـ١٠٢ ؛ الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ،ج٢ ، ص٢٤٠،٢٢٤ ؛ عدناح ، الديورة ، ص١٢ ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٥٠٢،٤٩٨،١٤٢ ؛ نخلة ، غرائب اللغة العربية ،ص٢٥٥ ؛ شيخو ، النصرانية وآدابها ، ص١٩١،١٩٠ .

ملحق رقم (٢) الأديرة في العراق عند الشابشتي (ت ٣٨٨هـ)

ت	اسم الدير	موقعه الجغرافي	ت	اسم الدير	موقعه الجغرافي
١	دير درمالس	ببغداد	٢٥	دير زرارة	بين بغداد والكوفة
٢	دير سمالو	ببغداد	٢٦	عُمر مريونان	بالأنبار
٣	دير الثعالب	بينه وبين بغداد ميلان	٢٧	.ير قُنى	١٦ فرسخ من بغداد
٤	دير الجاثليق	قرب بغداد	٢٨	عُمر كسكر	في واسط
٥	دير مديان	قرب بغداد	٢٩	قبة الشتيق	بالحيرة
٦	دير أشموني	بقطربل			
٧	دير سابر	قرب بغداد			
٨	دير قوطا	من نواحي بغداد			
٩	دير مرجرجس	بينه وبين بغداد أربعة فراسخ			
١٠	دير باشهرا	على شاطئ دجلة بين سامراء وبغداد			
١١	دير العلث	غربي مدينة بلد			
١٢	دير العذارى	اسفل الحظيرة وهي قرية كبيرة من أعمال بغداد			
١٣	دير السوسي	بنواحي سر من رأى			
١٤	دير مرماري	بسر من رأى			
١٥	دير مريحنا	إلى جانب تكريت			
١٦	دير صباعي	شرقي تكريت			
١٧	دير الأعلى	بالموصل			
١٨	دير يونس بن متي	بنينوى شرق الموصل			
١٩	دير الشياطين	بين بلد والموصل(اسكي موصل)			
٢٠	دير ماسرجيس	بعانة			
٢١	دير ابن مزعوق	بظاهر الحيرة			
٢٢	دير سرجس	بين الكوفة والقادسية			
٢٣	ديارات الاساقف	بالنجف ظاهر الكوفة			
٢٤	دير هند بنت النعمان	بالحيرة			

بعض ما ضاع من الديارات للشابشتي

ت	اسم الدير
١	دير الروم
٢	دير الزندورد
٣	دير الزرنوق
٤	دير صليبا

الديارات المعروفة بالعجائب عند الشابشتي

ت	اسم الدير	موقعه
١.	دير الخنافس	بين الموصل وبلد
٢.	دير الكلب	بين الموصل وبلد
٣.	دير القيارة	غربي الموصل
٤.	دير باطا (الحمار)	بين الموصل وتكريت وهيت
٥.	دير مار شمعون	بنواحي السن
٦.	دير العجاج	بين تكريت وهيت

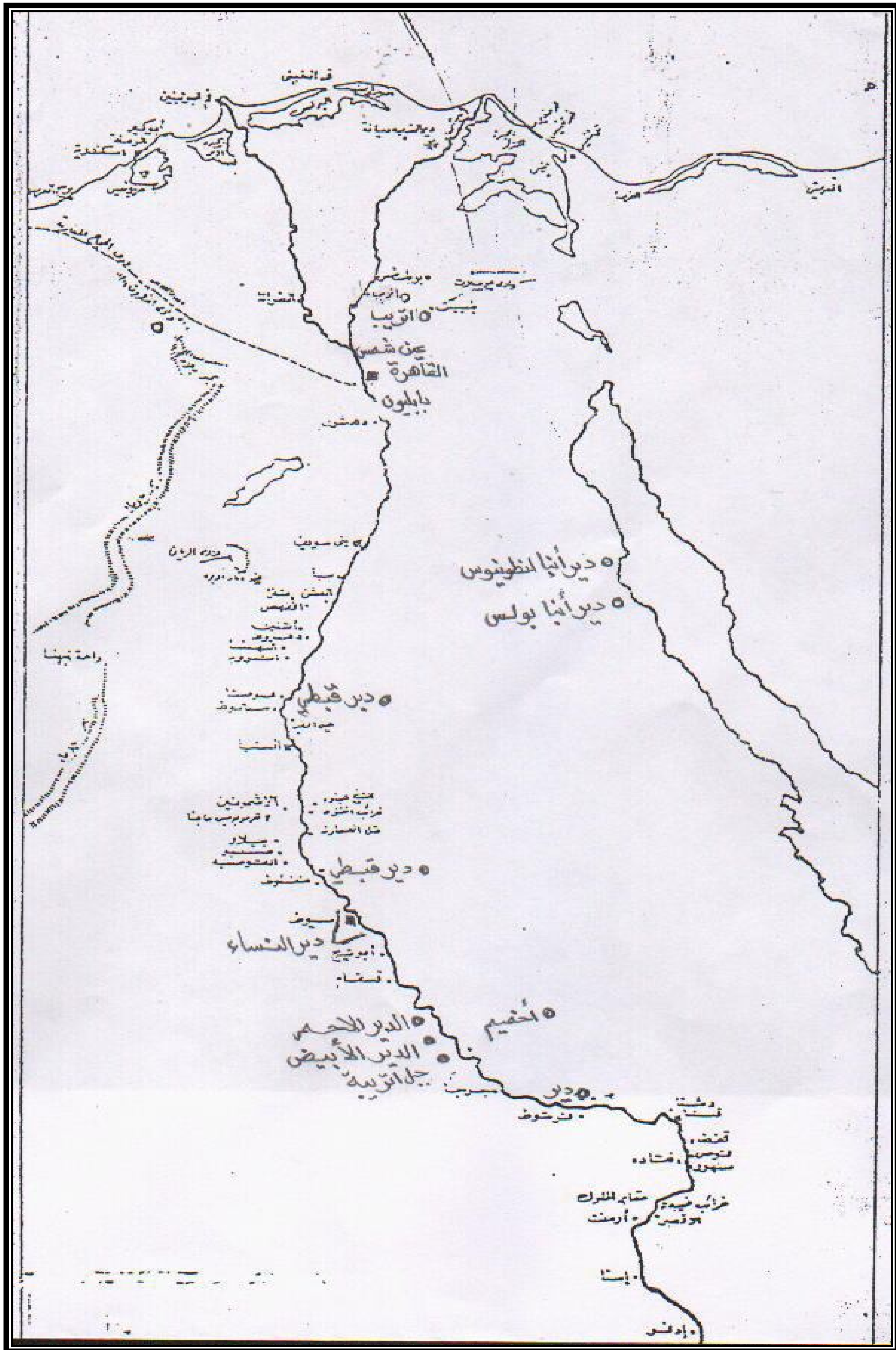
ملحق رقم (٣) الأديرة في العراق عند ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)

ت	اسم الدير	موقعه الجغرافي	ت	اسم الدير	موقعه الجغرافي
١	دير ابن براق	بظاهر الحيرة	٢٧	دير الروم	ببغداد
٢	دير ابن وضاح	بنواحي الحيرة	٢٨	دير الزرنوق	مطل على دجلة وهو معمور إلى الآن
٣	دير أبي يوسف	فوق الموصل ودون بلد	٢٩	دير سابا	قرية بالموصل
٤	ديارات الاساقف	بالنجف ظاهر الكوفة	٣٠	دير سابر	قرب بغداد
٥	دير الاسكون	بالحيرة	٣١	دير سعيد	غربي الموصل
٦	دير اشموني	بقطربل	٣٢	دير سمالوا	ببغداد
٧	دير الأعلى	بالموصل	٣٣	دير السوا	بظاهر الحيرة
٨	دير الأعور	بظاهر الكوفة	٣٤	دير السوسي	بنواحي سر من راى
٩	دير باشهرا	على شاطئ دجلة بين سامراء وبغداد	٣٥	دير الشاء	الكوفة
١٠	دير باعربا	بين الموصل والحديثة	٣٦	دير الشياطين	بين بلد والموصل
١١	دير باغوث	بين الموصل وجزيرة ابن عمر	٣٧	دير صباعي	شرقي تكريت
١٢	دير باطا	بين الموصل وتكريت وهيت	٣٨	دير صلوبا	من قرى الموصل والله اعلم
١٣	دير بانخايال	أعلى الموصل	٣٩	دير الطواويس	بسامرا
١٤	دير بني مرينا	بظاهر الحيرة	٤٠	دير العاقول	بين مدائن كسرى والنعمانية بينها وبين بغداد ١٥ فرسخا
١٥	دير الثعالب	بينه وبين بغداد ميلان	٤١	ديرعبد المسيح	بظاهر الحيرة
١٦	دير جابيل	في البصرة	٤٢	دير عبدون	بسر من راى
١٧	دير الجاثليق	قرب بغداد	٤٣	دير العجاج	بين تكريت وهيت
١٨	دير الجب	شرقي الموصل	٤٤	دير العذارى	بين الموصل و باجرمى
١٩	دير الجرعة	بالحيرة	٤٥	دير العلث	قرب الخطيرة دون سامراء
٢٠	دير الجماجم	بظاهر الكوفة	٤٦	دير علقمة	بالحيرة
٢١	دير الحريق	بالحيرة	٤٧	دير فيثون	بسر من رأى
٢٢	دير حنظله آخر	بالحيرة	٤٨	ديرالقائم الأقصى	في طريق الرقة من بغداد
٢٣	دير حنة	بالحيرة	٤٩	دير القباب	من نواحي بغداد
٢٤	دير درتا	غربي بغداد	٥٠	دير قرت	على طرق البر
٢٥	دير درمالس	ببغداد	٥١	دير قنى	١٦ فرسخ من بغداد
٢٦	دير الدهدار	بنواحي البصرة	٥٢	دير قوطا	من نواحي بغداد

ت	اسم الدير	موقعه الجغرافي
٥٤	دير الكلب	بنواحي الموصل
٥٦	دير اللج	بالحيرة
٥٧	دير مارفايثون	بالحيرة
٥٨	دير مانخايال	بأعلى الموصل
٥٩	دير مار سرجيس	بالمطيرة قرب سامرا
٦٠	دير متي	شرقي الموصل
٦١	دير مديان	قرب بغداد
٦٢	دير مرتوما	بميا فارقين قاله الشابشتي في طريق تكريت
٦٣	دير مرجرجس	بينه وبين بغداد أربعة فراسخ
٦٤	دير مرجرجيس	فوق بلد بينها وبن جزيرة ابن عمر ثلاثة فراسخ
٦٥	دير مرماري	من نواحي سامرا
٦٦	دير مريحنا	إلى جانب تكريت
٦٧	دير المزعوق	بظاهر الحيرة
٦٨	دير ميخائيل	في الموصل
٦٩	دير ملكيساو	مطل على دجلة فوق الموصل
٧٠	دير منصور	شرقي الموصل
٧١	دير النمل	بالقرب من مدينة بلد
٧٢	دير هزقل	بين البصرة وعسكر
٧٣	دير هند الصغرى	بالحيرة
٧٤	دير هند الكبرى	بالحيرة
٧٥	دير يونس	مقابل الموصل وموضعه يعرف نينوى

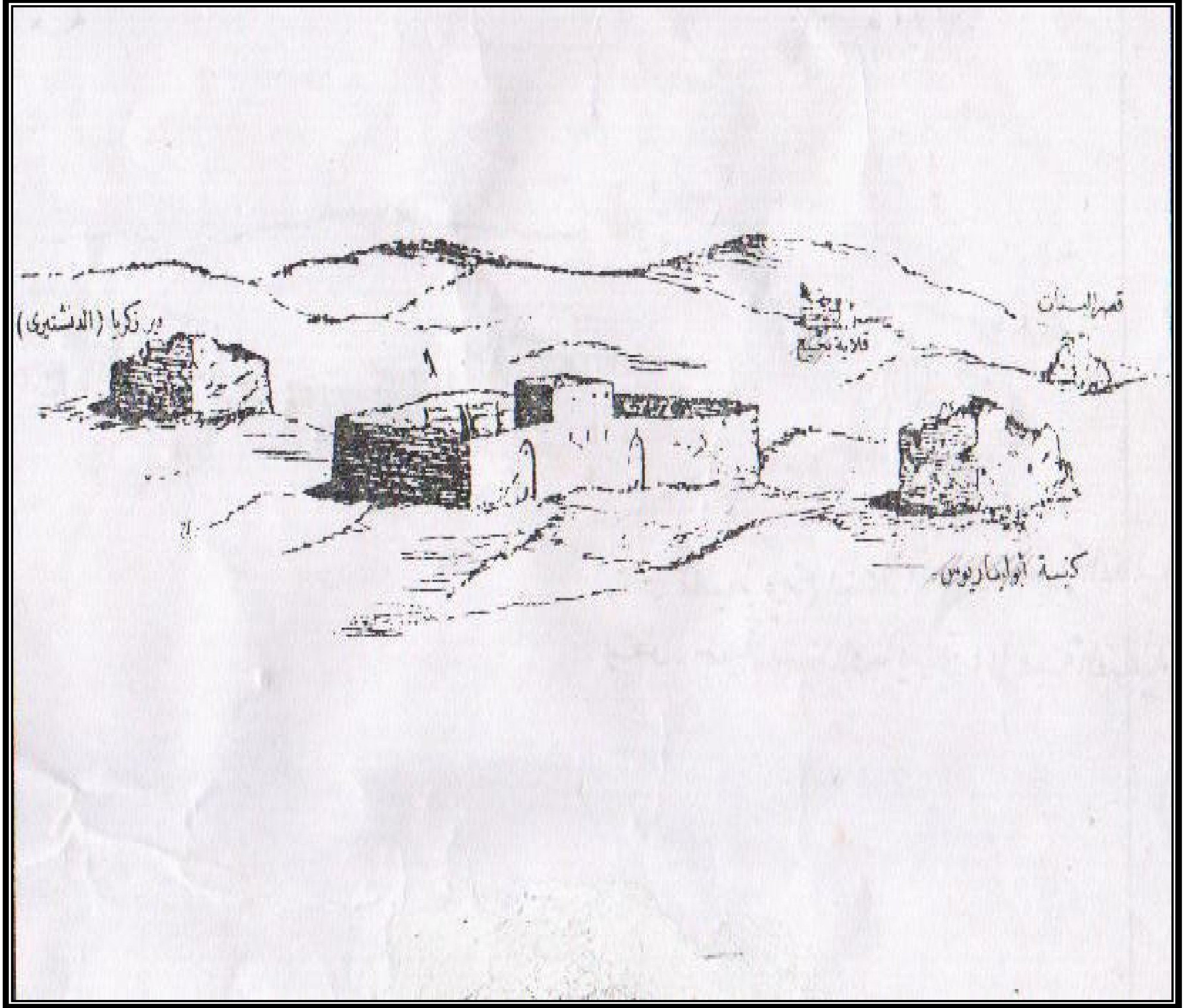
الخرائط

شكل رقم(٥)خريطة توضح المناطق التي انتقلت أليها الأديرة الأولى من مصر عبر بلاد الشام . ينظر : ساكز ، قوة ، أشور ، ص



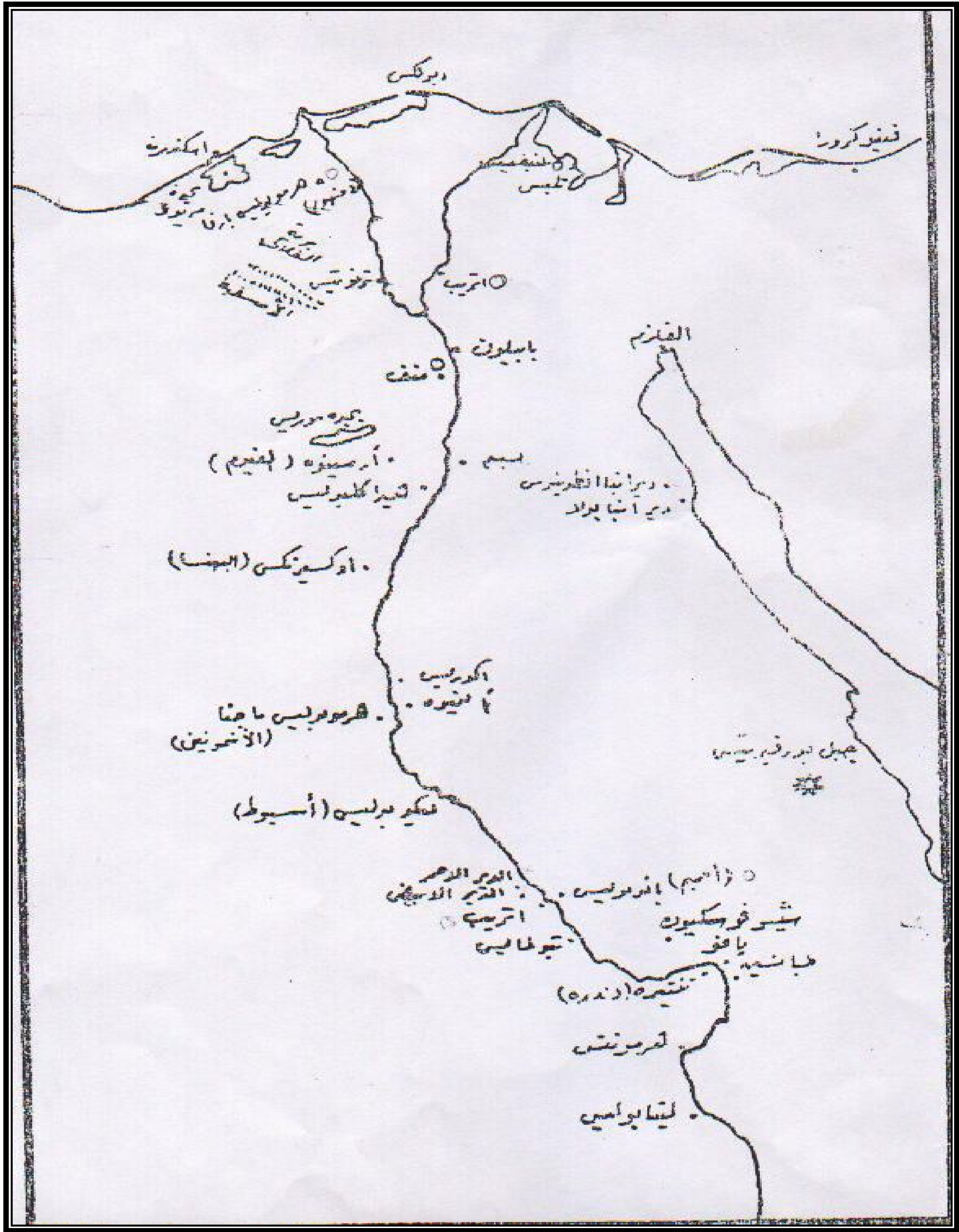
شكل رقم (١) يوضح مواقع بعض الديارات المصرية القديمة .

ينظر : مار مينا العجايبتي ، الرهبنة القبطية .



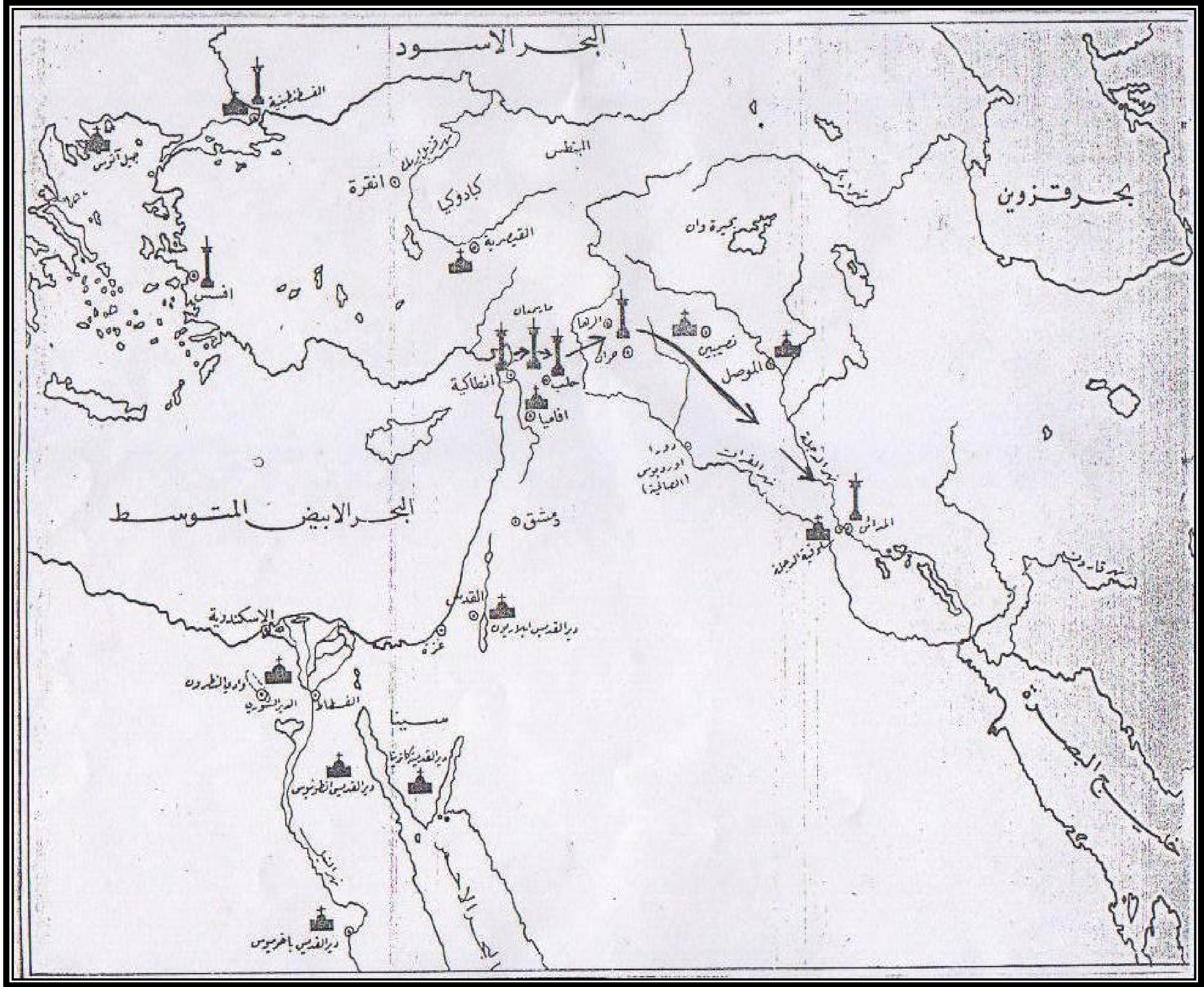
شكل رقم (٣) مخطط لأشكال الديارات المصرية القديمة .

ينظر : جمعية مار مينا العجايبتي ، الرهبنة القبطية .



شكل رقم (٢) خريطة تبين مواقع البراري التي كانت عامرة بأديرة الرهبان فـي عصورها الأولـى المزدهرة وتظهر فيها برية أنبا أنطونيوس على البحر الأحمر، ثـم برية شيهيت(الآسقيط)، والقلالي ، ثم برية(طبانيسين) التي هي برية أنبا باخوم بجوار أسنا ، ثم برية أنبا شنودة(الدير الأبيض والدير الأحمر)بجوار سوهاج ويلاحظ أن معظم البلاد جاءت أسماؤها اليونانية التي اشتهرت بها في العالم آنئذ .

ينظر : جمعية مار مينا العجايبتي ، الرهبنة القبطية .



شكل رقم(٤)خريطة توضح انتقال العموديين من موطنها الأول بلاد الشام إلى العراق.

ينظر : جمعية مارمينا العجايبتي ، الرهبنة القبطية .

The Christian Monasteries in Iraq and Its Scientific and Ideological Activities Of Up To the End of Abbasid Era.

This Thesis Submitted To
The Council of the College Of Education
University Of Tikrit

In Partial of the Requirements for M.A

Degree in Islamic history
By
Hanan Abd Alrahman Taha

Supervises Of
Dr. Mahmoud Abaad Aljuboori

1426 A.H 2005 A.D